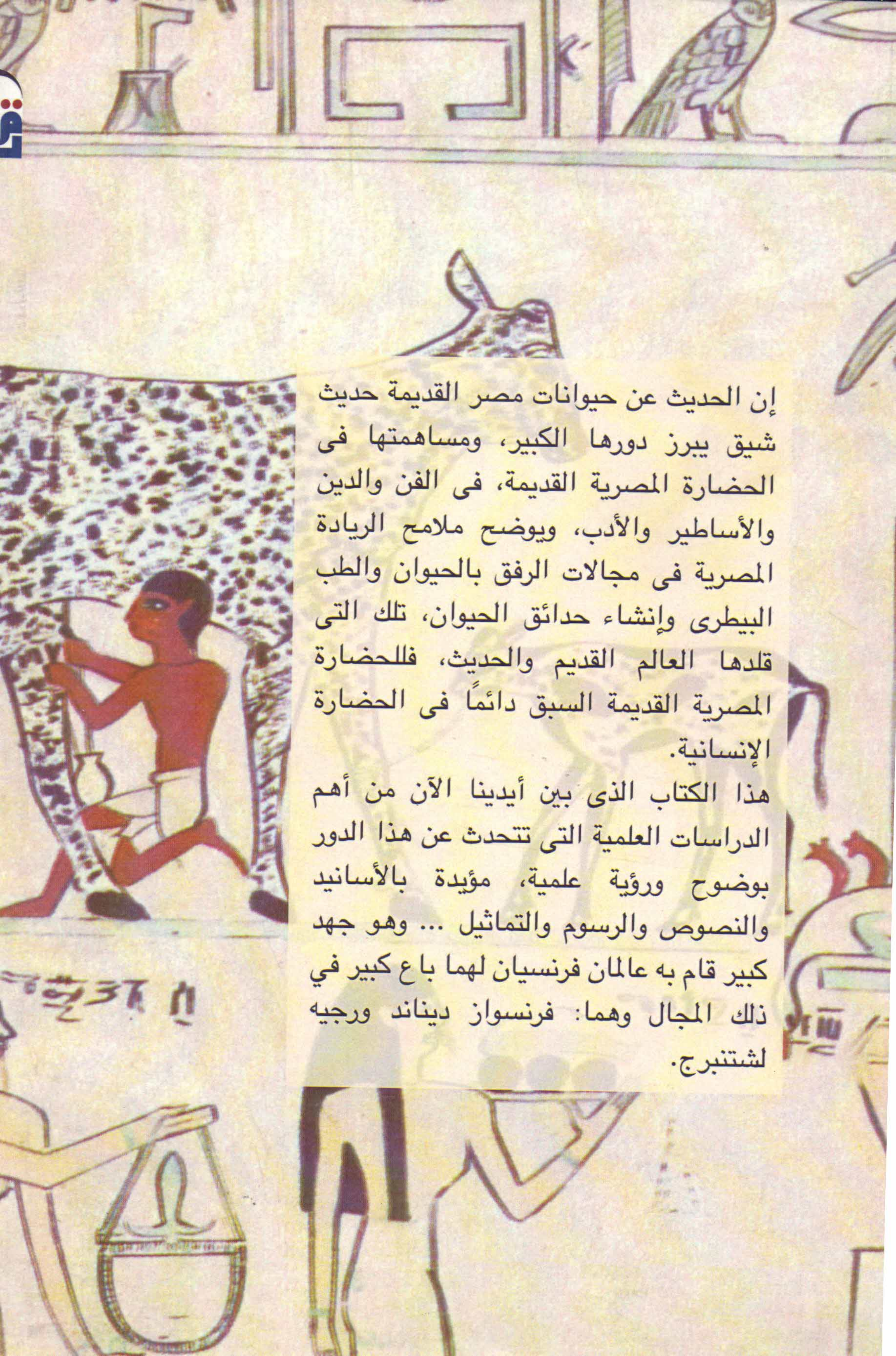

المركز القومى للترجمة
المشروع القومى للترجمة
الحيوانات والبشر..
تناغم مصرى قديم
تأليف
فرنسواز ديناند
روجيه لشتنبرج
ترجمة
فاطمة عبد الله محمود
مراجعة وتقديم
محمود ماهر طه
1709



إن الحديث عن حيوانات مصر القديمة حديث شيق يبرز دورها الكبير، ومساهمتها فى الحضارة المصرية القديمة، فى الفن والدين والأساطير والأدب، ويوضح ملامح الريادة المصرية فى مجالات الرفق بالحيوان والطب البيطرى وإنشاء حدائق الحيوان، تلك التى قلدها العالم القديم والحديث، فللحضارة المصرية القديمة السبق دائماً فى الحضارة الإنسانية.

هذا الكتاب الذى بين أيدينا الآن من أهم الدراسات العلمية التى تتحدث عن هذا الدور بوضوح ورؤية علمية، مؤيدة بالأسانيد والنصوص والرسوم والتماثيل ... وهو جهد كبير قام به عالمان فرنسيان لهما باع كبير في ذلك المجال وهما: فرنسواز ديناند ورجيه لشتنبرج.

الحيوانات والبشر ..
تناغم مصرى قديم

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: 1709
- الحيوانات والبشر... تناغم مصرى قديم
- فرانسواز ديناند، وروجيه لشتنبرج
- فاطمة عبد الله محمود
- محمود ماهر طه
- الطبعة الأولى 2012

هذه ترجمة كتاب:

DES ANIMAUX ET DES HOMMES

Par: Françoise Dunand- Roger Lichtenberg

Copyright © Éditions du Rocher, 2005

All Rights Reserved

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة
شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 Fax: 27354554

الحيوانات والبشر..

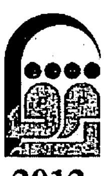
تناغم مصرى قديم

تـألـيـف : فـرنسواز ديـنـانـد

روجـيـه لشـتـنبـرج

تـرجـمـة : فاطمـة عبد الله محمود

مراجعة وتقديم : مـحـمـود مـاهر طه



2012

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

ديناند ؛ فرنسواز

الحيوانات والبشر.. تناغم مصرى قديم

تأليف : فرنسواز ديناند، وروچيه لشتنبرج

ترجمة : فاطمة عبد الله محمود؛ مراجعة وتقديم : محمود ماهر طه.

ط . القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٢

٣٤٨ ص ، ٢٤ سم

١ - الحيوانات فى الأدب العربى

٢ - الحيوانات فى الدين والفولكلور

أ - لشتنبرج، روچيه (مؤلف مشارك)

ب- محمود ، فاطمة عبد الله (مترجم)

هـ - طه ، محمود ماهر (مراجع ومقدم)

د- العنوان ٨١٠,٩٠٣١

رقم الإيداع ٢٠١٠/١٧٢٣٩

الترقيم الدولى I.S.B.N. 978-977-704-290-1

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

تقديم المراجع

أحب قدماء المصريين بلدهم حُبًا جمًا لا تضاهيهم فى ذلك أية شعوب أخرى قديمًا وحديثًا .. أحبوا طبيعة مصر بكل عناصرها .. قدسوا كائناتها .. بُهروا بطقسها .. بتضاريسها .. بنيلها .. بحقولها .. بسمائها وما بها من كواكب ونجوم .. اعتبروا أن مصر هى جنة الإله فى الدنيا .. وهى صورة مطابقة لجنة الآخرة .. فنراه قد صورها على جدران مقابره بشكل لا يختلف إطلاقًا عن الحياة المصرية القديمة بما فيها من كائنات حية وطبيعة صامتة.

وفى النصوص الجنازية نجد أن بعض الأسئلة كانت توجه إلى المتوفى عند بعثه فى الحياة الأخرى نستشف منها أن الرفق بالحيوان واجب مقدس .. مثل: هل حفظت الجميل لكل من كان صديقًا لك فى رحلة حياتك الدنيوية .. سواء أكان إنسانًا أعانك أم حيوانًا حملك .. أو شجرة رمان أنعشتك؟. ويتم استجواب الإنسان أيضًا فى الآخرة بسؤال هام .. ألا وهو: هل آذيت حيوانًا أو عذبته بغير سبب؟ وهل عاملت دوابك .. ومن هم أقل منك كما أردت أن يعاملك من هو أعلى منك قدرًا بالحكمة والشفقة والرحمة؟

ومما يدل على مدى تحلى المصريين بالرحمة، والرفق بالإنسان والحيوان .. فهو يسأل هل يمكنك أن تثبت بحق بأنه لم يسبق لك أن أجبرت شخصًا أو دابة على العمل أكثر من طاقتهما .. وأدركت أن ما فى الأرض من مخلوقات إنما هى إخوة لك فى رحلتك الدنيوية، وأنك مددت لهم يد المساعدة فى رحلتهم؟

حقًا .. لقد كانت الحيوانات رفيقة حياة قدماء المصريين، شاركتهم دنياهم .. ولقيت منهم رعاية شديدة واهتمامًا خاصًا .. ومن مظاهر تدليلهم أنهم كانوا يغنون لها

الأغانى الطريفة ويعزفون لها أحيانًا على الناى .. ونرى على جدران المقابر بعض المواشى المزدانة بأجراس من البرونز معلقة فى رقابها للزينة ومنع الحسد عنها .. وحتى يستطيع كل راع أن يستكشف حركتها عند تحركها فيسمع رنين أجراسه .. واكتشف قدماء المصريين أن الحيوان يطرب لسماع الموسيقى وكان لذلك تأثير على حلبه مما يؤدى إلى زيادة إدرار الألبان التى تنتجها يوميًا .. وحرص المصريون كذلك على أن يربتوا على مواشيهم وملاطفتها .. وكانوا يتحدثون إليها كما يتحدث البعض حاليًا إلى حيواناتهم .. ومن أجمل المناظر التى سجلها لنا الفنان المصرى القديم عن مدى الرفق بالحيوان ما نجده فى مقبرة النبيل "تى" بسقارة من الأسرة الخامسة .. فنجد أن أحد الرعاة عند عبوره إحدى القنوات يحمل عجلاً صغيرًا فوق كتفيه خوفًا عليه ويخوض به الماء وخلفه أمه ترقبه بخوف وتتبعه .. حقًا إنها نموذج رائع للمعاملة الحنون التى كان الحيوان يلقاها فى مصر القديمة.

ولم يكن الاهتمام برعاية الحيوان فى مصر القديمة يقتصر على إبداء العطف عليها والرفق بها .. وإنما بالعناية الطبية الشديدة لها .. فقد كان الأطباء البيطريون يقومون بفحص الحيوانات المريضة .. ووصف العلاج اللازم لها وإعطاء الدواء بأيديهم .. ومن بردية ترجع إلى الأسرة الثامنة عشرة نجد أن كل مزارع كان عليه أن يعتنى بماشيته .. والأمراض المحتمل أن تصاب بها وأساليب علاجها.

وحرص قدماء المصريين كذلك على استئناس أعداد كبيرة من الحيوانات البرية وترويضها .. وتربية بعضها فى المنازل ومن أهمها القطط والكلاب والقردة .. أما القصور الملكية فكانت الأسود من الحيوانات المعتاد استئناسها .. ووجد بعض الملوك سعادة كبرى فى إنشاء حدائق حيوانات لما كان يُجلب من البلاد الأجنبية منها الفهود والزراف والفيلة وغيرها .. واشتهر بعض الفراعنة بهذه الهواية مثل حتشبسوت وتحتمس الثالث وأخناتون .. وكانوا يخصصون لهذه الحدائق الأطباء البيطريين للعناية بها.

لم يجد الفرعون حرجًا فى أن ينتسب إلى الحيوان تيمنًا به وبقوته، فمن أهم ألقابه .. حورس (الصقر)، وحورس الذهبى، والثور المنتصر المنتمى إلى النبات والنحلة (رمز مصر العليا والسفلى) .. وكانت هيئته الحيوانية تضعه فى مصاف الآلهة.. فهو يحرص على ارتداء ذيل الثور أثناء الاحتفالات الدينية .. ويحمل صولجانًا مزدانًا برأس حيوان .. وفى وسط جبهته أفعى مقدسة تقذف اللهب المدمر ضد الأعداء، وكذلك أنثى النسر وهذان الحيوانان هما رمزان للوجه البحرى والقبلى.

كان كل فرعون يحرص على أن يصور على جدران المعابد والمقابر أو تُنحت له التماثيل وهو على هيئة حيوانية .. فقد يكون أسدًا أو ثورًا أو صقرًا .. وفى أحيان أخرى قد يصور برأس إنسان وجسم أسد كما نجد ذلك واضحًا فى تمثال أبو الهول.

فعلاً .. لقد أحب قدماء المصريين حيواناتهم إلى درجة التقديس ويقول ديودور الصقلى الذى زار مصر فى أواخر عصورها الفرعونية: "إن المصريين يعتنون بالقطط والنموس .. ويلقون لها على الأرض قطعًا من الخبز المبلل باللبن .. أو يقطعون لها الأسماك النيلية ويطعمونها إياها نيِّئة .. وهكذا يقدمون الغذاء المناسب لكل نوع من الحيوانات .. ولا يخجلون من أن يراهم الناس يؤدونها .. بل على النقيض .. ينتيهون بها عجبًا كما لو كانوا يؤدون أقدس شعائر الآلهة".

ولقد ذكر لنا المؤرخ الإغريقى هيرودوت: "أنه إذا ما نشب حريق فى منزل كان أول ما يفكر فيه المصرى القديم هو إنقاذ القطط من اللهب غير عابئ بمحتويات المنزل ".

على الرغم من الحب الكبير الذى أبداه قدماء المصريين تجاه حيواناتهم .. وظهور بعض الآلهة فى هيئات حيوانية فإنهم لم يعبدوا هذه الحيوانات لذاتها .. فمثلاً أخذت حتحور ربة الجمال والأمومة هيئة البقرة .. ولكن المصريين لم يعبدوا كل بقرة كما يعبد أتباع بعض الديانات الهندية البقر الآن .. وإنما ربطوا بين بعض الصفات التى تتحلى بها البقرة بالإلهة حتحور فقط .. وهذا لا يمنع من أنهم كانوا يذبحون البقر ويأكلون

لحمه .. وخلاصة القول: فإن مجموع الآلهة التى عثرنا على أشكالها الحيوانية إنما هى رمز للصفات الأصلية لهذه الحيوانات من بأس وقوة وأمومة وعطاء وحماية وغيرها .

ويزخر الأدب المصرى القديم بأدوار واضحة للحيوانات فى القصص وفى الأشعار .. فهى تتحدث عن وفائها مثلاً فى "قصة الأخوين" الشهيرة حيث تتحدث مع مربيها تنبهه من أخطار يتعرض لها .. وتنقذه .. كما كان أحد الرعاة يشدو بأغانيه إلى ثيرانه كما سجلت لنا ذلك إحدى البرديات فى الأسرة الثامنة عشرة فيغنى لها كأنها تفهم حديثه .. وهو يقودها عند درسها لأعواد القمح: "ادرسوا من أجل أنفسكم أيها الثيران .. إدرسوا من أجل أنفسكم .. ادرسوا القش من أجل طعامكم .. لا تعطوا لأنفسكم راحة" .

ولجأ الفنان المصرى القديم إلى فن الكاريكاتير فى التعبير عن كثير من الأغراض السياسية والاجتماعية خاصة فى الدولة الحديثة .. وذلك باستخدام الأشكال الحيوانية بدلاً من الإنسانية رغبة فى التورية أو جذب الأنظار .. وهى أشكال عديدة ورائعة منها على سبيل المثال، بردية محفوظة فى المتحف البريطانى نجد فيها ثعلباً يرعى ماعزاً .. وقطة تحرس عدداً من الإوز وهى كناية عن انقلاب الأوضاع والمفاهيم.

وقد تغلغلت الأشكال الحيوانية فى جميع مظاهر الحياة فى مصر القديمة .. ولا يكاد جدار يخلو من صورة حيوان أو طير أو حشرة .. فهى رفيقة المصرى القديم فى مشوار الحياة وبناء أعظم حضارات العالم القديم .. فأشكال الحيوانات جانب رئيسى فى الكتابة الهيروغليفية التى لا يكاد يخلو جدار منها .. هذا بجانب حرص قدماء المصريين على استخدام أشكال حيوانية فى تشكيل عناصر وأجزاء من الأثاث، والملابس، والأدوات المستخدمة فى الحياة اليومية، والجنازية، والاحتفالات الدينية.

إن الحديث عن حيوانات مصر القديمة حديث شيق يبرز دورها الكبير ومساهمتها فى الحضارة المصرية القديمة من خلال الفن والدين والأساطير والأدب، ويوضح ملامح الريادة المصرية فى مجالات الرفق بالحيوان والطب البيطرى وإنشاء حدائق الحيوان، وقلدها بعد ذلك العالم القديم والحديث، فللحضارة المصرية القديمة السبق دائماً فى الحضارة الإنسانية.

وهذا الكتاب الذى بين أيدينا الآن من أهم الدراسات العلمية التى تتحدث عن هذا الدور بوضوح ورؤية علمية مؤيدة بالأسانيد والنصوص والرسوم والتماثيل .. وهو جهد كبير قام به عالمان فرنسيان لهما باع كبير فى ذلك المجال وهما: "فرنسواز ديناند" و "روجيه لشتنبرج".

أما الترجمة فقد قامت بها السيدة فاطمة عبد الله محمود، التى أتقدم إليها بالتحية لحماسها البالغ فى ترجمة هذا الكتاب الملىء بالكثير من المعلومات الهامة التى تبين مدى ارتباط المصرى القديم بحيواناته .. فهى بحق تستحق الثناء.

وعلى الله قصد السبيل،،،

دكتور/ محمود ماهر طه

شكر

إن اكتشاف إحدى جبانات دفن الكلاب في موقع "الدير"، وفي مواقع أخرى، قد بلور اهتماما بالغا كنا نكنُّه منذ أمد بعيد لحيوانات مصر. وفي أي جهة أخرى. بل وحثّنا على المضي قدما في إنجازنا لهذا العمل. ولقد ساعدنا الكثير من البعثات بمختلف المواقع للتعرف على الحيوانات المصرية. سواء الحالية أو القديمة العهد. وهكذا، فخلال وجودنا مع المشرفين على العمل، والعمال المصريين، استطعنا، في أغلب الأحيان الحصول على الكثير من المعلومات فائقة الأهمية، التي أتاحت لنا الفرصة لكي ندرك ونتفهم العلاقة الفائقة الخصوصية القائمة في هذا البلد بين الإنسان والحيوان. ولاشك أننا ندين بكل ذلك لـ"المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة"، ولمدرائه المتعاقبين؛ وكذلك لـ"هيئة الآثار المصرية"، التي سمحت لنا، منذ عدة سنوات بالتنقيب في موقع "الدير".

ولا ريب أن الصور والرسوم والأشكال المتعلقة بالحيوانات، تعد، إلى حد كبير أساسًا لعملنا هذا. وتتكون أشكال هذا الكتاب من مجموعة من الصور والأشكال، عملنا على تجميعها منذ عدة سنوات من مختلف المتاحف؛ وبصفة خاصة المتحف المصري بالقاهرة ومتحف اللوفر. وفي نطاق هذا الأخير حظينا بأحسن وأفضل استقبال من جانب "جان لوى دى سينيفال"، ثم من "كريستيان زيجلر" ومساعديهما. ولذا، نتوجه لهم بشكرنا وامتناننا البالغ.

مقدمة

بجميع أرجاء كوكب الأرض، كان لتطور المجتمعات الإنسانية مردود سيئ وضار على عالم الحيوان. ويرجع ذلك، أساسا إلى الصيد والإبادة المنتظمة للأنواع الخطرة. كما قامت بدورها أيضا، في هذا الصدد التغيرات البيئية: سواء كان الأمر يتعلق بأسباب منبثقة من أوجه النشاط البشري؛ أم بصفة خاصة من الطبيعة[١].

وفي كثير من الأحيان، تتضافر العديد من الأسباب معا، لكي تلحق خطرا بنوع ما من الحيوانات. كما في حالة البقر الوحشي الأمريكي. ووقتئذ، كانت القطعان الهائلة المدى (قدر التعداد الإجمالي للبقر الوحشي بحوالي ٦٠ مليون رأس؛ قبل حملات غزو الغرب)، تجوب السهول والوديان الكبرى المعشبة الواقعة في أواسط الغرب.

خلال القرن التاسع عشر، أطلقت حملات الإبادة لغرض إنضاب واستنزاف مصدر القوت والمؤن الرئيسي الخاص بالهنود الحمر. وبالتالي، جر ذلك في أعقابه انهيار تعداد الأبقار الوحشية في أواخر القرن إلى ما يقل عن ألف رأس !! وحاليا، يتبين أن أعدادها، قد بدأت في الارتفاع مرة أخرى ووصلت إلى عشرات الآلاف ثانيا. وبذا، ارتفعت إلى بضع عشرات الآلاف. وربما أن المثال الذي تبينه حيوانات "اللاما" بجزر الهند، التي تعيش في النجود والهضاب الـ (Ondins) العليا يختلف إلى حد ما، بل يعتبر نموجيًا بعض الشيء: فإن أعداد "اللاما"، التي يتم صيدها للحصول على لحمها، أخذت تتضاءل بكل قسوة وشراسة. وعندما أمكن إقناع الهنود، بأن الصوف سوف يوفر لهم مصادر فائقة الربح؛ بدأوا، منذ ذاك الحين بمجرد الاكتفاء باقتناص هذه الحيوانات، لبعض الوقت من أجل جز صوفها !!

وفى بلادنا، منذ عدة قرون، كانت الذئاب تلقى مطاردة فائقة الحد .. لما عرف عنها بأنها آكلة لحوم البشر !.. وهكذا، انمحى أثرها من أوربا الغربية. ولكن، منذ بضع سنوات استعيد جلبها ثانيا (فى واقع الأمر، أن مربىّ المواشى قد جادلوا فى هذا الأمر). ولقد شعرنا حاليا بضرورة الحفاظ على أنواع الحيوانات التى يهددها الوجود البشرى. ولكن، ذلك الوعى تراءى منذ وقت قريب جدا !

فى مصر، كما هى الحال فى كل مكان، تمت مطاردة الكثير من الأنواع، سواء لدواعٍ غذائية، أو لما تمثله من أخطار. وهكذا، تلاشى البعض منها تماما من وادى النيل. وحقيقة أن فرس النهر كان لا يزال موجوداً، خلال العصور الرومانية. ولكنه لاقى مطاردة مكثفة بداية من الدولة الحديثة، بسبب التدمير والتخريب اللذين كان يحدثهما فى الزراعات؛ ولخطره على الصيادين. وكذلك الحال أيضا بالنسبة للتمساح، الذى يمثل خطورة أكبر على الإنسان. وفى وقتنا الحالى، يتحتم التوغل حتى أفريقيا الاستوائية للعثور على حيوان فرس النهر. أما فيما يتعلق بالتماسيح، فقد عادت ثانيا، بفضل بناء "السد العالى". وهكذا، يمكننا مشاهدة البعض منها فى مياه بحيرة ناصر!. وبالنسبة للبقر الذى استأنسه المصريون، فهو ينحدر أصلاً من فصيلة (Bos Primigenius) الذى يرجع إلى عصر ما قبل التاريخ. ولقد انقرض بسبب عمليات الصيد؛ وكذلك، من جراء تغيرات الطقس التى استتبعها تصحر مكان معيشته. ولاشك أن الأنواع المستأنسة قد ازدهرت ونجحت إبان الحقبة الفرعونية كلها. ولكنها، فيما بعد، تركت المجال لتنوعات أخرى وأنواع حديثة مثل الجاموس من فصيلة (Bubalus bubalis). وهناك فصائل حيوانية أخرى قد تلاشت وانقرضت بسبب التغيرات البيئية؛ ومنها: طائر "الإبيس". ولكن، يتبين أن هذا الانقراض قد تراءى حديثا جدا. أى لا يرجع إلا للقرن التاسع عشر: أى فى الفترة التى تم خلالها، بشكل منتظم صرف مستنقعات الدلتا .. وفى الحقبة ذاتها، نجد أن الخنازير الوحشية التى كانت لا تزال تعيش بها، قد أبيدت تماما !

ومع ذلك، بشكل عام، يبدو واضحا، أن الحيوانات فى مصر القديمة، لم تكن تعانى الكثير من هجوم الإنسان واعتدائه (بصرف النظر عن بعض الاستثناءات الظاهرة). وقد لا يمكننا أن نعزى للمصريين سمة الاهتمام بالحفاظ على الأنواع والفصائل الحيوانية؛ فإن ذلك يعد أساسا بمثابة اتجاه حديث وعصرى. ولكن، على أية حال، يمكن ملاحظة أنهم قد مارسوا نمطا خاصا متميزا من التعايش مع الحيوان: فإن السمة الرفيعة الهامة، التى تراءت منذ القدم، فى مجال تصوير وتمثيل الحيوانات، تعبر عما يمكن أن نصفه بالاهتمام الودود العطوف تجاهها. ولا ريب أن الصور والأشكال الفائقة العدد التى أحطنا بها، تظهر تعبيرات وأوضاعًا بالغة الواقعية للحيوانات ، بل وتبين أن المصريين يتمتعون بسمات ملاحظة واهتمام نادرة المثال !

لا ريب أن طريقة تناول المصريين الخاصة لعالم الحيوان ، تتضح من خلال مفهومهم عن عالم الأحياء. فيلاحظ، من خلال جميع النصوص الخاصة بالخلق التى أعدت منذ أمد بعيد بالمعابد الكبرى التأكيد، بأن الإله الأعظم، عند بدء الخليقة، قد خلق، فى آن واحد الآلهة والبشر والحيوانات، دون الإشارة لنظام تدرج هرمى. فعلى ما يبدو إذن، أن المصريين لا يرون أى اختلاف جوهرى فيما يتعلق بطبيعة الكائنات الحية. لأنها، جميعا قد انبثقت من "انسيابات" جسد الإله الأعظم أو من كلمته الخلاقة[٢]. إذن، فمن خلال هذا المنظور للعالم، تتضمن الحيوانات كمثل الإنسان، فى كيانها عنصرا إلهيا. ولذا، لن نندهش أو نتعجب أبدا، إذا مُثل إله ما فى هيئة حيوانية، أو آدمية، أو مختلطة .

فى هذا الكتاب، وقع اختيارنا على معالجة العلاقة الخاصة جدا بين المصريين والحيوانات ومراحل تطورها على مر الزمن، منذ اللقاءات الأولى .. حتى الوصول إلى مرحلة من العلاقة يمكن وصفها بالاستقرار والثبات، وصفها بأنها: مستقرة وثابتة.

وبوجه عام، نحن لم نمارس هنا عمل علماء الطبيعيات أو التاريخ الطبيعى. فإن ذلك، كان سوف يؤدى بنا، قطعا، إلى مجال بعيد جدا عن أهلياتنا واختصاصاتنا. وبذلك، سوف تتراءى سلسلة من النقاط الشائكة كانت موضع نزاع؛ وهى تتعلق بإثبات

مطابقة نوع أو فصيلة ما: وهنا، لم يكن الأمر يتطلب منا أن نأخذ جانباً دون الآخر، أو نختار .. ولقد اكتفينا، فى هذه الحال، بعرض النظريات القائمة. وخلاف ذلك، لا نزعم بأن عملنا سوف يكون شاملا وكاملا تماما. وكذلك، مصادرنا تتكون من الصور والأشكال الفائقة العدد التى قدمتها لنا النصب والمنشآت المصرية القديمة، والوثائق الدلائل الأثرية. أو بالأحرى، بقايا الحيوانات التى عثر عليها بعدة مواقع سكانية غابرة؛ وجبانات. المؤكد، أن كل ما فيها لا يعد بمثابة الانعكاس الصائب الدقيق لما كانت تبدو عليه حيوانات مصر القديمة.

ومن الثابت، أن مشاكل إثبات مطابقة الحيوان تتركز خاصة فى مجال الصور والأشكال والرسوم. ولاشك أن المصريين قد وضعوا نمطا من التصنيف للأنواع والفصائل الحيوانية؛ الذى لا يتطابق بالضرورة مع الخاص بنا. ولذا، فعلى ما يبدو أنهم قد أعطوا لأنفسهم شيئا من التحرر عند مطابقة وتحقيق ذاتية كل من الكباش والتيوس. فها هى إحدى قطع الأوستراكا التى ترجع إلى الدولة الحديثة تمثل، بكل وضوح، شكلا لـ"تيس"؛ ولكن نجد أن الأسطورة تصفه باعتباره "كبشًا". ولكن، خلاف ذلك، حتى إذا كانت الأشكال الممثلة، تبدو غالبا صائبة ومتطابقة، فقد يتبادر بعض الشك بشأنها. ويرجع ذلك، خاصة سواء إلى تشابه فعلى ما بين بعض الحيوانات التى تنتمى إلى أنواع وفصائل متباينة؛ أو لكون الحرفى ليس على معرفة تامة بالحيوان. ولاشك أن الموضوع الخاص بالنمس وبكلب البحر، يعد، فى هذا الصدد كمثال واضح. فهناك عدد هائل من التماثيل البرونزية الصغيرة الممثلة لحيوان ضئيل الحجم منتصب على قائمتيه الخلفيتين. ونجد، أنه فى بعض الأحيان يشار إليه باعتباره كلب البحر (قوائم راحية، وذيل سميك)[٣]، وفى أحوال أخرى، يوصف بأنه: "نمس"!

فيما يتعلق بالكم الكبير من العظام، فقد قدمت تنقيبات المواقع الخاصة بعصر ما قبل التاريخ عدداً كبيراً من البراهين والدلائل شديدة الثراء؛ وحظت بدراسة مستفيضة. وهذا ما تبينه بالفعل كل من حضارتى "مرمدة بنى سلامة" و"المعادى". ولكن، نرى أن مستودعات المدن والقرى التى ترجع إلى حقبات أكثر حداثة، قلما كان يتم استكشافها

بشكل منتظم. ولكن، يلاحظ أن جبانات الحيوانات، بداية من الألفية، قد قدمت مادة فائقة الأهمية. وفى هذه الحال أيضا، بدا واضحا بعض التردد وعدم اليقين، أمام خليط مكون من أنواع متباينة؛ كما هى الحال بالنسبة لجبانة القطط فى سقارة. حيث اكتشف فى أعماقها خليط غير مميز أو معرف من القطط الوحشية .. والقطط المستأنسة!!

وقد خصص الجزء الأول من الكتاب للصلات اليومية القائمة ما بين البشر وعالم الحيوان. أما عن الجزء الثانى، فهو يعالج مستوى آخر مختلفًا تماما؛ ألا وهو: الخيالى والرمزى. ولاشك أننا، سوف نلمس هنا: تفرد الحضارة المصرية، التى ترى أن الحيوان هو بمثابة رمز لعدة قيم أخلاقية وأدبية وفلسفية ودينية. كما أنه، من جانب آخر، يجسد القوى التى قد تكون، أحيانا خطرة ومصدر شؤم.

وكنتيجة طبيعية، ارتبطت معظم الحيوانات ببعض الأرباب: حيث اعتبرت بمثابة تجسيدات لها؛ أى بالتحديد: "صورتها الحية". وبذا، فإن البقرة، التى ارتبطت أساسا بالربة حتحور، تعبر عن قيم الأمومة. ولبنها هو نبع الحياة. ومن هذا المنطلق، فهى ترتبط أيضا بكل المظاهر السارة المبهجة فى الحياة. ومع ذلك، فغالبا ما يشارك حيوان ما فى شكلين اثنين؛ أولهما إيجابى، وثانيهما سلبى ! وهذا هو بالضبط حال التمساح؛ صورة الإله "سوبك"، الذى يعد كإله قوى البأس، وحامٍ وراعٍ فى الوقت ذاته؛ ويجسد الخصوبة، لسماته المائية. ولكنه، مع ذلك، يعتبر كقوة ضارة مؤذية وشريرة، يجب التعزيم عليها بواسطة الرقى والتعاويذ.

ومن خلال هذا الجزء الثانى بكتابنا هذا، أردنا أن نعالج ظاهرة خاصة جدا تطورت ونمت فى مصر، بداية من الألفية الأولى: ألا وهى، تقديس الحيوانات. وهنا، لا يتعلق الأمر مطلقا بما تردد كثيرا، عن أحد الطقوس والشعائر التى تؤدى للحيوانات. بل بالأحرى: أسلوب ما لتأليهها من خلال تكريسها كقرابين من أجل الآلهة التى تندمج بها. وعلى ما يبدو، أن الأمر كان يتطلب تحنيطها، ثم، بعد ذلك دفنها فى جبانات خاصة: حيث عثر على الكثير منها فى جميع أنحاء مصر.

الجزء الأول

الحيوانات المفترسة والعاملة والرفيقة

الفصل الأول

اللقاء مع الإنسان

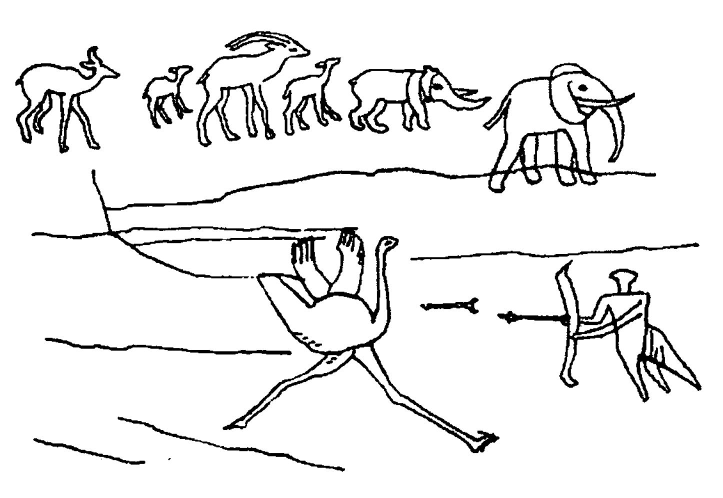
ها هو نهر النيل، الذى كوّن واديه فى مصر. إنه يعد من أكثر أنهار العالم طولا. ويغذّى من مصادره بالجبال المهيمنة على بحيرات أفريقيا الكبرى. كما يتلقى مياه العديد من الروافد؛ ومنها: النيل الأزرق وعطبرة المتدفقان من إثيوبيا ..

وفى مصر، يحاط الوادى بالصحارى، جنوبا بواسطة مرتفعات سلسلة جبال الصحراء العربية، وغربا، بهضاب الصحراء الليبية. وفى ختام تجواله، ينبسط النهر فى هيئة دلتا مترامية الأطراف: مكونة تشابكًا ما بين الأذرع الطبيعية والقنوات التى حفرها الإنسان.

ولكن، هذا النهر، لم يكن قبل ذلك، على هذه الحال. ففى نهاية العصر الثانوى، يتبين أن الموقع الذى أصبح واديا، كان يغمره بحر مترامى المدى؛ أخذ ينحسر ويتراجع تدريجيا خلال العصر الـ tertiaire[1] (الثلثى). وفى تلك الحقبة ذاتها، كان هناك "نيل" أولى ينساب بكل وضوح من الناحية الغربية: تقريبا فى منطقة واحات الصحراء الغربية. وبشكل طبيعى، اتبع مصبه انحسار البحر. وخلال العصر البليوسينى (حوالى ٢٠٠٠٠٠٠) أى (العصر الحديث القريب)، وبواسطة تحركات بنيوية الأديم Tectoniques وقع نوع من الارتفاع للدرع الصحراوى. وجر فى أعقابه محو واندثار "النيل" الليبى. وهكذا خلق الأخدود الشرقى؛ وتكون "نيل" جديد: تقريبا، فى مساره الحالى؛ جمع، على ما يعتقد مجموعة من البحيرات. واستتبع السباق الطويل المدى المكون من تراكمات الغرين والحفر إلى تكوين أراضى على طول مجرى النهر. وقبل مولد المسيح بحوالى خمسين ألف عام، اتخذ النيل شكلا يتشابه إلى حد ما بمظهره الحالى؛ وهو يتلقى مياه الروافد الإثيوبية. وقد عمل هذا التلقى على خلق نظامه الخاص: فهو يفيض فى شهر يوليو، ولا يبدأ انخفاض منسوب المياه إلا خلال شهر أكتوبر .. حيث تترك وراءها رواسب غرينية فائقة الخصوبة[2].

يرجع استيطان "وادى النيل" وتخومه الملاصقة، على الأقل إلى العصر الحجرى الحديث الأقدم؛ بحوالى ٣٠٠٠٠٠ , سنة وعن منطقة الصحراء الحالية، فكانت، فى هذا الماضى السحيق تحظى بالمياه الكافية. وبالتالى تطورت بها مكونة السهول التى تعيش فى نطاقها أعداد وفيرة من الحيوانات. ولكن، لا توجد سوى آثار ضئيلة للوجود البشرى خلال تلك الحقبة فى مصر: بخلاف المناطق المجاورة لأبيدوس، وفى واحات الصحراء الغربية، و"الخارجة"، و"الداخلة". وإبان العصر الحجرى الحديث الأوسط (بحوالى ٩٠٠٠٠) وجدت عدة مواقع متتالية، أساسا بالأراضى القائمة على ضفاف النيل، الذى كان يمتد بعرض الوادى الحالى كله.

فى ذاك الحين، بدا الاتصال بين البشر والحيوانات من خلال الصيد، وكذلك جمع ثمار الأشجار التى توفر لهم قوتهم. ووقتئذ، كانت الحيوانات البرية تتكون من: الأفيال، والزراف، والثيران البرية (المنقرضة)، والنعام، وأنواع مختلفة من الظباء: التى صورت بعد ذلك بفترة مديدة على جوانب المرتفعات الصخرية، بأشكال متعددة: فى الصحراء الغربية، وجبل السلسلة، وفى غوبارى (المتاخمة لواحة الداخلة)، وفى جرف حسين (بالنوبة)، وبمواقع كثيرة فى الصحراء الشرقية: بصفة خاصة على جانبى الطريق المؤدى من "قفط" إلى "القصير"[٣] (رسم رقم ١).



١- منظر صيد - نقش على صخرة - سيلوا البحرى (مصر العليا) - عصر نقادة الأولى (حوالى عام ٤٠٠٠ق.م).

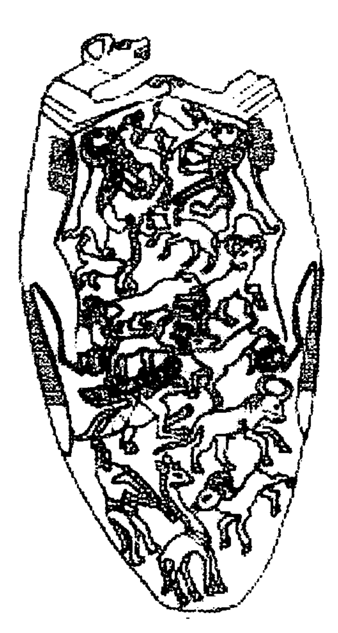
بداية من العصر الحجرى الحديث الأعلى، فى حوالى ٢٠٠٠٠ تكاثرت وتحددت المعلومات المتعلقة بأهالى مصر الأوائل. ورويدا رويدا تحولت إلى منطقة قاحلة مجدبة (حيث عادت ثانية فترة أكثر رطبا فى حوالى ٢٠٠٠٠). ولذلك، أراد الأهالى أن يتكتلوا حول أماكن المياه. وبداية من هذه الفترة، ترجع أولى الآثار المتبقية من رفات البشر التى اكتشفت فى أرض وادى النيل، وفى "نزلة خاطر"، فى مصر الوسطى[٤]. ثم ازدادت معالم الاستيطان البشرى، بداية من تلك الفترة، خاصة فى مصر العليا. وفى "وادى الكوبانية"، بشمال أسوان، كشفت التنقيبات عن وجود أهالٍ استقروا به، فى الفترة الواقعة ما بين (١٩٠٠٠-١٧٠٠٠) سواء فوق الكثبان والتلال، أو بالوادى؛ على مقربة من إحدى البحيرات. وعلى ما يبدو، أن هذه الأخيرة، قد تكونت قبل ذلك بوقت ما، حيث كانت تتغذى من مياه النيل. وهنا، كان الأهالى يمارسون، بكثافة أعمال الصيد فى تلك البحيرة، خاصة فى وقت التحاريق ونزول مستوى مياه الفيضان. حينئذ، كانت الأسماك تقع فى شرك انحسار المياه. وكانوا يزاولون صيد وقنص الطيور. وفى فصول الجفاف، يلجأون إلى صيد الحيوانات الضخمة، مثل الثيران الوحشية (المنقرضة حالياً)، والغزلان، والبقر البرى.

بعد وقت ما، فى مناطق "كوم أمبو" و"إسنا"، لوحظ فى العديد من المواقع قيام نمط من اقتصاديات صيد الحيوانات، والأسماك. وضمن الأنواع التى كان يتم صيدها أو اقتناصها، يتصدر المقدمة كل من البط والإوز. أما بمجال صيد الحيوانات الضخمة الحجم، فهى ذاتها السائدة فى "وادى الكوبانية"؛ يضاف إليها الحُمر الوحشية وحيوان فرس النهر. وخلال تلك الحقبة، حقيقة أن صيد الثدييات الضخمة قد اعتبر من أهم أوجه النشاط؛ ومع ذلك، لوحظ تطور وتزايد مختلف نشاطات صيد الأسماك والجنى والحصد؛ خاصة للنبات الحبِّية والعلفية.

وبشكل متواز، لوحظ نمو منتظم للسكان، ربما كان يرتبط بعادة تخزين المواد الغذائية (حفر تحفظ بها الغلال). وبدت واضحة للعيان درجة من الانتقال من حالة البدو الرحل إلى ظاهرة الإقامة الدائمة. ولقد أصبح ذلك أمراً مألوفاً دارجاً فى العصر

النيوليتى (الحجرى الأخير)[٥]. ومع ذلك، فبداية من تلك الحقبة، كان الأهالى يبدون دائما نصف رحَّل، يعيشون على صيد الأسماك، والصيد والقنص، والجنى والحصاد. ولقد استمرت هذه الحال حتى الألفية السادسة، على الأرجح نتيجة لغزارة وثراء المصادر الطبيعية. ثم أقبلت بعد ذلك فترة من الجدب، سرعان ما أخلت مناطق السهول من سكانها. وبالتالى، عادوا ثانيا إلى الاستقرار على ضفاف النيل.

فى ذاك الحين، ربما كان المصريون يقتنون، منذ وقت ما بعض أنواع الحيوانات، عملوا على استئناسها، وربما قد يتبادر إلى أذهاننا هذا السؤال: لماذا الاستئناس ؟ (وقد نتساءل أيضا: وكيف؟). وربما أن الإجابة المحتملة هى: لأن الاستئناس يتيح لهم الفرصة ليكون لديهم دائما بعض الحيوانات التى توفر لهم اللحوم واللبن. ولاشك أنه من الأسهل لهم قتل ثور محجوز بداخل مكان محوط بسور؛ بدلا من مطاردة الثيران الوحشية، مع كل المصادفات التى يتضمنها هذا العمل ! وأكيد، أن أسباب ودواعى اختيار الأنواع القابلة للاستئناس، قد يصعب تبينها .. فهناك الكثير من العوامل تتراءى فى هذا الصدد، مثل: احتمال سهولة أو صعوبة القنص والتربية، أو تفاوت درجة الاهتمام بالنوع .



٢- حيوانات الصحراء - لوحة نذرية - هيراكنوبوليس - حوالى ٣٥٠٠-٣٢٠٠ق.م - المتحف الأشمولى - أكسفورد.

ولكن، بالنسبة للكلب، فهو يعتبر كحالة خاصة: إنه سهل الاستئناس. ولا ريب، أنه سرعان ما أصبح عاملاً فعالاً فى مجال الصيد، وحراسة القطعان. وعموما، لا نستطيع

أن ننفى تماما، أنه كان يؤكل أحيانا !.. ومع ذلك، فإنه ما لبث أن، صار صديقًا للإنسان.

فى واقع الأمر أن عبارة التهجين أو الاستئناس، تشمل عدة لوائح متباينة. فقد نتساءل قائلين: الأبقار والثيران التى تعيش شبه - طليقة فى المزارع الكبيرة الخاصة، بجنوب الولايات المتحدة، هل هى مدجنة؟!.. عامة، لا يستبعد أبدا أن الثيران التى عثر على بقاياها فى صحراء مصر الغربية، قد عاشت بأسلوب مماثل. أى بالتحديد، كانت تتلقى غذاءها من الإنسان .. بدون أن تدجن أو تستأنس تماما. وعلينا ألا ننسى أن سياق وتطور هذا التهجين، قد تم على فترات زمنية طويلة الأمد.

وربما أن وجود بعض عظام الحيوانات فى مأوى سكنى يرجع إلى عصر ما قبل التاريخ، ليس بالقطع، فى جميع الأحوال، دليلاً دامغًا على ظاهرة الاستئناس: إلا إذا كان هذا التهجين قد أثبت بواسطة بعض التغيرات فى الهيكل العظمى للحيوان. وخلاف ذلك، قد يمكن استئناس وتربية حيوان ما تم اقتناصه صغيرا، فى حين أن الفصيلة التى ينتمى إليها قد بقيت على حالها الوحشية !.. وأخيرا، فإن الرسوم الجدارية بالكهوف الممثلة لبعض الحيوانات، قد تتطابق ببعض ممارسات الصيد؛ واقعية أو رمزية؛ ولا تعبر عن التهجين والاستئناس.

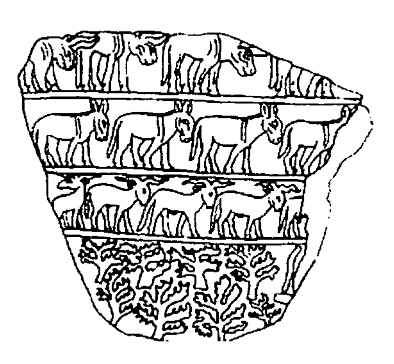
وبالنسبة للثور، فإنه يطرح مشكلة هامة. فهنا، تتراءى نظريتان اثنتان: هل ترى جاء الثور الأليف من منطقة الشرق الأدنى؟! أم أنه قد تم استئناس الثور الوحشى (Bos primiginius) الذى نشأ أساسا فى مصر؟!.. عموما، يبدو أن هذه النظرية الثانية هى الأكثر احتمالا. فإن بقايا الأبقار التى عثر عليها ببعض مواقع الصحراء الغربية، ترجع إلى حوالى ٨٠٠٠، وعلى ما يبدو أن هذه الصحراء، قد أصبحت وقتئذ، قاحلة مجدبة للغاية؛ لا تسمح بعيش الأبقار الوحشية فى نطاقها. ولكن الأمر يتعلق هنا بحيوانات تعيش مع الإنسان، وتحصل منه على غذائها. ثم هناك دليل آخر، يدعم فكرة وجود الثيران المستأنسة، يتراءى من خلال الرسوم والأشكال الجدارية بالكهوف، فى إطار هذه الصحراء الغربية ذاتها[٦] (لوحة ٤٩).

يتبين أن موقع "مرمدة بنى سلامة" (٤٥كم شمال غرب القاهرة)، قد أفعم خاصة بالمعلومات المتعلقة بالحيوانات إبان الحقبة الواقعة من أواخر الألفية السادسة إلى أواسط الخامسة. ونجد، أن إجمالى الحيوانات المهجنة التى تمت مطابقتها، يتكون، وفقا للتدرج التنازلى، من: الخنازير، والخراف، والماعز؛ ثم من الأبقار؛ التى تزايدت أعدادها بالرغم من ذلك، إبان استيطان الموقع. ولقد مثلت الكلاب أيضا فى هذا الموقع. ولكن، عن الحيوانات الكاسرة فكانت فائقة العدد؛ ومنها الثيران الوحشية، والظباء، وحيوان فرس النهر؛ وجميعها كانت تتخذ كغذاء. وهناك حيوانات أخرى، كمثل القوارض الصغيرة (فئران كبيرة، وفئران صغيرة، وفئران الجربيل، ويرابيع)؛ والثعالب، وثعالب الصحراء؛ وجميعها، تعد بمثابة جزء من هذا المشهد. كما عثر على الكثير من أنواع الطيور؛ وبصفة خاصة: البط، والإوز البرى، والسمان (وجميعها كانت بمثابة العنصر الأساسى لتكوين حظيرة الدواجن). وكانت هناك أيضا: طيور مالك الحزين، والكراكى، والبلشون، والعصافير المائية. ولكن يلاحظ أن القاعدة الأساسية الغذائية كانت تتكون من: الأسماك، خاصة: الجِرى (سمكة نهرية بلا حراشيف)، حيث تمت مطابقة الآلاف منها. كما وجدت أيضا كميات ضخمة من بلح البحر(٧).

وهناك موقع آخر، قدم الكثير من البقايا الحيوانية: إنه "المعادى" (على مقربة من القاهرة)؛ والتى يمتد تسلسلها التاريخى من (٣٨٠٠-٣٥٠٠ق.م). حيث تمت بها مطابقة أكثر من ٧٥٠٠ من بقايا لفقاريات. وضمن الحيوانات المدجنة، عثر على بقايا الثيران والأبقار، والخراف، والماعز والخنازير. ولكن، يبدو، فى هذه الحال، أن الثيران كانت هى السائدة. وكذلك كانت هناك حُمر، لم تكن متوافرة فى "مرمدة بنى سلامة" ولكن لا توجد كلاب. وعن الحيوانات الكاسرة، فتبدو، فى مجالنا هذا أقل تنوعا مما هى عليه فى "مرمدة". وأكثر الحيوانات تمثيلا وتصويرا هى: فرس النهر، والثيران الوحشية والزراف والوعل، وتيس الجبل. وضمن الطيور، كان البط والإوز الأكثر تمثيلا؛ ولكن، كان هناك أيضا طائر "الإبيس" والنعام. وشوهدت أيضا أعداد هائلة من الأسماك؛ يسودها جميعا: البلطى(٨).

بداية من الألفية الرابعة، احتلت البقريات مكانا هاما فى نطاق تمثيلات الرسوم والأشكال، أى بالضرورة فى الواقع، والخيال أيضا. وقد اكتشفت نماذج مصنوعة من الصلصال لثيران ذات قرون عالية، بالمقابر التى ترجع إلى حقبة "نقادة الأولى"[٩]. بعد ذلك، بفترة ما مثلت بعض البقريات فوق جدران المقبرة رقم (١٠٠) فى "هيراقنبوليس" (حوالى ٣٣٠٠): ربما أن مضمونها قد يعبر عن الصيد أو الحرب[١٠]، أما عن شكل الثور الذى يرمز إلى القوة الحربية المقاتلة، فقد مثل فوق لوحات التزين الرسمية؛ كمثل لوحة "نعرمر"؛ وبصفة خاصة "لوحة الثور" (لوحة ٤٢). عامة، فى كلتا الحالتين، يصور الثور وهو يطأ بحوافره أو ينطح بقرنيه أحد الأعداء البشر. ويحتمل، أنه، فى هذه الحال يرمز إلى الملك المنتصر الظافر على أعدائه.

إذن، لقد اتفقنا تقريبا، على وجود استئناس للبقريات فى مصر القديمة. وبالتالى، كانت الحال بالنسبة للخراف والماعز. فإن هذه الحيوانات قد وجدت بالمواقع المصرية، بدءًا من الألفية الخامسة. وعلى ما يعتقد أنها قد استؤنست فى الحقبة الواقعة ما بين الألفية التاسعة والسابعة بالشرق الأدنى: حيث أحضرت إلى مصر عبر سيناء[١١].



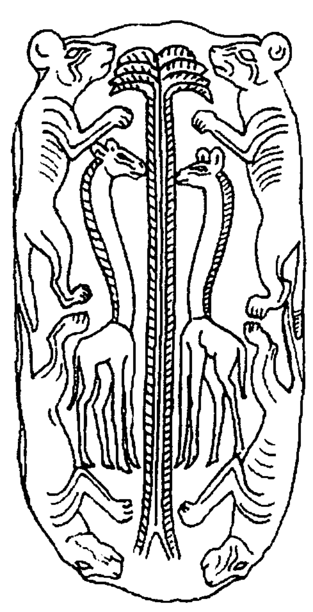
٣- بداية الحيوانات المستأنسة - أبقار - حمير - كباش "صلاية المدن" (من الخلف) - من حجر الشست - أبيدوس - حوالى عام ٣١٠٠ق.م. - المتحف المصرى بالقاهرة.

خلاف ذلك، استطاع المصريون أن يدجنوا أنواعا حيوانية أخرى كانت تجوب التخوم المجاورة لهم (شكل رقم ٣). وعن الخنزير، فلا يستبعد أن موطنه الأصلى: مصر. وهو من سلالة الخنزير الوحشى الذى كان يستوطن المناطق الرطبة فى الدلتا وبالواحات. ومع ذلك، فما زال هناك بعض الشك فيما يتعلق بتاريخ استئناسه. فإن البعض يقولون إنه لم يدجن قبل عصر ما قبل الأسرات. وربما نلاحظ أن التأبد، أى الإقامة الدائمة فى مكان محدد، هى الغالبة فيما يتعلق بتربية الخنزير. خاصة أن هذا الحيوان، لا تناسبه كثيرا حياة الترحال من مكان إلى آخر. وكذلك، هناك حيوان آخر، تم تدجينه فى حقبة مبكرة نسبيا: إنه الحمار، الذى ترجع بقاياه إلى أواسط الألفية الخامسة؛ حيث عثر عليها فى منطقة "جبل

حوف"، على مقربة من منطقة "العمرى". وكان هذا النوع من الحيوانات، يعيش فى أطراف مصر قبل ذلك، فى حالة وحشية (شكل ٣).

أما عن الكلب، فيتضح أنه قد تم استئناسه مبكرا جدًا عن أى حيوان آخر: فقد استهل هذا السياق فى جنوب غرب آسيا فيما بين (١٠٠٠٠-٨٠٠٠ق.م). ولاشك أن أول إقرار فى مصر بوجود الكلب المستأنس، يرجع إلى أوائل الألفية الخامسة. وربما قد يعتقد أنه من سلالة الذئب؛ ولكن الذئاب لم تعش فى أرض مصر. إذن، فعلينا أن نقر بأن الكلب قد وفد من الشرق الأدنى(١٢). وأكيد أن هذا الأخير، كان يعتبر قبل كل شىء كمساعد للإنسان: حيث يسهم فى ممارسات الصيد، وأيضا لحراسة قطعان الأغنام الأولية. وها هى آنية ترجع إلى بداية الألفية الرابعة، مُثل على جوانبها: رجل يمسك بإحدى يديه قوسا، وبالأخرى، بزمام أربعة كلاب، من فصيلة انتشرت فيما بعد بمختلف أنحاء مصر (لوحة ١)(١٣).

وهكذا يلاحظ: عند فجر الحقبة التاريخية، بدأت "بانوراما" الحيوانات التى تعيش فى وادى النيل والصحراء المتاخمة له، فى شكل مركب تماما. وحقيقة أن الكثير من الأنواع قد دجنت أو كانت فى طريقها إلى التدجين. ومنها أساسا بعض الثدييات، والبقريات، والحمر، والأغنام، والخنازير. ولكن، معظم هذه الأنواع، قد بقيت لأجيال مديدة، على حالتها الوحشية. ونرى أن الإوز والبط اللذين أثريا، بعد ذلك حظائر الدواجن منذ الدولة القديمة، كانت لا تزال على وحشيتها. وعن السنوريات، والأسود والنمور، فقد بقيت عند حدود الصحراء. وفيما يتعلق بالأفيال، والنعام، والزراف، فقد انسحبت وتقهقرت تدريجيا نحو المناطق شبه الاستوائية الأكثر رطبا (لوحة ٢، شكل ٤).



٤- صلاية مزخرفة بأشكال سباع وزرافتين - منحوتة من حجر الشست -

عصر نقادة الثانية (حوالى عام ٣٥٠٠ق.م.) - باريس - متحف اللوفر.

الفصل الثانى

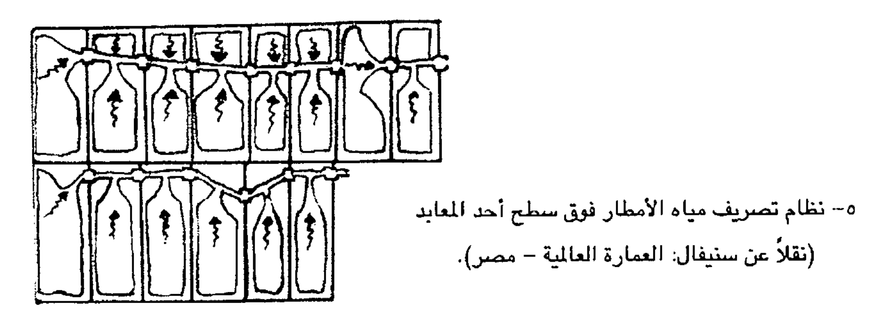
مساكنة مع الإنسان ..

علاقات مستقرة

في بداية الألفية الثالثة، أصبح الإطار معدًا والعناصر الفاعلة جاهزة

"الإطـــــار"

منذ ذاك الحين، استقر المناخ نسبيا على ما كان عليه ولكن، مع تطور بطيء للغاية نحو الجدب والقيظ اللذين سرعان ما تزايدا واشتدا خلال عهد المسيحية. ولاشك أن الزراعة فى "الوادى"، قد استفادت من أمطار السماء. وهذا ما يبينه وجود قنوات صرف المياه المجهزة فوق أسطح المعابد (شكل ٥)، والمزاريب فوق الجدران(١). مما يؤكد أن الأمطار كانت كافية تماما، بحيث كان من الواجب أن توضع فى الاعتبار (انظر لوحة ٤٣).



٥- نظام تصريف مياه الأمطار فوق سطح أحد المعابد
(نقلاً عن سنيفال: العمارة العالمية - مصر).

خلاف ذلك، فإن المياه اللازمة، كانت تقدم أساسا من جانب النيل. وقبيل الدولة القديمة، ثبت وجود نظام خاص بالرى تقام حوله المناطق المختلفة. فها هى رأس المذبة الخاصة بالملك "العقرب"، التى ترجع إلى أواخر الألفية الرابعة: تمثل الملك متوجا بالتاج الأبيض الخاص بمصر العليا، وهو يؤدى، بواسطة فأس، شعيرة زراعية، ذات صلة

بحفر قنوات الرى (يدور المشهد على ضفة إحدى القنوات، شكل٦). ولا ريب أن الزراعة المعتمدة على الرى، قابلة، أساسا للإضرار والخلل. فهى تفترض وجود حال مستقرة، مركزية، وكفيلة بتنظيم ومراقبة المجال الذى يشغله الأفراد. وخلاف ذلك، فإن الفيضان الذى كان يغطى الحقول المزروعة طوال ثلاثة أشهر كل عام؛ ويمحى حدودها تماما، كان يحتم وجود نمط من مسح الأراضى الزراعية والأملاك. ولا ريب أن هذا النظام يتيح للدولة الحصول بصفة منتظمة على حصتها من الثروات المنتجة: التى تتباين وتختلف وفقا لنوعية الفيضان: وقطعا، كان مستوى هذه الثروات، متغايراً، وغير متوقع.



٦- الملك يحفر إحدى القنوات - رأس دبوس الملك العقرب - هيراقنوبوليس -
حوالى عام ٣٠٠٠ق.م. - المتحف الأشمولى - أكسفورد.

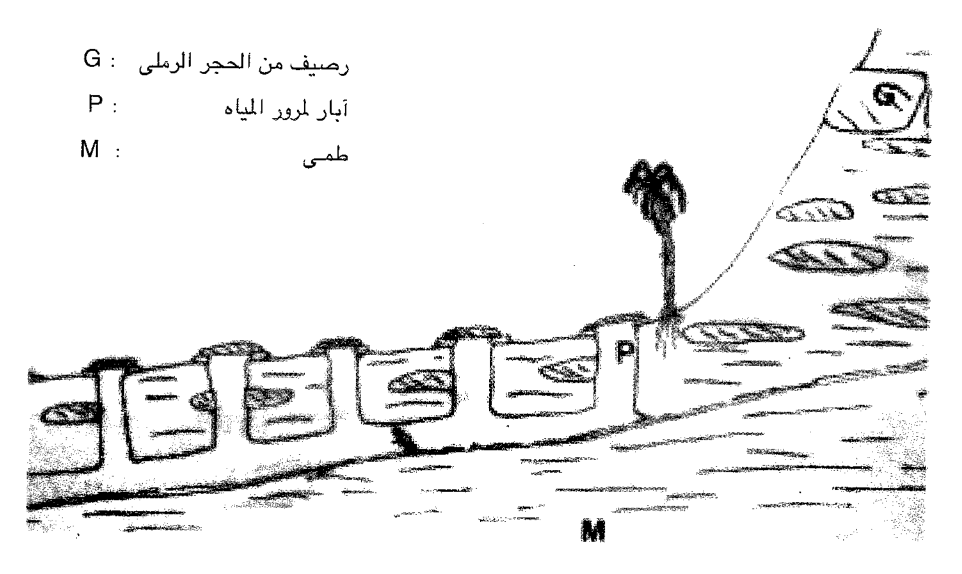
ولكى تعتبر الفيضانات مفيدة، يجب ألا تتسم بالغزارة الفائقة، أو الانخفاض البالغ. وبالإضافة لذلك، تحمل قدرا كافيا من الغرين الخصب. وفى إثر كل فيضان، كانت الضرورة تحتم عمل ترميم وإصلاح لنظام توزيع المياه. ويتبين أن هذه المتطلبات، قد حتمت منذ بداية الدولة القديمة، تكوين نظام إدارى، يلقب رئيسه بلقب: "المأمور المختص بحفر القنوات". ولا ريب أن تشغيل هذا النظام قد حثه ويسره اختراع الكتابة: تحديدا، فى أواخر الألفية الرابعة (حوالى ٣١٠٠-٣٠٠٠ق.م). ومؤكد أنه لم يتبق سوى عدد ضئيل من الوثائق والمستندات الإدارية السمات التى ترجع إلى تلك الفترة.

كانت الأسرات المتتالية تبذل أقصى جهدها لإحكام جهاز الرى. وخلال الدولة الحديثة خاصة، تمت فى الفيوم أعمال خاصة بالمياه، فائقة الأهمية. وقد عمل "سنوسرت الثانى" على حفر بعض الترع بداية من "بحر يوسف". ويعد هذا الأخير، بمثابة ذراع طبيعى للنيل، يصب فى بحيرة "قارون". ومن البديهى، أن إقامة القنوات، والجسور، والسدود، قد ساعدت حتمًا على استغلال مساحات هائلة من الأراضى. ولذلك، فإن عملية "تحويل" اتجاه المياه، نحو الزراعات قد استتبع انخفاضًا تدريجيًا لمستوى النهر(٤). وعلى مدى كل الحقبات التاريخية، كان يُبذل مجهود دائم من أجل منع اتساع المساحة الصحراوية واكتساب أراض جديدة للزراعة. ولم يكن هذا بالأمر الممكن، فى كل الأنحاء: ففى مصر العليا، كان الوادى يبدو ضيقا للغاية، ومحصورا بين جبال الصحراء الغربية ووعورة الهضبة الليبية. فإن مساحة عرض الوادى، عند أقصى مدى، لا تتعدى عشرين كيلو مترا.

خلال العصر الفارسى، تراءى تحديث مهم فى مجال شئون المياه؛ وهو: القناة. إنه بمثابة نظام حفر ترع ومصارف تحت سطح الأرض؛ يعمل على إمداد الحقول المزروعة بالمياه الآتية من البرك العالية القائمة فى جنبات التلال. ولقد عرف هذا النظام فى إيران. واتبع فى منطقة الواحات بالصحراء الغربية، التى لم تكن تحظى بمياه النيل. ويلاحظ أن "واحة الخارجة" قد زودت تماما بهذا النمط من النظم. ولكن هناك أمثلة له فى مناطق أخرى أيضا، خاصة واحة "البحرية" (لوحة ٣). وكانت المرات التى تسمح بانسياب المياه عالية بدرجة كافية، لكى يتمكن رجل ما من التقدم بها وينظف وينزح الأرضية (شكل ٧). ولقد ألحقت بها عدة فتحات، على بعد ٢٠ أو ٣٠ مترًا الواحدة من الأخرى: من أجل تتبع سريان المياه، وإمكان الدخول إلى شبكة القنوات.

ضمن مميزات هذا النظام، الذى يتطلب جهدا ضخما فى الحفر، ثم العناية الفائقة بالمرات: أن هذه الأخيرة، تقع تحت سطح الأرض .. وبالتالى، يقل التبخر بشكل ملحوظ. وكذلك، فإن هذه التجهيزات قد أضافت إلى الإمكانيات التى يوفرها وجود حقول المياه الجوفية السطحية، التى تنبثق مياهها طبيعيا من خلال الآبار

الارتوازية، والتى ساعدت من قبل على تطور هام فى المجال الزراعى. وتجدر الملاحظة أن نظام "القناة" برعايته وصيانته، وتطويره أيضا خلال العصرين البطلمى والرومانى، قد ساعد على ازدهار وتألق منطقة الواحات .. مما أتاح اتساع مدى المساحات المزروعة.



٧- رسم تخطيطى لحفر قناة بفتحات تسمح بنزول مجار مائية لتغذيتها.

خلال عصر البطالمة، حتم تدفق أعداد المهاجرين الإغريق ونظام الـ (clérouquies) توسيع مساحات الأراضى الصالحة للزراعة. وفى ذاك الحين، كان البطالمة يهبون لجنودهم حصصًا من الأرض الممنوحة تتراوح مساحتها وفقا لرتبة كل منهم. وذلك، لكى يثبتوهم بالأرض؛ وليكونوا فى متناولهم للمعارك المقبلة[٦]. ولاشك أن الاستعانة بالمعدات الجديدة، كمثل المسمار البورمة اللولبى الذى اخترعه "أرشميدس" و"الساقية"، قد ساعدت على الارتقاء بمستوى تقنية الرى، بل وسهلت أيضا أعمال الفلاحين.

وهكذا، عادت الفيوم ثانيا إلى حالة ازدهارها الفائق؛ بل بالإضافة لذلك، أصبحت منطقة تجارب فيما يتعلق بالزراعة والرعى (شكل ٨)[٧]. ويلاحظ أن المصادر الوثائقية

الثرية، المتنوعة، المتعلقة بتلك الحقبة، تقدم كمًا ضخما من المعلومات عن: التنظيم، والمراقبة، والاقتطاع من الثروات. وفى كل عام، بعد الفيضان، كان يتم قياس مساحة الأراضى؛ ثم يقدر مدى إمكانيتها وفقا لدرجة رطوبتها. بعد ذلك، تحديد كميات المنتجات التى يجب تقديمها للدولة، باعتبارها ضرائب وإيجارات زراعية.

ولقد بقيت الدلتا، حتى وقت قريب نسبيا، منطقة منفردة، مربعة الشكل بسبب العديد من تفرعات النيل. وقد تبين أن تلك المساحات الشاسعة المدى، المستنقعة، الثرية بالصيد والقنائص والأسماك، لا تتواءم مطلقا مع الزراعة. ولكنها اعتبرت كمرتع لرعى وتربية المواشى؛ وبصفة خاصة البقريات. ولقد حولتها الأعمال والمشاريع الضخمة (سدود ونظم المجارى والمصارف) التى نفذت خلال القرن التاسع عشر، إلى بستان مترامى المدى.

٨- خريطة لمشروع رى حقل أبوللونيوس فى فيلادلفى (الفيوم) - بين عامى (٢٥٨، ٢٥٩) قبل الميلاد تقريباً.

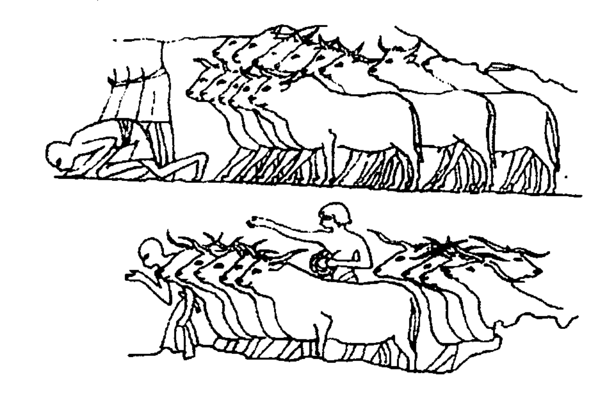
العناصر الفاعلة

بداية من الألفية الثالثة، خضعت الحيوانات لنمط نوعى خاص بها ظل مستقراً وثابتًا على مدى ما يربو على ثلاثة آلاف عام. وحقيقة، أن بعض الأنواع والفصائل قد تناقصت بعد ذلك. بل وجاءت غيرها. ولكن، لم يحدث ذلك أى خلل أو اضطراب بالنواة الأصلية البدئية.

الحيوانات المستأنسة

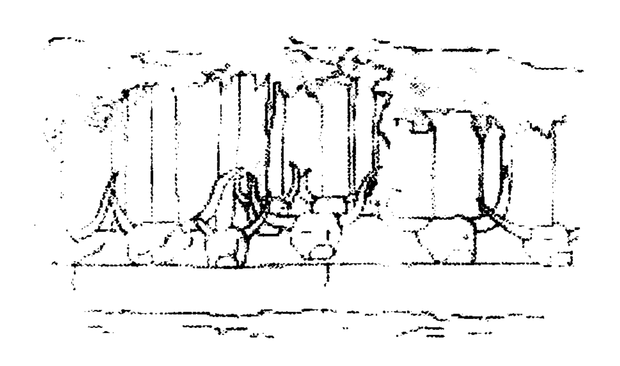
البقريات

يعتبر الثور من أقدم الحيوانات استئناسا فى مصر. ولقد أقر بالكثير من أنواعه قبل بداية الدولة الحديثة: فمنها، ذات القرون الطويلة الشكل على هيئة القيثار؛ وأخرى قصيرة القرنين؛ وغيرها مفتقرة تماما لأى قرون[8]. ولكنها ظلت لفترة طويلة. فهذا، بالفعل ما تثبته زخرفة مقبرة المدعو "نب آمون" فى طيبة، إبان الأسرة الثامنة عشرة (شكل ٩). قطعا، إن الثيران تستخدم فى استعمالات متعددة، وقبل كل شيء تعد من أهم مصادر اللحوم (لوحة ٤٤) كما أنها توفر الألبان اللازمة، واللحوم، والدهون. وخلاف ذلك، يستعان بجلودها لصناعة الجلد. ولقد أتيحت عملية الدباغة، خاصة، بفضل النترون: حيث وجدت مراكز هذا المعدن بغرب الدلتا، وبجنوب مصر[9]. وقد استعين بقرون الثيران لصناعة بعض الأشياء الصغيرة[10]. أما عن برازها فقد استعمل كسماد؛ وعند تجفيفه كان يصلح كوقود. كما اتخذت كوسيلة لجر المحراث، وأيضا، لتكسير وفصل الحبوب بنطاق الدراسة. وبدءا من الدولة الحديثة، شوهدت الثيران أيضا وهى تسحب جرارات وضعت فوقها التوابيت لنقلها إلى الجبانات. وفى عصر البطالمة، عندما ابتكرت "الساقية"، لا ريب أن الثيران قد ساعدت على إدارة العجلة العملاقة الأفقية.



٩- قطيع يتكون من مختلف أنواع المواشى. مقبرة نب أمون - طيبة - الأسرة الثامنة عشرة - حاليًا بالمتحف البريطانى.

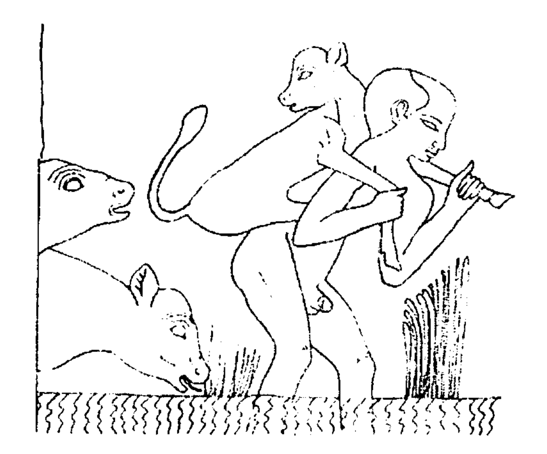
يتبين أن امتلاك المواشى، اعتبر بداية من عهد الأسرات الأولى بمثابة انعكاس لثراء وغنى، وسطوة الملوك الفراعنة. خاصة أنهم، خلال غزواتهم فى "ليبيا" أو "النوبة"، كانوا يستولون على أعداد ضخمة من المواشى: فخلال فترة حكم الأسرة الخامسة، غنمت إحدى غزوات "ساحو رع" فى ليبيا حوالى ١٢٣٤٤٠ رأس ماشية (بخلاف ٢٣٣٤٠٠ حمار، و٢٣٢٤١٣ ماعزًا، و٢٤٣٦٨٨ خروفًا)[١١]. وخلاف ذلك، على المستوى الرمزى، كان الملك يعزى لنفسه قوة هذا الحيوان الكاسر. وقد ثبت ذلك فعلا، إبان فترة ما قبل الأسرات من خلال "لوحة الثور" (لوحة ٤٢)، ثم، فيما بعد: من خلال لوحة "نعرمر": حيث يقوم ثور كاسر يمثل الملك بتدمير أحد الحصون، ويدهس أحد الأعداء تحت حوافره. وقد عبر عن هذه الرمزية ذاتها فى مصطبة الملك "جت – Djet" بسقارة: حيث زخرف الجدار ذو البروزات برأس ثور، صيغت من الصلصال، ويعتليها قرنان رأسيان (شكل ١٠). وإبان الدولة الحديثة تراءت ضمن عبارات المديح الملكية، صفات "الثور القوى"، "ذى القرنين الفولاذيين"[١٢].



١٠- رؤوس عجول أمام الواجهة الشرقية لمصطبة الملك "جت" بسقارة – الأسرة الأولى.

تمثل مشاهد المواشى غالبًا من خلال النقوش الغائرة بمصاطب الدولة القديمة. ويدل ذلك على مدى أهمية البقريات فى مجال اقتصاد الأملاك الكبرى الخاصة بالنبلاء وعلية القوم. ولقد دامت هذه الأهمية واستمرت إبان الدولة الوسطى، وهذا ما يبينه بالفعل التصميم المصغر لمقبرة "مكت رع" بالدير البحرى، حيث يصور تعداد القطعان. وفى مصطبة "تى" بسقارة؛ يمكننا مشاهدة البقّارين وهم يساعدون قطيعهم على عبور

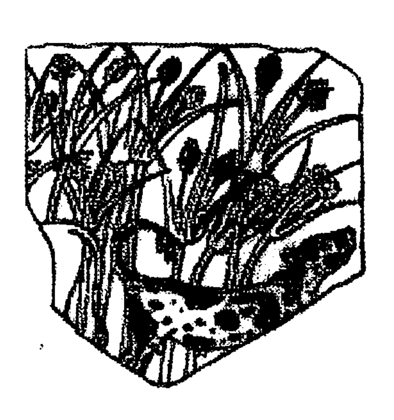
قناة ذات معبر. فيرى أحدهم وقد حمل فوق ظهره عجلا صغيرا، فى حين ترمقه الأم بنظرات قلقة، أثناء تتبعها له (شكل ١١). وينقل السرد الهيروغليفى الملحق بالمشهد صيحات رعاة البقر وهم يشجعون على العبور .. ربما من أجل تغير المرعى. وها هو مشهد مماثل فى مصطبة "إيدوت" بسقارة أيضا، حيث يبدو البقّار فى مركبه، وقد أمسك بالعجل الصغير لإنقاذه من الغرق أمام القطيع الذى يعبر سابحا. وفى منطقة الدلتا خاصة، كانت توجد المراعى الكفيلة بتوفير غذاء هذه الحيوانات الضخمة (شكل ١٢) التى كانت تلقى عناية ورعاية بالغتين خاصة فى وقت الوضع .. حيث كان البقّارون يمدون لها يد المساعدة (شكل ١٣)؛ وكذلك فى حالة المرض: فها هى إحدى برديات "كاهون" (من الأسرة الثانية عشرة؛ المحفوظة حاليًا فى متحف "بترى" بلندن)، تتضمن بعض الوصفات الطبية البيطرية المتعلقة بالمواشى(١٣).



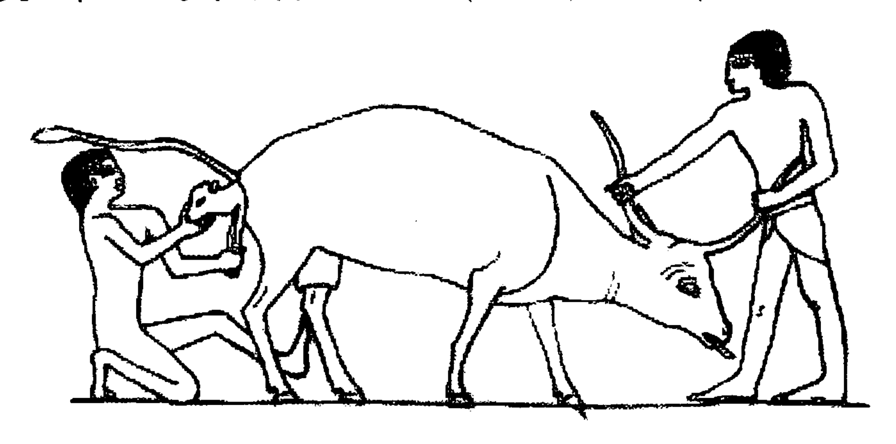
١١- اجتياز ضحل من الماء - مصطبة "تى" - سقارة - الأسرة الخامسة.

وقد صورت كثيرا مشاهد حلب الأبقار.

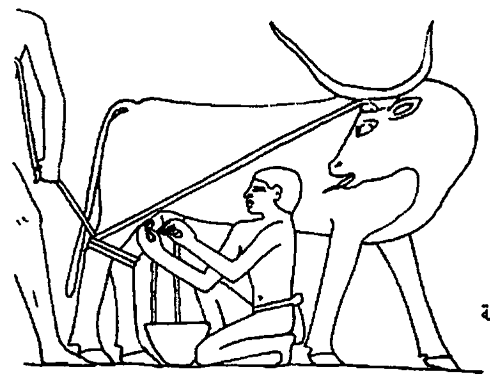
• فمن خلال أحد النقوش الغائرة بمقبرة "كاجمنى" (الأسرة السادسة)، بسقارة، يرى رجل منهمك، فى حلب بقرة ذات قرنين عاليين، وضرع صغير الحجم، وقد قيدت قوائمها الخلفية بحبل يربطها برأسها. ويبدو واضحا أن العملية تستلزم وجود رجلين اثنين، الأول للإمساك بالبقرة، والثانى لكى يحلبها، مما يجعلنا نظن أن هذا الحيوان يبدى مقاومة ما (شكل ١٤). ولكن على عكس ذلك، يلاحظ أن مشهد الحلب الممثل فوق تابوت الملكة "كاويت" (الأسرة الحادية عشرة)؛ الذى اكتشف فى الدير البحرى؛ ويحفظ حاليا بالمتحف المصرى بالقاهرة، يبدو أكثر هدوءاً. فنرى البقرة، غير مقرنة، ضخمة الضرع؛ ولم تقيد (ولكن قيد عجلها الصغير بأحد قوائمها الأمامية، لإعاقته من التقدم للرضاعة (شكل ١٥). وربما، قد نقر بأن البقرة الممثلة بالنقوش



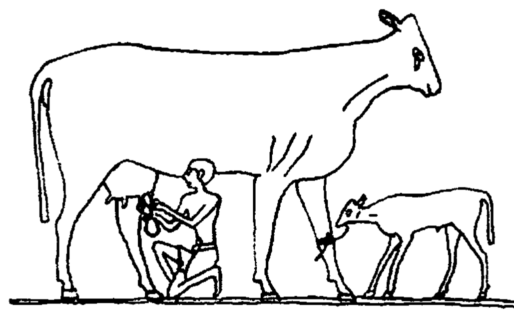
١٢- عجل صغير وسط نباتات مائية - بلاطة من القاشانى - تل العمارنة - الأسرة الثامنة عشرة - متحف اللوفر.



١٣- رجلان من رعاة البقر يساعدان بقرة على الولادة - مصطبة "كاجمنى" - سقارة - الأسرة السادسة.



١٤- منظر يمثل حلب بقرة - مصطبة "كاجمنى" سقارة - الأسرة السادسة.



١٥- منظر حلب بقرة - تابوت كاويت - الدير البحرى - الأسرة الحادية عشرة - حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة.

البارزة التى ترجع إلى الدولة القديمة (أشرنا إليها آنفا) تنتمى إلى فصيلة لم يتم استئناسها تماما. ولكن نلاحظ أن عادة تقييد أرجل البقرات الخلفية، خلال الحلب، قد أقرها الكثير من الأشكال والصور. وعلى ما يبدو، أن الحليب ومشتقاته (الزبادى والجبن) كانت له أهمية واضحة فى مجال التغذية بداية من الدولة القديمة. ومع ذلك، فإنه لم يستعمل فى تغذية المواليد، الذين كانوا يرضعون طبيعيا من أمهاتهم (أحيانا، قد تحل المرضعة مكان الأم). ولكن، نجد أن قرابين اللبن، كانت تحتل مكانة هامة فى نطاق طقوس وشعائر المعابد. وعلى المستوى الرمزى، فإن إرضاع الفرعون من ضرع البقرة "حتحور" أو من ثدى إحدى الربات، يضفى عليه الصفة الإلهية أو يدعمها فى كيانه (لوحة ٤٥)[١٤].

فى كثير من الأحيان، تصور المشاهد الخاصة بالجزارة. وبداية من الدولة القديمة وحتى الدولة الحديثة، تتكرر الحركات ذاتها، وتتراءى الأدوات نفسها. فيرى الحيوان ممددا فوق الأرض، وقد قيدت قوائمه، ويتم تقطيعه بأيدى الجزارين بوساطة سكاكين ضخمة. وفى الحين ذاته تنزع الأحشاء بمساعدة المعاونين. وكانت لحوم الثور تعد ضمن المواد الغذائية لدى الأثرياء. ولكن، نادرا ما يتناولها العامة من الناس. كما تعتبر من العناصر الأساسية ضمن خدمة القرابين المقدمة للأرباب وللموتى: فوق موائد القرابين، تمثل غالبا، بعض رؤوس وأفخاذ الماشية.

ويستعمل جلد المواشى فى صناعة أشياء متنوعة، مثل: النعال، والأحزمة، والقفازات، وواقى الأذرع من أجل النبالين، والجُعب؛ وكذلك لعمل عدة الجياد وكسوة العربات خلال الدولة الحديثة؛ عندما أحضر الحصان إلى مصر. ويلاحظ أن الأدوات الجلدية التى تبقت لنا، تعتبر قليلة نسبيا. ولكن، يجب أن نراعى، فى هذا الصدد سرعة تلف هذه المادة.

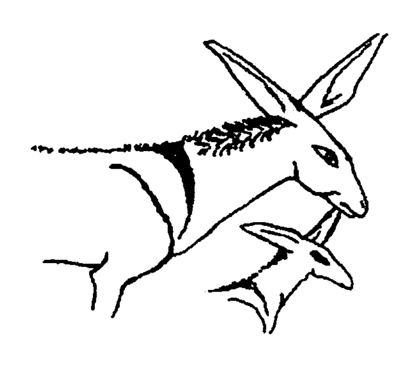
الحمــار

إذا كان "هيرودوت" يرى أن مصر هبة النيل، فإننا من ناحيتنا، يمكننا القول "إن الحمار قد شيد مصر". ويعد الحمار المستأنس (Equus asinus) ضمن الحيوانات التى



١٦- صيد الحمر الوحشية - صندوق ملون للملك توت عنخ أمون - مصنوع من الخشب المغطى بالجص - طيبة - الأسرة الثامنة عشرة - حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة.

استأنسها المصريون منذ زمن بعيد. وهو ينحدر أصلا من الحمار الوحشى بالنوبة، الذى ما زال باقيا حتى الآن؛ والذى كان وما فتئ يصاد ويقتنص منذ سنين موغلة فى القدم. وهذا ما تبينه مشاهد الصيد التى ترجع إلى الألفية الثانية؛ كمثل ذاك المصور فوق غطاء الصندوق الملون الخاص بـ"توت عنخ آمون" (شكل ١٦). وأحيانا قد يبدو الحمار المصرى أسود اللون؛ ولكن غالبا رمادى، وقد اعتلت



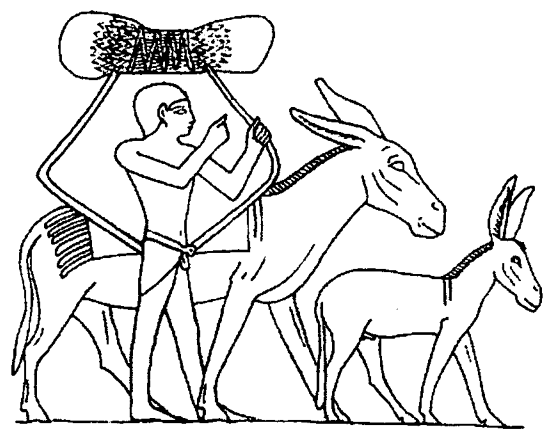
١٧- حمارة وصغيرها - رسم على شقفة حجرية من عصر الرعامسة.

رأسه لبدة شعر أكثر قتامة وصلب إلى حد ما، محددة عموده الفقرى. وغالبا، تنبسط أيضا حزمة من الشعر الغامق فوق كاهل الحيوان، ممثلة لشكل صليبى (لوحة ٥) (شكل ١٧). ولقد مثل الكثير من الحمر منذ أمد بعيد (وكذلك ثيران وكباش) فوق لوحة محطمة إلى حد ما، ترجع تقريبا إلى ٣٠٠٠ق.م. بالمتحف المصرى بالقاهرة (شكل ٣)؛ ويحتمل أن الأمر يتعلق هنا بالغنيمة التى جلبت من ليبيا.

فى كل الحقبات التاريخية، استعين بهذا النوع من الحمار أساسا فى أعمال الجر والترحال. ولكن، بصفة عامة لم يستغله المصريون فى مجال الإسراج؛ على عكس ما درج عليه جيرانهم بالشرق الأدنى، وخلافا لما هو سائد حاليا فى مصر. وقد أدرج ضمن خليط المواشى المتباينة فى الأملاك الكبرى. وهذا ما تفصح عنه الكثير من النقوش الغائرة فى سقارة. وبداخل مصطبة "تى"، يمكننا أن نتأمل مشهدا يصور قطيعا من الحمر المتوجهة نحو العمل؛ وقد أحاط بها رجلان حمّاران يمسكان بعصى؛ من الواضح أنهما سوف يستعينان بها. مؤكد أن سلوك الإنسان تجاه الحمار، كان يتسم دائما، فى كل الأزمنة بالعنف والخشونة.

من خلال أحد النقوش الأخرى بهذه المصطبة ذاتها، ترى أنثى حمار وهى تنقل نحو الساحة الخاصة بدرس الغلال حزمة ضخمة من سنابل القمح. ويبدا جحشها

الصغير وهو يعدو أمامها (شكل ١٨). وحتى يومنا هذا، لا يزال بإمكاننا أن نشاهد يوميا، فى إطار الريف المصرى، جحشا ما مرافقا لحمار بالغ كبير، لكى يتدرب على أعماله المقبلة. وباعتباره خفيف الوزن، لم يكن الحمار يستغل فى أعمال الحرث. ولكن، قد نقابله، فى أجواء الدرس، وهو يدهس سنابل القمح .. بشىء من الاعتراض والاحتجاج !! وهذا ما نلاحظه فعلا من خلال أحد النقوش فى مقبرة "نفر إيرت إنفس" بسقارة (شكل ١٩).



١٨- حمارة محملة بأحد الأحمال خلف صغيرها - مصطبة "تى" - سقارة.



١٩- حمير تدوس الحبوب فى الهواء الطلق - مصطبة "نفر إيرت إن إف" - الأسرة الخامسة - حاليًا بالمتاحف الملكية للفن والتاريخ ببروكسل.

ومن أهم الاستعمالات للحمار: أعمال الترحال خلال الحملات البعيدة المدى. وتسرد كتابات مقبرة المدعو "حرخوف" حاكم مصر العليا ورئيس خزانة الملك "مرنرع" (الأسرة السادسة) بأسوان تفاصيل حملة إلى بلاد "يام" (بمنطقة دنقلة): "فى نهايتها أحضرت قافلة مكونة من ثلاثمائة حمار إلى مصر؛ كميات من البخور، وخشب الأبنوس؛ وجلود الفهود، وأنياب الفيلة، وقذافات، وكل الأشياء الجميلة القيمة"[١٦]. وبعد مرور ألفى عام، فى العصر الرومانى، استمرت الاستعانة بالحمير، لإنجاز عمليات النقل ما بين وادى النيل ومحاجر الرخام والأحجار بالصحراء الشرقية؛ وكذلك مع الموانئ القائمة على سواحل البحر الأحمر[١٧].

الخراف والماعز

تعتبر الخراف والماعز أيضا، ضمن الحيوانات التى استؤنست منذ القدم. حيث عثر على عظام خراف وماعز بموقع فى "واحة الفرافرة"، ترجع إلى الألفية الرابعة[١٨]. وفى واقع الأمر فإن الخروف الأفريقى، ينحدر أساسا من أصل آسيوى (Ovis Orientalis). ولقد وجدت فى مصر فصيلتان من الكباش (بالمصرية القديمة: با ba).

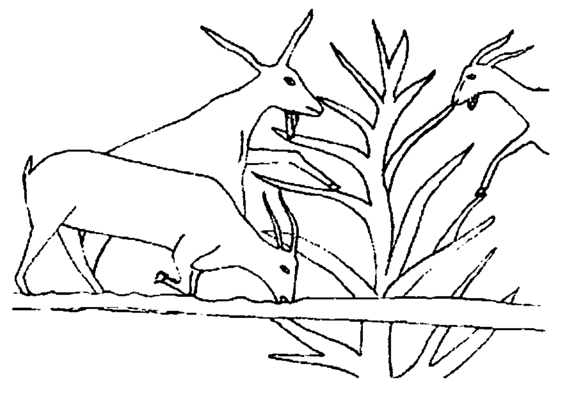


٢٠- رأس كبش من الخشب - حوالى الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة - مجموعة خاصة.

والأكثر قدما، أى الـ(Ovis longipes paleoaegyptiaca) ذات القوائم العالية، المرتفعة القرون الأفقية الشكل المبرومة الهيئة؛ ولها ذيل طويل. ورويدا رويدا، احتلت مكانها فصيلة أخرى ذات قرون ملتوية، وذيل قصير (Ovis platyoura)؛ كانت قد أحضرت إلى مصر من "آسيا"، خلال الدولة الوسطى (شكل ٢٠). بعد ذلك، بفترة مديدة، خلال الحقبة البطلمية، جلبت إلى مصر، بصفة تجريبية من بعض الفصائل الحديثة. وكان مصدرها آسيا الصغرى.

لا ريب أن الكبش كان يستعمل للحصول على لحمه. ولكن لا يبدو، أنه قد مثل ضمن القرابين المقدمة للآلهة وللموتى. وبخلاف الفصيلة ذات القرون المبرومة، والتى لم تكن تتميز بجزة صوفية، يلاحظ أن الفصيلة ذات القرون الملتوية كانت تستخدم من أجل صوفها: خاصة فى مجال صناعة الأغطية والمعاطف. وفيما عدا ذلك، كانت الخراف تستعمل فى الأعمال الزراعية: حيث تعمل على طمر التقاوى، بدهسها لأراضى الحقول. لأن المحاريث كانت لا تحفر خطوطا كافية العمق. وكذلك كانت تدرس وتهرس السنابل المكومة فى ساحات درس السنابل؛ مثلما تفعل الحمير والثيران.

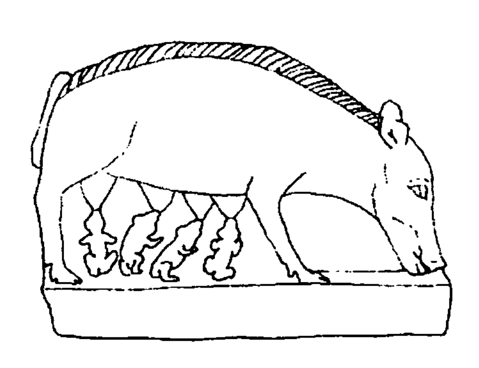
أما عن الماعز، فكانت منذ وقت ما فى مدار الإنسان منذ العصر النيوليتى؛ مثلها كمثل الخراف. ولا ريب أن بساطة مأكلها، وقوة مقاومتها، ومقدرتها الحركية، قد جعلتها بمثابة الحيوان النموذجى من أجل الأهالى الرحل أو شبه الرحل. وخلال الدولة القديمة، انضمت قطعان ضخمة من الماعز إلى مجموع المواشى القائمة. وبداخل مصطبة شخص يدعى "آخت حتب"[١٩]، تصور بعض النقوش الغائرة عددا من الجديان أثناء قضمها لأوراق إحدى الأشجار(شكل٢١)؛ وفى ذات الحين ترى إحدى إناث الماعز وهى تضع مولودها. وكانت الماعز تستعمل كحيوان يذبح ويؤكل لحمه. أما جلدها، فيتخذ بمثابة سجاد؛ وتصنع منه أيضا بعض القرب. وفيما يتعلق باستهلاك لبنها، فلم يقر به إقرارا حاسما.



٢١- جديان تاكل من ورق الشجر - مصطبة "آخت حتب" - سقارة - الدولة القديمة - متحف اللوفر.

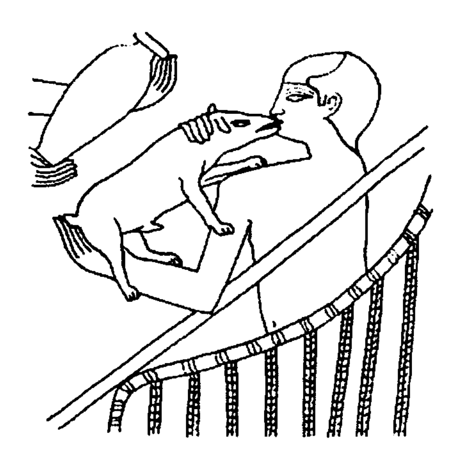
الخنزيـر

ظهر الخنزير أيضا منذ وقت مبكر جدا فى "مرمدة بنى سلامة" (من ٥٤٠٠ إلى ٤٥٠٠ق.م). وعلى غرار الماعز والخراف فهو أصلا آسيوى. ولكنه، مع ذلك، قد عاش فى حال وحشية بالمناطق الرطبة فى مصر. ويبدو شكله أكثر شبها بالخنزير الوحشى من الخنزير الذى نراه عادة. كما أنه يتميز خاصة بصف من الخز الذى يحدد العمود الفقرى(شكل ٢٢). أما الخنازير الصغار، فهى تبدو مخططة الظهر، كمثل الدويل الوحشى. ويتطلب استئناس الخنزير الإقامة الدائمة فى مكان ما؛ والابتعاد عن المأوى شبه الصحراوى، لأن الخنزير يعد كمشَّاء صعلوك، ومولع بالأماكن الرطبة. ولقد بينت البقايا العظمية التى عثر عليها فى مختلف المواقع، بداية من العصر النيوليتى (الحجرى الحديث) وخلال الحقبة التاريخية كلها، كان موجوداً بكثرة فى مختلف الأجواء. ومع ذلك، تعتبر ضئيلة نسبيا. وها هو أحد النقوش الغائرة بمصطبة "كاجمنى" فى سقارة (شكل ٢٣)؛ كانت تفسر غالبا، بأنها تمثل رجلا أثناء إطعامه لخنزير صغير: بأسلوب ":فم – لـ – فم". وفى واقع الأمر أن قوائم الحيوان، تبدو، بلا جدال، كقوائم كلب !! ولقد ساد الاعتقاد لفترة مديدة بوجود نمط من "التابو" المطلق: بخصوص أكل لحم الخنزير. وباعتباره مدمجا بصورة "ست"، الإله "الشؤم" الضار، فلم يستعن به فى نطاق القرابين الدينية والجنازية[٢٠]. ولكن من المؤكد، أن العامة من طبقات الشعب كانت تستهلكه على أوسع مدى. وهذا ما تثبته العظام التى عثر عليها فى المستودعات والمزابل .



٢٢– خنزيرة ترضع أطفالها – العصر المتأخر – المتحف البريطانى.

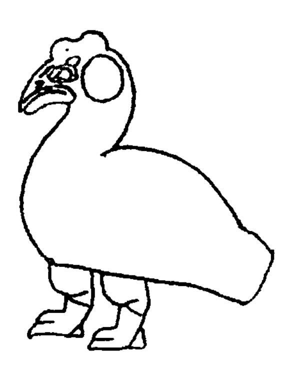
ولكن، بداية من الدولة الحديثة، تطورت تربية الخنازير. فبداخل مقبرة "نب أمون" فى طيبة، تصور المشاهد بعض الرعاة وقد أحاطوا بمجموعة خنازير أثناء دهسها للأرض التى بذرت بها التقاوى حديثا. ولقد لاحظ "هيرودوت" هذه الممارسة عند زيارته لمصر. فها هو يقول: "بعد انحسار الفيضان، يقوم الفلاحون ببذر الحبوب فى حقولهم؛ ويطلقون بها عددا من الخنازير. وبذا، فإن هذه الأخيرة وهى تدهس الأرض، تعمل على غرس وطمر التقاوى بداخلها. وعند إتمام الحصاد، يجعلونها تدوس على سنابل القمح فوق سطح الأرض(٢١).



٢٣- إرضاع كلب صغير عن طريق الفم - مصطبة "كاجمنى" - سقارة - الأسرة السادسة.

الحظيرة

قد تكون الحظيرة مكتظة، ولكنها، لا تحوى أنواعا مختلفة ومتباينة. ولفترة طويلة، كانت تصور، وقد امتلأت بالإوز (خاصة الـ Alopochen aegyptiaca et Anser albifrons)(٢٢)، والبط (أساسا الـ Anas acuta). وعن دجاجة الغرغر أو الدجاج الفرعونى (Numida meleagris) فقد مثلت، بداية، فوق جزء من اللوحة التى ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات؛ والتى تعرف باسم صلاية ساحة القتال، وهى محفوظة حاليا بالمتحف الأشمولى



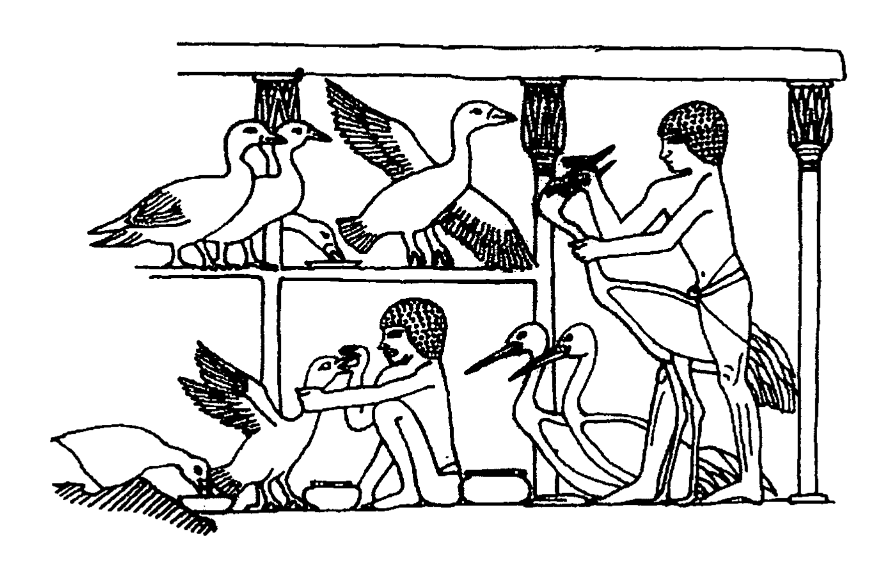
٢٤- دجاجة الفرغر - لوحة ساحة القتال - أواخر عصر ما قبل الأسرات - شقفة محفوظة حاليًا بالمتحف الأشمولى - أكسفورد.

باكسفورد (شكل ٢٤)[٢٣]. ولكن، يبدو أن دجاجة الغرغر هذه لم توجد فى مجالات تربية الطيور. ومع ذلك، فقد استعملت صورتها كرمز هيروغليفى (العلامة الصوتية nh). وحقيقة قد مثل ديك فوق إحدى الأوستراكا التى ترجع إلى عصر الدولة الحديثة (الأسرة التاسعة عشرة، شكل ٢٥)[٢٤]، ولكن، كان يجب الانتظار حتى مجىء الحقبة الإغريقية الرومانية، لرؤية الدجاجيات (ديوك ودجاج)، وهى تنتشر فى مصر؛ آتية من "آسيا".



٢٥- ديك مرسوم على شقفة حجرية - من وادى الملوك بطيبة - الأسرة التاسعة عشرة - المتحف البريطانى.

بدءا من الدولة القديمة، من خلال النقوش البارزة بالمصاطب، كانت ترى مشاهد تربية الإوز والدجاج. ومع ذلك، فلم يكن يستبعد أبدا اقتناص بعض الإوز والبط، من أجل تكوين الحظائر. خاصة أنها كانت تتكاثر بوفرة بالغة فى مستنقعات الدلتا. ولقد صورت مشاهد صيد الطيور المائية من خلال النقوش البارزة بمصاطب سقارة، خلال الدولة القديمة. ثم تراءت ثانيا بالرسوم الملونة بمقابر الدولة الحديثة؛ كما هى الحال بالنسبة لمقبرتى كل من "منّا" أو "نب آمون". وكان الاقتناص يتم بواسطة الشباك. ونجد أن مختلف فصائل الإوز التى عرفها المصريون، قد مثلت فوق إفريز الإوز الشهير بـ"ميدوم" (الأسرة الرابعة)، ويحفظ حاليا بالمتحف المصرى بالقاهرة. ومن خلاله، مثلت بمنتهى الدقة والبراعة ست إوزات، من ثلاث فصائل متباينة:(Anser albifrons A. fab-alis , A. ruficollis)، كانت الطيور الداجنة تتغذى بالحبوب. وأحيانا، كانت تزقم. وهذا ما تبينه بالفعل أحد النقوش الغائرة بمصطبة "سويدو حتب" فى سقارة، (الأسرة الخامسة، المحفوظ حاليا بمتحف برلين)، (شكل ٢٦).

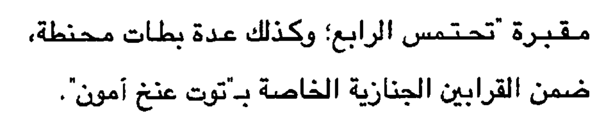


٢٦- تزقيم الإوز والكركى - مصطبة "سويدوحتب" - سقارة - الأسرة الخامسة - المتحف المصرى بالقاهرة.

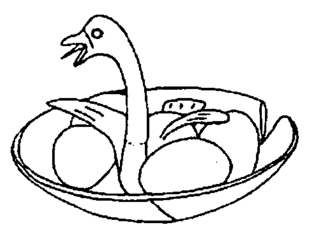
على مدى الحقبة الفرعونية كلها، كان للطيور الداجنة دور هام فى مجال التغذية: ولقد مثلت كثيرا فوق موائد القرابين. وها هى دراسة فنية فوق شقفة من الحجر الجيرى، عثر عليها فى تل العمارنة: تمثل أميرة شابة (ربما تكون إحدى بنات أخناتون) وقد انهمكت فى التهام إوزة صغيرة بشهية بالغة (شكل ٢٧). ولقد عثر على بعض الإوزات المحنطة فى



٢٧- إحدى بنات أخناتون تأكل إوزة - شقفة حجرية من تل العمارنة - الأسرة الثامنة عشرة - المتحف المصرى بالقاهرة.



مقبرة "تحتمس الرابع؛ وكذلك عدة بطات محنطة، ضمن القرابين الجنازية الخاصة بـ"توت عنخ أمون".



٢٨- طائر صغير من الخشب معه أربع بيضات من الحجر فى صحن من المرمر مقبرة توت عنخ أمون - طيبة - الأسرة الثامنة عشرة - المتحف المصرى بالقاهرة.

أما عن بيض الإوز وإناث البط، فقد صورت كثيرا ضمن القرابين الجنازية (شكل ٢٨)، وأدمجت مع المواد الغذائية الأخرى. وغالبا كان يؤكل كما هو، أو يستعمل فى إعداد الخبز أو الفطائر والحلوى. ترى، هل استهلك المصريون بيض طيور أخرى؟ ربما فعلوا ذلك بالنسبة للسمان والحمام. وعلى أية حال، فما زال السؤال مطروحا بالنسبة لبيض البجع (أبو جراب) الذى صور من خلال أحد رسوم مقبرة الكاتب "حورمحب" (شكل ٧٧)[٢٦] (لوحة ٧٠).

يلاحظ أن الحمام، أو بالأحرى اليمام (Streptopelia turtur) الذى يميز بوساطة "قلادته" الممثلة بكل دقة وعناية من خلال الرسوم والنقوش الغائرة، قد أضيفت إلى الغذاء وقرابين الموتى بداية من الدولة القديمة. وعادة، كان يربى بالحظائر، كما يبين أحد النقوش البارزة بمصطبة "تى" فى سقارة، حيث ترى مجموعة من الإوز، والبط، والحمام؛ تحت إشراف ومراقبة أحد الخدم. وفى مصطبة "مرروكا"، مثل بعض الحمام بداخل حظيرة؛ وقد انهمك أحد العاملين بتغذية (أو ترقيم) إحداها. ولا ريب أن الحمام من الحيوانات السهلة الاستئناس، الولود المثمرة للغاية. وما زال حتى يومنا هذا، يعد بمثابة أحد العناصر الغذائية الأساسية فى مصر. ولقد تمت تربيته وتطورت كثيرا خلال العصر الرومانى. وهذا ما توضحه وتثبته الكثير من آثار أبراج الحمام التى ترجع إلى تلك الحقبة. ويلاحظ أن هذه الأبراج الضخمة الهائلة تعد دائما ضمن المشهد الطبيعى للريف المصرى.

النحـل

قطعا، لا يتعلق الأمر هنا بحيوانات مستأنسة (stricto sensu) بكل معنى الكلمة. بل بالأحرى: حيوانات تمثل ضرورة فائقة. خاصة أنها كانت تمد قدماء المصريين بمصدرهم الأساسي للسكر. ويحتمل جدا، أن المصريين بداية من عصر ما قبل التاريخ؛ كانوا يجنون العسل البرى؛ بل وربما أنهم بدأوا استئناس النحل. وعلى أى حال، فهم، من بداية الأسرة الخامسة، قد نجحوا فى تربيته. وهذا ما توضحه فعلا أحد النقوش الغائرة بمعبد الشمس الخاص بـ"نيو أوسر رع" فى "أبو غراب" (أبو صير، الأسرة الخامسة). ولا يستبعد أبدا، خلال تلك الفترة، أن العسل كان مخصصاً فقط من أجل المائدة الملكية، أو للقرابين المتعلقة بالآلهة.

انتشرت تربية النحل خلال الحقبات التالية؛ بصفة خاصة فى الدولة الحديثة. ولقد صورت هذه الممارسة فى الزخرفة القائمة بمقابر طيبة الخاصة بكبار الشخصيات؛ وبالتحديد فى مقبرة "رخميرع"[٢٧]. حيث يشاهد اثنان من مربى النحل منكبان على بعض الخلايا لاستخراج العسل. فها هو أحدهما يمسك بما يشبه وعاء التدخين؛ أما الآخر، فإنه يقوم بوضع أقراص العسل فى السلال. وهناك أيضا مربو نحل آخرون منهمكون فى ملء الجرار ثم ختمها. وفى المقبرة القائمة بطيبة، الخاصة بـ"بابازا" (رقم ٢٧٩)، التى ترجع إلى أوائل الأسرة السادسة والعشرين: يرى بعض مربى النحل أثناء ممارستهم لعملهم. وأمامهم صف من الجرار المستطيلة الشكل، التى قد يعتقد أنها بمثابة خلايا (شكل ٢٩). ومن المعروف، أن الخلايا يجب أن يُغير مكانها، على أقل تقدير، مرتين كل عام، وذلك حتى يستطيع النحل أن يخزن مؤنته من الزهور فى أماكن ملائمة؛ وينتج عسلا رفيع القيمة. ولقد أقرت هذه الممارسة من خلال الوثائق والمستندات الإغريقية التى ترجع إلى عصر البطالمة؛ ولاشك أنها كانت سائدة فى الحقبة الفرعونية[٢٨]. ونجد أن نقل خلايا النحل ما زال يمارس فى أيامنا هذه، وبأقطارنا وبقاعنا. ورغم انتشار تربية النحل وإنتاج العسل، فإن العسل لم يكن من المنتجات الدارجة الاستهلاك .

ولقد أوضحت دراستنا لأهالي واحة "الخارجة" خلال العصر اليوناني الروماني، أن حالات تسوس الأسنان كانت نادرة. وهو ما يشير إلى انخفاض كبير في استهلاك السكر(٢٩). ولاشك أن العسل كان يعتبر فعلا كمنتج متميز: حيث كان يتضمن في الضرائب التي يقدمها الأجانب لملك مصر.



٢٩- جمع العسل - مقبرة "بابازا" - طيبة - الأسرة السادسة والعشرون.

لقد أدمج العسل في الكثير من الوصفات الطبية باعتباره ملطفًا، أو لمزاياه العلاجية. كما أدخل كأحد العناصر في الكثير من تركيبات دهانات الشعر؛ وكذلك بالعطور.

وكان العسل والشمع اللذان يقدمهما النحل من المنتجات التي تستخدم في عملية التحنيط. ويدخل الشمع في تركيب الدهانات العطرية المستعملة لتضميخ جثمان المتوفى؛ وهي تدرج دائما في قائمة تكاليف الجنازات. وقد تتم مطابقته فعلا من خلال التحليل الكيميائي لمواد التحنيط. وحقيقة أن العسل يذكر أيضا في بيان مصروفات الجنازات، ولكنه، على ما يبدو، لم يستعمل في هذا المجال إلا بصفة استثنائية(٣٠). وها هو طبيب من بغداد يدعى "عبد اللطيف" (القرن الثاني عشر) ينقل هذه النادرة؛ التي تثبت أن العسل كان يستعمل في مجال التحنيط. فيقول: إن بعض سالبي وناهبي المقابر، عندما قاموا بتذوق العسل الذي تحويه إحدى الجرار التي

عثروا عليها فى إحدى المقابر .. قد اكتشفوا، فى قاعها، مومياء طفل صغير(٣١). وربما أن هذه الأقصوصة؛ تميل إلى الأسلوب الأسطورى. ولكن، من المؤكد أن السكر الشديد التركيز، يمنع تطور ونمو الـ micro-organisms(٣٢)(الجراثيم والميكروبات!).

ولقد رسخت السمة المقدسة للعسل وأقرت من خلال أحد النصوص التى تقول: إنه ينبع من دموع الإله "رع": "إن دموع عينيه قد سقطت فوق الأرض، وتحولت إلى نحل، وهكذا تولد الشمع؛ وكذلك وُلد العسل"(٣٣). وفى هذا الزمن، بداية من الأسرة الأولى، نجد أن الملك، من خلال قائمة وظائفه وألقابه الرسمية، يحمل اسم:"نسوبيت: nesou-bit" وترجمتها حرفيا: "المنتمى إلى الآسل والنحلة". والآسل كان يرمز لمصر العليا، أما النحلة فهى ترمز لمصر السفلى. وقد ارتبطت النحلة فعلا بأكثر ربات مصر قدما، ألا وهى الربة "نيت" بـ"سايس" فى الدلتا؛ وكان معبدها يسمى بـ"قصر النحلة".

التخلى عن بعض محاولات الاستئناس

ربما حاول المصريون، خلال الدولة القديمة، استئناس بعض أنواع الحيوانات التى تعتبر فائدتها وجدواها موضع جدال فى نظر إنسان القرن الحادى والعشرين. وقد نعتقد أنهم قاموا بمحاولات ما فى وقت كانوا لا يحيطون فيه تماما بعالم الحيوان.

مثلت الكثير من أشكال طيور الكركى من خلال النقوش الغائرة بمصاطب الدولة القديمة (شكل ٣٠). ويتضح أن المصريين قد حاولوا تدجينها؛ فهذا ما يبينه أحد مشاهد التزقيق المنقوشة في مصطبة "سوبدو حتب" (ينظر شكل ٢٦). وهناك أيضا نقوش بارزة، ترجع إلى الحقبة ذاتها، تبين مجموعة من طيور الكركى وقد أحاط بها بعض المربين المسكين بعصى صغيرة؛ وكذلك، يرى أيضا بعض الأشخاص وهم يقدمون قربان طائر الكركى لأحد المتوفين(٣٤).



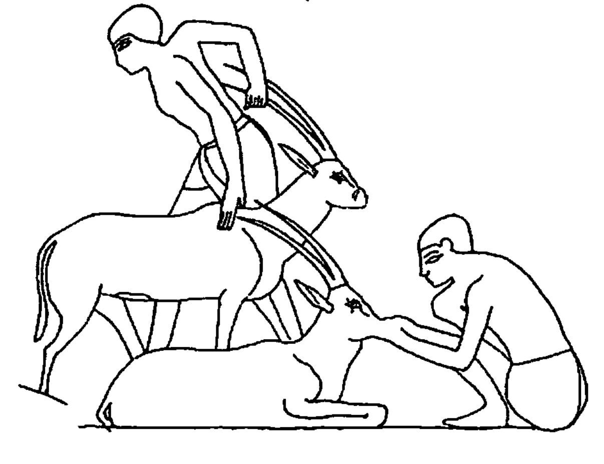
٣٠- طائر الكركى - رسم على شقفة حجرية - عصر الرعامسة - المتحف المصرى بالقاهرة .

على ما يبدو إذن، أن المصريين قد استعاضوا عن الطيور التى تتكاثر فى الأسر ولجأوا إلى الأنواع المقتنصة: التى يربونها ويغذونها فى الحظيرة. ومن المعتقد أيضا أنهم قد استحسنوا كثيرا لحم الكركى، حيث أمكن تحسين مذاقه، من خلال تغذيته بالحبوب. ولاشك أن محاولة استئناس حيوانات متباينة الأنواع، كمثل: الوعل، (شكل ٣١-٣٢)، والغزال والبقر الوحشى التى تنتمى جميعها إلى فصائل متقاربة، كان يبدو منطقيا فيما يتعلق أيضا بتدجين الماعز الوحشى. ولكنها لم تتوج بالنجاح. فلقد أثبتت تلك الحيوانات وجودها الفعلى من خلال النقوش الغائرة، بداية من الدولة القديمة حتى الدولة الوسطى: حيث يرى بإحدى مقابر بنى حسن بعض الحراس أثناء مراجعتهم لها.

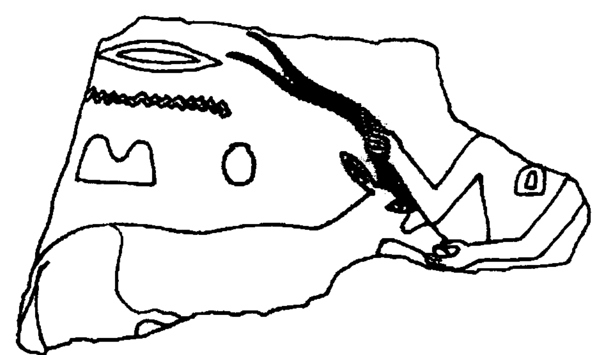
ويصور أحد الرسوم الملونة بمقبرة المدعو "آتف" فى ميدوم (الأسرة الرابعة)، رجلا منهمكا فى تقديم الغذاء بيده لغزال dorcas (شكل ٣٣). ولكن، بداية من الدولة الحديثة، بدا واضحا أن الغزلان لم تكن تتخذ إلا كحيوانات مرافقة فحسب: فها هى غزال صغيرة مستأنسة ماثلة تحت مقعد "بابازا" فى مقبرته. كما عثر على بعض الغزلان الخاصة بالمصاحبة، فى مقبرتين بطيبة. ففى المقبرة رقم (٣٢٠) أى الخبيئة الشهيرة المتضمنة للمومياوات الملكية فى الدير البحرى؛ وجدت إحداها وهى لا تزال بداخل تابوت خشبى صغير يبدو حيوانى الشكل (صورة ٣٤). إذن، فالأمر يتعلق، فى هذا الصدد بحيوان قدره المصريون كثيرا. بل واستعانوا به، وبمختلف أنواع الظباء ليكون بمثابة وحدة زخرفية كررت دائما فوق القطع الفنية التى تدل على الترف والبذخ والأبهة.



٣١- تربية الوعول - مقبرة خنوم حتب - بنى حسن - الأسرة الثانية عشرة.



٣٢- تحجيم أحد التيوس من قرنيه - سقارة - الأسرة الخامسة - متحف المتروبوليتان بنيويورك.



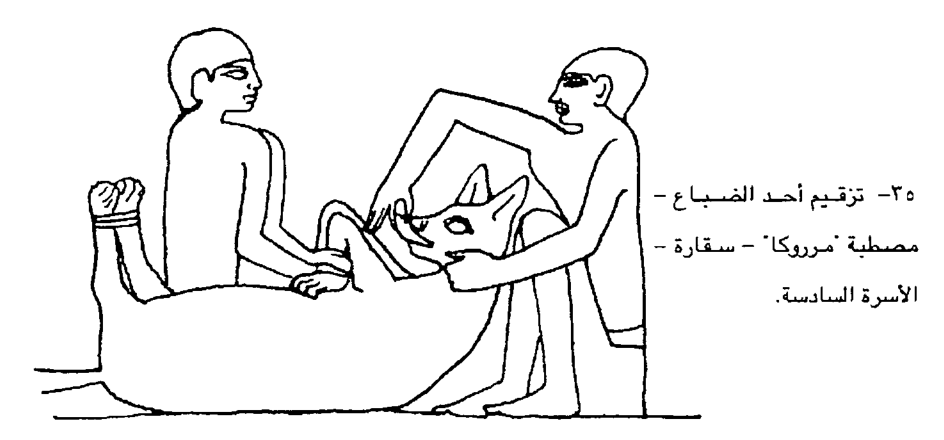
٣٣- رجل يطعم وعلاً - مقبرة "آتت" - ميدوم - الأسرة الرابعة.



٣٤- تابوت لغزال بداخله حيوان محنط- من الخشب- مقبرة "إست حم خب" -طيبة- الأسرة الواحدة والعشرون- المتحف المصرى بالقاهرة.

بالرغم أن ذلك قد يثير الدهشة والعجب؛ فقد حاول المصريون تربية الضباع بعد اقتناصها. عموما، يمكننا أن نرى مشهدا لتلقيم أحد الضباع، من خلال بعض النقوش البارزة بالمصطبة الخاصة بـ"مرروكا" فى سقارة (شكل ٣٥). فها هو الحيوان مستلقى على ظهره؛ وقد قيدت قائمتاه الخلفيتان؛ وفى ذات الحين، يقوم أحد المساعدين بإمساك قائمتيه الأماميتين؛ ويعمل أحد الخدم على دس الطعام فى خشم الحيوان.

وربما قد نتساءل عجبا: هل المصريون قد تغذوا فعلا بلحم الضبع .. خاصة أن نوعيته تعتبر مثارا للجدل ؟!



٣٥- تزقيم أحد الضباع - مصطبة "مرروكا" - سقارة - الأسرة السادسة.

الحيوانات القريبة من الإنسان

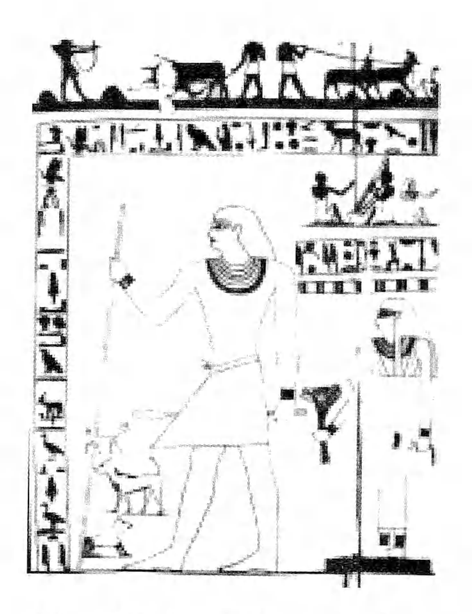
الكلب

يعد الكلب (Canis familiaris)، فى مصر من أكثر رفقاء الإنسان قدما، مثلما هى الحال فى العديد من البقاع الأخرى. ولقد عثر على بعض عظام الكلاب المستأنسة، فى موقع "مرمدة بنى سلامة" (٥٤٠٠-٤٥٠٠ق.م.)، وكذلك خلال الحقبة ذاتها، فى الكثير من مواقع "قفط الكبير". وبداخل المقابر القائمة بموقع الهمامية فى مصر الوسطى (الألفية الرابعة) عثر على جماجم بعض الحيوانات؛ التى كانت على ما يظن أنها مدجنة؛ وضمنها عدد من الكلاب والقطط(٣٥).

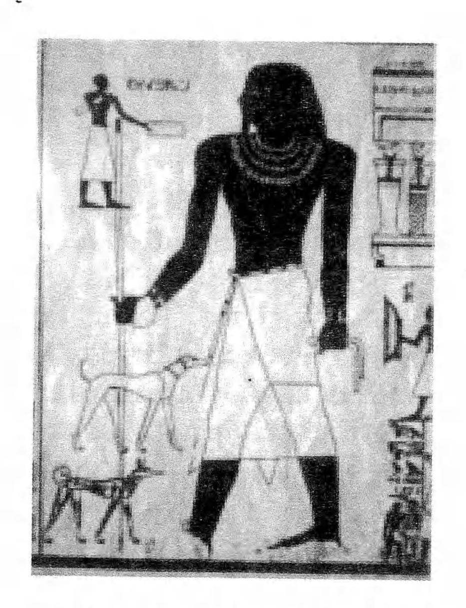
وخلال عصر ما قبل التاريخ، مثلت الكلاب غالبا برفقة الآدميين، حيث كانت ترافقهم فى حملات الصيد. وهذا ما يمكن رؤيته فعلا، من خلال الرسوم الملونة بالمقبرة رقم (١٠٠) فى هيراكونبوليس؛ التى ترجع إلى النصف الثانى من الألفية الرابعة. وخلال تلك الفترة، كانت الكلاب تصور دائما فوق لوحات مساحيق التجميل الرسمية،

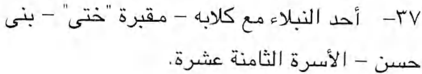
كمثل: صلاية "الكلبيات" المحفوظة فى المتحف الأشمولى، المستمدة من "هيراكونبوليس" (حوالى ٣٠٠٠ - ينظر شكل ٢)[٣٦]؛ وكذلك لوحة أخرى، ترجع إلى الحقبة ذاتها، تحفظ الآن بمتحف اللوفر: حيث ترى أربعة كلاب وهى تحيط بزرافتين (شكل ٤). ومع ذلك، ففى هذه الحال، قطعا لا يتعلق الأمر بكلاب مدجنة، بل بالأحرى، بنوع بقى دائما على وحشيته؛ (lycaon pictus) ما زال يعيش، حاليا، بالسهول الصحراوية غزيرة العشب.

بعد فترة خلال حكم الملك "دن" (الأسرة الأولى)، مثل كلبا صيد وهما يطاردان غزالتين، فوق قرص من حجر الطلق استمد من مقبرة "حماكا"، بسقارة[٣٧]. إن الكلب يعتبر، بصفة جوهرية، كمساعد ومعين للصيادين، سواء بمفرده، أو بمجموعة. وهناك الكثير جدا من مشاهد الصيد التى تُظهر نشاط الكلاب ومساهمتها الفعالة. خاصة بداية من الدولة الوسطى؛ حيث كان علية القوم وكبار موظفى البلد يملكون أسرابا فعلية من كلاب الصيد. وهكذا، تتراءى الكثير من هذه المشاهد فى عدد من مقابر "مير" (الأسرة الثانية عشرة). وفوق اللوحات الجنازية أو النقوش الغائرة، قد يصور المتوفون بصحبة كلابهم (شكل ٣٦-٣٧). وها هو الملك "أنتف الثانى" قد صور فى مقبرته بطيبة بصحبة كلابه الخمسة، التى عرفت بأسماء ليبية، ترجمت إلى المصرية[٣٨]. وبالفعل، تبين أن الكلاب كانت تسمى بمثل هذه الأسماء: "الأسود"، "الأبنوس"، "الشجاع"، "رياح الشمال"، "ظبى" .. وقد أقر أيضا بمثل هذا الاسم: "لا يصلح لشىء". إنه يبين، فى آن واحد إعزاز السيد لكلبه، وبمعرفته تماما بخصاله. ويحتمل أن هذه الحيوانات قد استعين بها أيضا من أجل مراقبة القطعان، وللحراسة كذلك، وفقا لمعنى اسم: "الراعى الجيد"، و"الحارس المنتبه".



٣٦- أحد النبلاء مع كلابه - مقبرة "أمنمحات" - بنى حسن - الأسرة الثانية عشرة.





٣٧- أحد النبلاء مع كلابه - مقبرة "ختى" - بنى حسن - الأسرة الثامنة عشرة.

وربما قد تتخذ الكلاب لمساعدة الشرطة. ولقد حفظت اللوحة الجنازية الخاصة بأحد أعضاء شرطة الصحراء، إبان الدولة الوسطى. أنه يدعى "كاى"؛ وتركزت مهمته فى الطواف بالصحراء القريبة للبحث عن الهاربين، ويقوم بمساعدته ودعمه كلابه الخمسة(٣٩). وهناك بعض الكلاب التى تميز بوضع المحظوظين، باعتبارها حيوانات مصاحبة. فخلال الدولة الوسطى، أمرت إحدى السيدات بصنع تابوت من الخشب الجيد من أجل كلبتها المفضلة: وقد تضمن تلك الكتابات: "المفضلة لدى سيدتها؛ "آيا" النباحة"(٤٠). وخلال الدولة الحديثة بوجه خاص، شوهدت من خلال النقوش البارزة والرسوم الملونة بالمقابر، أشكال لبعض الكلاب المفضلة قابعة تحت مقعد سيدها. فهكذا صور كلب أسفل مقعد "إوز" فى مقبرته بطيبة (رقم ٢١)(٤١). وبإحدى مقابر وادى الملوك (رقم ٣٦)، الخاصة بالمدعو "ماحر برع" أحد كبار شخصيات البلاط الملكى، وضابط رفيع الرتبة فى عصر الأسرة الثامنة عشرة، وجد زوجان من أطواق الكلاب مصنوعان من الجلد المتعدد الألوان؛ ثبتت بهما مسامير معدنية؛ وفوق أحد الطوقين نقش

اسم أنثى كلب. ومع ذلك، فلم تحظ الكلاب جميعها بهذا الوضع المتميز. فأغلبها كانت كلاب شاردة متجولة؛ كما هى الحال غالبا، فى الوقت الحالى بأنحاء مصر.

إن الرسوم والنقوش تبين لنا: أنه كان يوجد منها الكثير من الأنواع (شكل ٣٨). وضمن التى اختيرت منذ زمن بعيد، ربما تكون بعض الكلاب القديرة على العدو، الشبيهة بالسلوقى الحالية. وكانت تستخدم من أجل صيد الغزلان. فهذا ما يمكن أن نشاهده فوق القرص المصنوع من حجر الطلق بسقارة. وبدءا من تلك الفترة وجد نوع آخر ذو أذنين متدليتين، وذيل قصير؛ حيث كان يستعان به كذلك فى رحلات الصيد: إنه السلوقى. وهناك فصائل أخرى قد تنتسب إلى الدرواس (كبير الرأس أفطس الأنف) أو الذئبى الألمانى (كلب ألمانى قصير القوائم)؛ قد مثلت وصورت أيضا. ووجد غيرها، جلبت خلال العصر الرومانى.



٣٨- كلب ذو فروة مبرقشة من فصيلة السلوقى - مرسوم على شقفة من الحجر الجيرى - عصر الرعامسة.

القط

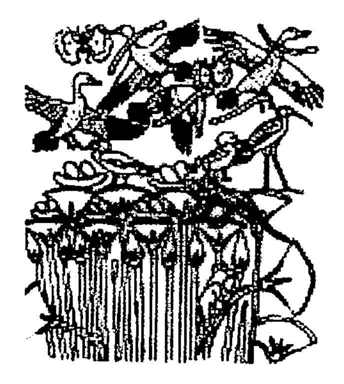
ينحدر القط المستأنس المصرى (Felis Catus) من القط الوحشى الأفريقى (Felis-sylvestris libyca). ولقد استمر فى التعايش معه فى الحقبة التاريخية؛ وأيضا مع أنواع أخرى بقيت على وحشيتها: قط المستنقعات، وربما أن هذا القط هو الجد الأكبر

لكل قططنا الحديثة (لوحة ٤٦)(٤٢). وحقيقة أنه قد تم العثور على بعض العظام التى ترجع إلى الألفية الرابعة؛ ولكن، ليس من المؤكد أنها تتعلق بقطط مستأنسة. ولسوء الحظ، لا نملك أى دليل معين يسمح بتأريخ الاستئناس. ويبدو أن أكثر الصور قدما فى هذا الصدد؛ المعروفة حاليا، هى التى تقدمها بعض النقوش البارزة التى عثر عليها فى "اللشت": قد استمدت، بلا شك من المعبد الجنازى الخاص بـ"بيبى الثانى" فى سقارة (الأسرة السادسة): حيث يتعلق الأمر بعلامة هيروغليفية لاسم مدينة: "مياو" التى يمكن ترجمتها (بمدينة القطط)(٤٣). والاسم المصرى للقطة بوجه عام هو "ميو miou" (المؤنث: miout أو miat). وبداية من هذه الحقبة، كان بعض الرجال والنساء يسمون بـ Pamiou(القط) أو Tamiat (القطة). ولابد أن القطط، منذ وقت مبكر قد استغلت فى المنازل ومخازن الغلال لطاردة القوارض: وهكذا يمكننا أن نشاهد مجابهة ما بين قطة وفأر كبير من خلال أحد الرسوم الملونة بمقبرة الملك "باقت الثالث" فى بنى حسن (حوالى ١٩٥٠)(٤٤). كما تقدم إحدى الأوستراكا (شقفة)، التى ترجع إلى الدولة الحديثة، وقد عثر عليها فى دير المدينة، مشهدا يمثل قطًا مطبقا بفكيه على فأر صغير (شكل ٣٩)(٤٥).

٣٩- قطة تمسك فأرًا بأنيابها - شقفة من الحجر الجيرى - دير المدينة - عصر الرعامسة.



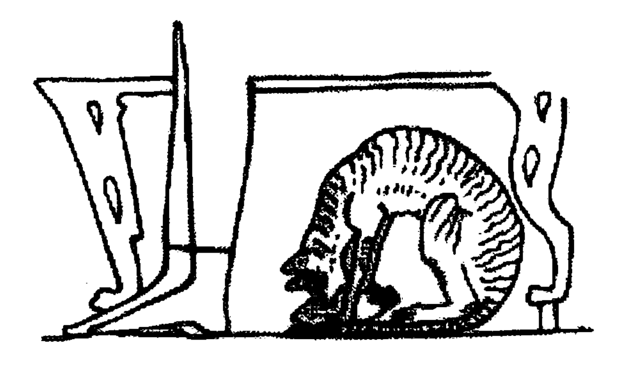
٤٠- قط يصطاد - مقبرة "نب أمون" - طيبة - الأسرة الثامنة عشرة - المتحف البريطانى.



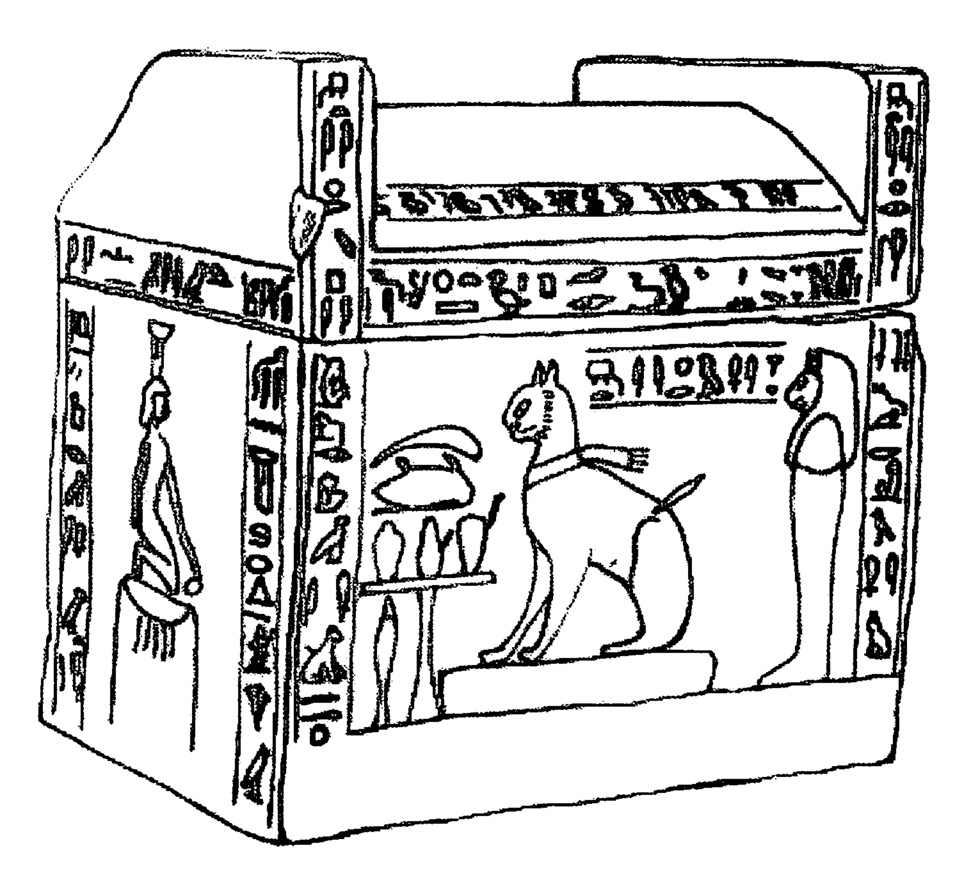
٤١- قط ونمس يصطادان فى الأدغال - مقبرة "منّا" - طيبة - الأسرة الثامنة عشرة.

ويحـتـمل، أن وجـود القطط، منذ الدولة الوسطى من خـلال النقـوش البـارزة والرسـوم الملونة، ممثلة لمشـاهد صـيـد الطيـور وصـيـد الأسـمـاك في المسـتنقـعـات (شكل ٤٠)، قـد جـعلت البعض يظنون أنها قد استغلت كمعاونة ومساعدة للصـائدين. وبالفعل، يبين أحد الرسـوم الملونـة بطيـبـة، فى مـقـبـرة "نب آمون" (حوالى ١٤٥٠): الملك أثناء صيد واقـتناص طـيـور بـواسطة قـذافـة. وفى الحين ذاته، يسـاهـم قط ضـخـم مـخطط كما النمر، بكل همة وحمـاسـة فى هذه العـمليـات (شكل ٤١). ومـع ذلك، قـد يكون هذا المشـهـد غيـر مـثبت أو مـقنع تماما، فقد يكون هذا القط يعمل لحسابه الخاص! وخلال الدولة الحديثة، وضح تماما أن القطط قد أصبحت حيوانات للمصاحبة والمرافقة. وبذا، فقد مثلت كثيرا من خلال الرسوم الملونة والنقوش البارزة بالمقابر، جالسة أسفل مقعد سيدتها (شكل ٤٢).

٤٢- السيدة "مرى بتاح" وقطتها - مقبرة "مرى مرى" - الأسرة الثامنة عشرة - متحف ليدن.



٤٣- قط مستـأنس تحت مـقـعـد سيـدته يأكل سمكة - مقبرة "نخت" بالقرنة بطيبة - الأسرة الثامنة عشرة.



٤٤- تابوت من الحجر الجيرى لقطة مدللة للأمير تحتمس - منف - الأسرة الثامنة عشرة - المتحف المصرى بالقاهرة.

ولقد صورت هذه الحيوانات فى جميع الأوضاع: سواء وهى تقرض عظمة ما، أو تلتهم سمكة (شكل ٤٣)، أو حتى تلعب مع قرد صغير، أو إوزة مدجنة، ربطت فى مقعد فاستشاطت غضبا وثورة!! ويلاحظ أن إحداها يرتدى حول عنقه قلادة متعددة الصفوف من اللؤلؤ، وقرطين بديعين(٤٦). ومع ذلك، فبالرغم من أن الكلاب تحظى بأسماء؛ فمما يثير العجب، أن القطط لم يطلق عليها أية أسماء. ولكن عرف اسم واحد فقط، هو: "الوديعة"(٤٧). وربما، يمكننا القول، إن حب المصريين للقطط قد بلغ ذروته، خاصة، إذا ذكرنا التابوت المصنوع من الحجر الجيرى الخاص بقطة الأمير "تحتمس" ابن "أمنحتب

الثالث" (شكل ٤٤). فعلى جانبيه المستطيلين، صورت القطة جالسة، بعلياء واعتداد، أمام مائدة القرابين: حيث وضعت فوقها سمكة وبطة؛ بالإضافة لبعض الأوانى، التى يحتمل أنها مليئة باللبن. وخلفها، بدت مومياؤها واقفة، متشابهة تماما بأى مومياء بشرية؛ ولكن بقناع قطط. أما فوق الجانبين الصغيرين لهذا التابوت، فقد مثلت كل من إيزيس ونفتيس، وهما تضفيان رعايتهما على "المرحومة"، "تاميات المبرأة"!! ولقد عبر أيضا عن الألفة بين المصريين والقط، من خلال الاستعانة بالقط كنموذج زخرفى فوق القطع الفنية الفخمة الرفيعة المستوى، كمثل المرايات، التى يتكون مقبضها من تمثال صغير لفتاة شابة عارية تمسك بقط صغير(٤٨). وبعد مرور عدة قرون، جاء "هيرودوت" ليؤكد مرة أخرى على مكانة القطط عند المصريين وحدد قائلا: إن قط البيت إذا مات .. فإن جميع سكانه يحلقون حواجبهم(٤٩)!!

القردة

احتل القرد منذ البدء مكانة خاصة. ولم يكن من باب المصادفة قط، أن يعد القرد بمثابة أحد أشكال الإله "تحوت": رب المعرفة، والكتابة؛ لأن المصريين القدماء كانوا يقرون بتمتع هذا الحيوان بذكاء أرفع قدرا ومنزلة عن الكثير من الحيوانات الأخرى. ولقد عثر على عظام قردة بمحيط الجبانات الملكية؛ ترجع لعصر ما قبل الأسرات، فى هيراكونبوليس؛ خلال الأسرة الأولى. وعامة، لا يمكن الجزم بأنها قد تكون حيوانات مقدسة، أو مجرد حيوانات مرافقة.

من الواضح أن المصريين لم يعرفوا القردة الكبيرة الحجم (غوريللا، أو شمبانزى). والنوع الدارج عادة هو: "البابون"، من فصيلة القردوحيات. وتشمل هذه الصفة عدة أنواع؛ وخاصة الـ (Papio cyncephalus) أو الـ (papio anubis) والـ (Papio hamadryas)، ويتميز البابون بمشمل من الشعر الذى يغطى الجزء العلوى من جسمه. وتتسم هذه الحيوانات بعدوانيتها، خاصة الذكور منها. وهناك نوع آخر مثل كثيرا، ألا وهو: الطويل الذيل؛ أى القرد الأخضر (Cercopithecus aethiops)؛ ولون شعره مائل

إلى الاخضرار. ويسهل استئناسه عن غيره. ويلاحظ أن تلك القردة الأخيرة أصلها أساسا من مصر؛ ولكن، بداية من الدولة القديمة، اضطر المصريون إلى جلب قردة من النوبة؛ لتناقصها تدريجيا. (وكانت قد اختفت تماما عند قيام الدولة الحديثة). وكانت تعتبر ضمن الحيوانات الأليفة، كمثل الكلاب؛ ثم فيما بعد، القطط. وبداخل الكثير من مصاطب الدولة الحديثة، يمكن مشاهدتها من خلال الرسوم والنقوش البارزة، وقد أمسك بمقودها بعض الأقزام الغضروفية: الذين كانوا يؤدون دور المضحكين لدى كبار الشخصيات. وتتضمن مصطبة "تي" بسقارة مثالا بديعا في هذا المجال[٥٠].

في مصطبة "آتت" بميدوم، تبين بعض المشاهد صبيا صغيرا وهو يلعب مع قرد أخضر اللون. وقد انهمك هذا الأخير في جذب ريشات ذيل أحد طيور الكركي[٥١]. وفيما يتعلق بالبابون، فقد أتاحت عدوانيتهم وشراستهم مساهمتهم في أعمال تماثل تلك التي يؤديها كلب بوليسي. وها هو أحد النقوش البارزة بالمقصورة الجنازية الخاصة بـ"تب إم عنخ" بسقارة، تصور قرد بابون وقد أمسك حارسه بمقوده؛ وهو يقبض على ساق لص شاب؛ أخذ يصيح: "النجدة، أوقفوا هذا البابون". ثم هناك أيضا مشهد آخر على النمط نفسه، بمصطبة أخرى في سقارة. ومع ذلك، لا يمكن التأكيد، عند مشاهدة هذه الرؤية بأن البابون قد استعين بها كمعاونة للشرطة.

في عام ١٨٨١، عند الاكتشاف الرسمي لخبيئة الدير البحري، أحصيت حوالي أربعين مومياء أغلبها مومياوات ملكية[٥٢]. وضمنها، وجدت مومياء ابنة "بينجم الأول" والملكة "حنوت تاوى"، الأميرة "ماعت كا رع"، لا تزال مسجاة في تابوتها، وبصحبتها مومياء صغيرة، أُعتقد لفترة مديدة، أنها وليدها. وخلاف ذلك، فإن مظهر مومياء "ماعت كا رع" قد جعل "إليوت سميث" (الذى أزال ضماداتها في عام ١٩٠٩) يظن أن هذه المرأة الشابة قد وضعت جنينها قبيل موتها بفترة وجيزة.. ولكن ها هو التصوير الإشعاعي للمومياء الصغيرة، الذى تم فيما بعد، قد صوب الخطأ؛ مبينا أن الأمر يتعلق بقرد بابون أنثى صغير من فصيلة الـ (Hamadryas). كان إذن حيوانًا مرافقًا فحسب. وعلى أية حال، فإن قانون "ماعت كا رع" العابدة الإلهية لآمون، كان يحتم عليها، نظريا أن تبقى بدون زواج.

سنوريات مستأنسة

حتى أواخر الدولة الحديثة، كانت الأسود (Ponthera Leo) من الحيوانات المألوفة عند الحدود الصحراوية بمصر، وترجع الرسوم والنقوش المصورة للأسد إلى أمد بعيد جدا فى مصر: بداية من صلاية ساحة القتال الذى يمثل فيها أسد، يجسد الملك؛ يفتك بأحد الأعداء (شكل ٤٥)؛ وحتى الأدوات الدنيوية، كمثل قطع بعض اللعب المصنوعة من العاج التى ترجع إلى الأسرة الأولى (لوحة ١٠)[٥٣]؛ أو الدينية، كمثل أحد التماثيل الصغيرة النذرية بمعبد هيراكونبوليس، التى قد يرجع تأريخها إلى أوائل الألفية الثالثة (شكل ٤٦)[٥٤].

٤٥- أسد (تجسيد للملك) يفتك بالعدو - لوحة "ساحة القتال" من أبيدوس - أواخر عصر ما قبل الأسرات - شقفة حجرية محفوظة فى المتحف البريطانى.



٤٦- أسد جالس - من الطين المحروق - هيركونبوليس - حوالى عام ٢٧٠٠ق.م. - المتحف الأشمولى.

وبداية من الأسرات الأولى، بسبب قوته الرمزية، وجد الأسد له مكانا فى معرض الوحوش الملكية؛ وكذلك بعض السنوريات الأخرى، كمثل الفهود. ولكن، لم يكن الأمر يتعلق هنا، بكل معنى الكلمة، بحيوانات مصاحبة إلا فى حالة الحيوانات الصغيرة، التى يمكن الاقتراب منها وملامستها. ولقد عثر على بقايا سبعة أسود صغار (أشبال) فى المجمع الجنازى الخاص بالملك "عحا" بأبيدوس (الأسرة الأولى)[٥٥]. ومن خلال بعض النقوش البارزة

بمصطبة "بتاح حتب" في سقارة (الأسرة الخامسة)، صور أسد ونمر بداخل قفصيهما المصنوعين من الخشب؛ وقد وضعا فوق جرارتين، يقوم بسحبهما بعض الخدم. وربما، قد يظن أن هذين الحيوانين كان من المزمع إهدائهما للملك.



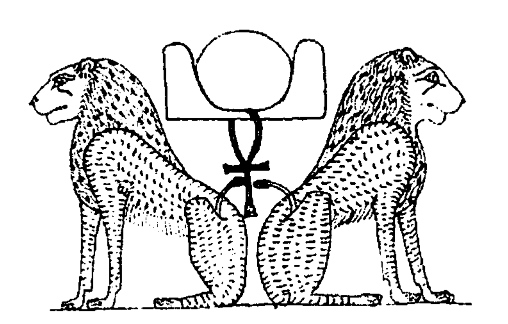
٤٧- الملك توت عنخ آمون يصوب سهمه وبجواره لبؤة - ناووس مغطى بشرائح ذهبية - من مقبرة توت عنخ آمون بطيبة - الأسرة الثامنة عشرة - المتحف المصرى بالقاهرة.

خلال الدولة الحديثة، يلاحظ أن الرسوم والنقوش الممثلة لأحد الأسود المؤنسة، المصاحبة لملك ما، قد تراءت كثيرا. وكمثال على ذلك، فوق الناووس الصغير المصفح برقائق الذهب، الخاص بـ"توت عنخ آمون". حيث يصور الملك جالسا، يشد قوسه؛ وبجانبه جلست لبؤة مروضة (شكل ٤٧)[٥٦]. أما عن صور وأشكال رمسيس الثانى فى المعركة، فهى تبينه مصطحبا لأحد السباع؛ ويبدو واضحا أنه حيوانه الأليف. ويمكن أن نراه كذلك فى الرمسيوم، والأقصر، وأبو سمبل، وبيت الوالى. وفى هذا المعبد ذاته، صور الملك جالسا فوق عرش، وبصحبته لبؤة، راقدة بجواره[٥٧]. ولقد قلده حلفاؤه، فى هذا الصدد. فنرى رمسيس الثالث ممثلا فوق مركبته، وبرفقته أسد: بأحد النقوش البارزة فى معبد مدينة هابو (لوحة ٤٧). أما رمسيس الرابع، فقد مثل أيضا برفقة أحد السباع فوق أوستراكا عثر عليها فى مقبرة بوادى الملوك. وفى "بر - رمسيس"، وجدت بعض عظام عدد من الأسود البالغة، وشبل صغير: لابد أنها جميعا كانت ضمن مكان حفظ الوحوش الملكية؛ ومعها أحد أفيال أفريقيا، وعدة ظباء، وزرافة[٥٨].

إن رمزية الأسد، ملكيا ودينيا فى آن واحد، تفسر وجوده فوق العديد من قطع الأثاث. فإنه، عندما يمثل فوق العرش الملكى، يشير إلى سطوة الملك ومقدرته، وكذلك سماته الشمسية، كما هى الحال بالنسبة لـ"توت عنخ آمون"[٥٩]. وبجوار هذا النمط من التصوير

النوعى، فإن صور وأشكال الأسود فى مجال الأثاث الجنازى لا تعد ولا تحصى.

دائما أبدا، كانت الموائد الخاصة بالتحنيط، والأسرة التى يسجى فوقها الموتى تبدو فى شكل أسدين بخطوط منمنمة: تكون أرجلهما قوائم السرير، أما جسداهما الممتدان: فهما: طرفاه الجانبيين (لوحة ١١). وكذلك، فإن الأسدين هما حارسا أفقى "الشرق"، و"الغرب"، كما أن وجودهما ممثلان فوق الأثاث الجنازى يشير إلى المولد اليومى الجديد للشمس، النموذج الأصلى لبعث المتوفى (شكل ٤٨).

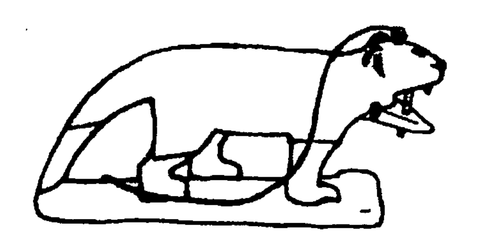


٤٨- الأسدان الحارسان للأفق - مقبرة خونسو بدير المدينة - الأسرة التاسعة عشرة - المتحف المصرى بالقاهرة.

إن الفهود والنمور المرقطة، قد استطاعت أن تقوم بدور مماثل للأسود؛ كحيوانات مستأنسة. ومع ذلك، لم تكن تحظى بوضع رمزى. وها هو تصوير بديع لنمر ممثل فى مقبرة المدعو "رخميرع" بطيبة (الأسرة الثامنة عشرة): حيث أحضر الحيوان بزمامه، ضمن صف من الحيوانات الغريبة، المكونة لضرائب النوبيين. وبصفة شعائرية كان الكاهن "سم" يرتدى جلد النمر (شكل ٤٩) وهو مكلف عادة بأداء المراسم الجنازية التى تعيد للمتوفى الاستعانة بحواسه (طقسة فتح الفم).



٤٩- كاهن جنازى يرتدى جلد الفهد يمسك بمبخرة وآنية - مقبرة "إنحر خاو" دير المدينة - الأسرة التاسعة عشرة.



٥٠- سنورى من الخشب على هيئة لعبة تحركها فتلة - من طينة - حاليًا بالمتحف البريطانى .

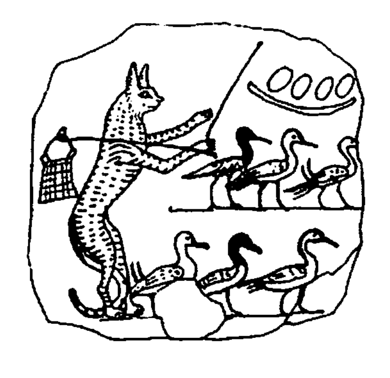
الكوميديا الحيوانية

صورت الحيوانات المرافقة، وخاصة القطط والقردة، من خلال أوجه نشاط تقلد فيها وتحاكى التصرفات والسلوك الإنسانى. والأمر يتعلق هنا بقصص وحكايات على نمط الأساطير والخرافات؛ وبوجه خاص فى صور مفعمة بالحيوية والفكاهة (الأشكال من ٥١ إلى ٥٥). فها هى بعض القطط قد مثلت أثناء خدمتها لسيدة فأرة. حيث تقوم قطة بتمشيط شعرها. وأخرى، تحمل لها وليدها (شكل ٥١). كما يرى قط ما متسلحا بعصاة، ويقوم بمهمة قيادة سرب من الأوز (شكل ٥٢). وكذلك يشاهد أسد وهو يلعب الشطرنج مع غزالة صغيرة (شكل ٥٣). وخلال عصر البطالمة قدمت بعض الأشكال الصغيرة المصنوعة من الطين النضج، مشاهد كاريكاتورية، تمثل الحمار معلمًا بالمدرسة ! أما الفأر، فهو أحد رجال البنوك !!. لا ريب إذن أن هذه الكوميديا الحيوانية قد ألهمت الكثير من مؤلفى

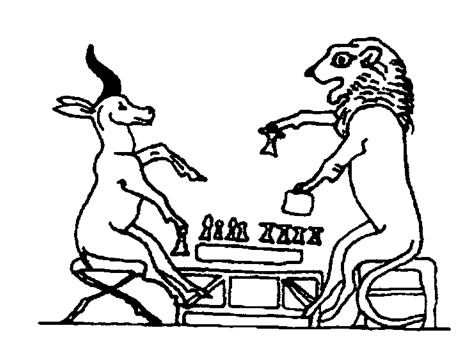


٥١- قطط تقوم بخدمة فأرة وابنها الرضيع - بردية من الأسرة العشرين - حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة..

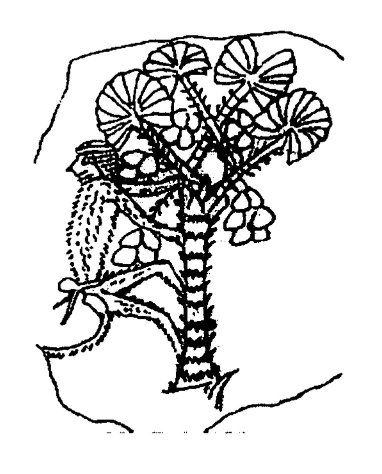
القصص الخرافية كمثل "إيسوب" (ثم، من بعده "لافونتين"). وخلاف ذلك، اتخذت بعض الحيوانات كنماذج للعب خشبية؛ التى قد تكون أحيانا ذات مفاصل (شكل ٥٠).



٥٢- قطة تقود قطيع من الإوز - شقفة من الأسرة العشرين - حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة.



٥٣- أسد يلعب مع غزال لعبة "السنت" - بردية من الأسرة التاسعة عشرة - المتحف البريطانى.



٥٤- قرد يتسلق نخلة دوم - رسم على شقفة حجرية من عصر الرعامسة - حاليًا بمتحف فيتز وليام - كمبردج.



٥٥- قطة تقدم إوزة إلى فأرة جالسة - رسم على شقفة حجرية عثر عليها فى طيبة - يرجع تاريخها إلى الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين -حاليًا بمتحف بروكلين.

الفصل الثالث

الحيوانات الكاسرة

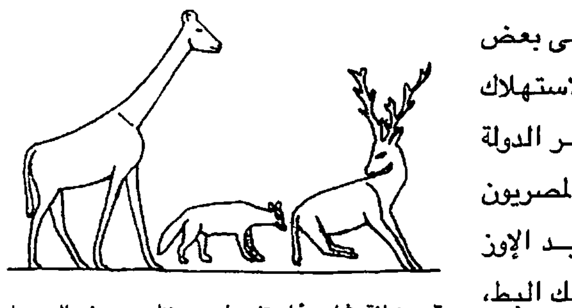
على الرغم من أن المصريين قد توغلوا جدا في محاولاتهم للاستئناس، فمن المؤكد أن عدداً من الحيوانات قد جمحت وتمردت على ذلك. وعلى أى حال، فإن عملية التدجين، لم تكن ذات جدوى فى الكثير من الأحوال. وخلاف ذلك، فإن بعض الأنواع، بالرغم من أنها قد استأنست، فقد استمرت، جزئيا، فى العيش بحالتها الوحشية. وبذا، كان يتم صيدها؛ أو اقتناصها حية لوضعها فى الحظائر؛ أو ذبحها، لتستعمل مباشرة مواد غذائية. فهذه هى الحال بالنسبة للبط والإوز البرى (لوحة ١٢)؛ حيث كان يقتنص بواسطة الشباك؛ أو يقتل بأسلحة متنوعة؛ كمثل العصا القذافة، كما نرى من خلال الرسوم الملونة بمقابر طيبة. وهناك حيوانات أخرى كان يتم إبادتها بسبب ما تمثله من خطر: كمثل حيوان فرس النهر، والتمساح؛ ومع ذلك، كانت تبجل وتوقر فى بعض المناطق، لأسباب ودواعٍ عقائدية. وخلاف ذلك، فإن الكثير من الأنواع، قد استمرت فى ازدهارها ونموها بدون أى تدخل من جانب الإنسان؛ فى زمن كان هذا الأخير لا يمثل سوى تأثير محدود على المجال البيئى.

غذاء وحماية

الصيد

يعتبر الصيد من أوجه النشاط الأساسية من أجل عيش البشر؛ الذين كانوا، أصلا: صائدين - حصادين. ولقد مارسه المصريون خلال عصور ما قبل التاريخ، على غرار أغلبية شعوب العالم وقتئذ. ويلاحظ، أن الصيد قد فقد تدريجيا مكانته الأولى باعتباره أحد أوجه النشاط المتعلقة بالغذاء والقوت. وذلك، فى ذات الحين الذى تطورت ونمت خلاله أعمال الرعى والزراعة. ومع ذلك، فقد احتفظ الصيد بمكانته الهامة، عندما

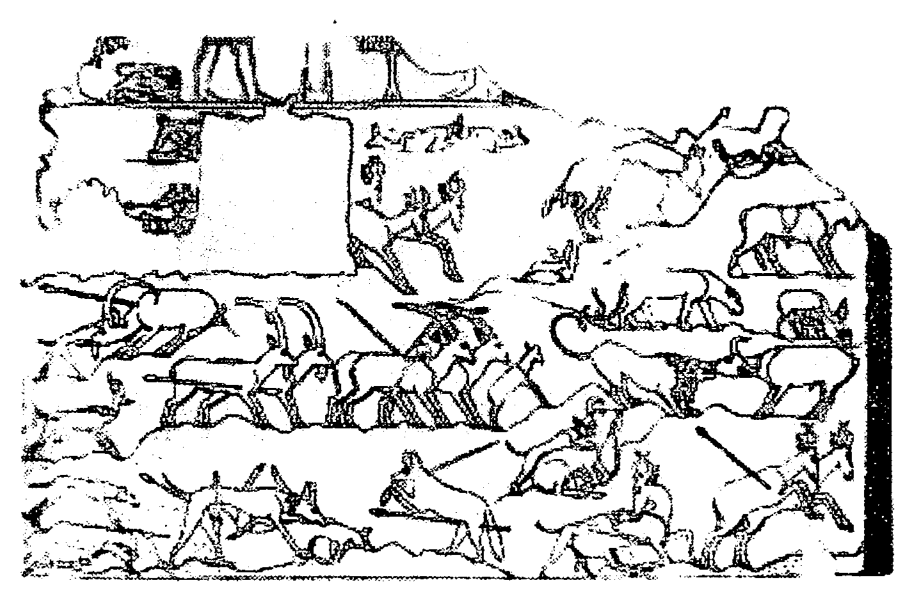
يحتم الأمر الحصول على بعض الحيوانات اللازمة للرعى أو الاستهلاك الغذائى الفورى. حتى عصر الدولة الحديثة، وفيما بعدها، استمر المصريون فى اقتناص الغزلان، وصيد الإوز بواسطة الشباك؛ وكذلك البط، والسمان، والحمام .. إلخ. وبدءا من الأسرات الأولى، استعين بالكلاب



٥٦- زرافة وثعلب وأيل: تفصيل من منظر صيد فى الصحراء. مقبرة أوخ حتب فى مير من الأسرة الثانية عشرة.

العداءة فى عمليات صيد الغزال. وبداخل مصاطب سقارة، خلال الدولة القديمة؛ وفى مقابر "مير" خلال الدولة الوسطى، كانت مشاهد الصيد بالصحراء، تمثل بعض الظباء التى يمكن تماما مطابقتها، وكذلك البقر الوحشى، والخنازير البرية، والمهاة، والوعل والقليل من الأيائل؛ والزراف أيضا (شكل ٥٦). ولقد تراءت مثل هذه المشاهد، حتى قيام الدولة الحديثة. وأساسا، كان القوس هو السلاح المستعمل. وبدت الكلاب، فى هذا المجال، باعتبارها معاونة ومساعدة ضرورية للصائدين. فهى ترى دائما أثناء مطاردتها لبعض الحيوانات وحصرها وتسييرها لجهة الصيادين؛ بل وكذلك مهاجمتها، إذا لم تكن أصيبت بالسهام. وهذا ما يوضحه أحد النقوش البارزة بمقبرة الحاكم "سنبى" فى "مير" (الأسرة الثانية عشرة، ينظر شكل ٥٧).

لقد احتل صيد الطيور مكانة هامة منذ الدولة القديمة، وحتى العصر المتأخر. وكان يمارس خاصة، فى مستنقعات الدلتا، الثرية جدا بطيور الماء؛ سواء بواسطة شبكة ضخمة، سداسية الأضلاع والزوايا، أو بمساعدة عصا قذافة، شبيهة بـ"المرتدة". وهذا ما يمكن مشاهدته، ضمن الكثير غيره، من خلال الرسوم الملونة بمقابر طيبة: الخاصة بـ"نب آمون"، و"منّا" (الأسرة الثامنة عشرة). وفى نطاق المستنقعات، كان يمكن صيد البط والإوز. وكذلك، كانت عمليات الصيد تمارس فى الحقول الزراعية. وهذا ما توضحه رسوم ملونة أخرى بمقبرة "نب آمون": حيث يرى بعض الفلاحين وهم يقتنصون مجموعة من طيور السمان فى أحد حقول القمح، بعد حصده.



٥٧- منظر يمثل صيداً فى الصحراء من مقبرة سنبى فى مير من الأسرة الثانية عشرة.

بالنسبة لصيد الضباع، فقد أقر به تماما (شكل ٥٨). ولقد لوحظ أن المصريين قد حاولوا استئناسها، ولكن، على ما يبدو، لم يوفقوا فى ذلك. فلم تصل إلى علمنا أى أمثلة لمشاهد تتعلق بتدجينها بعد الدولة القديمة.



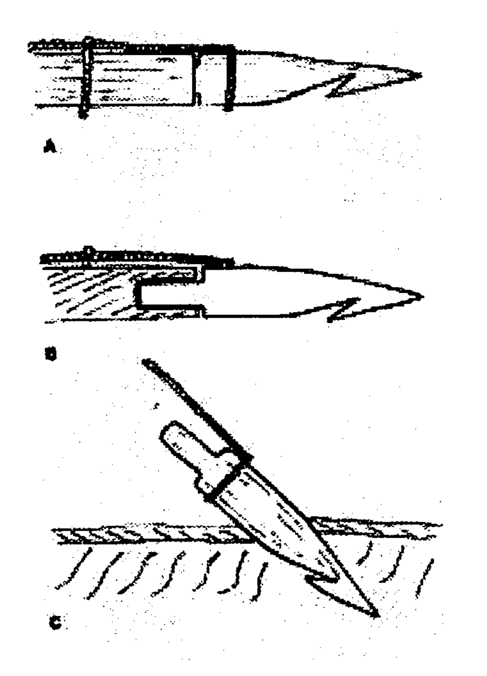
٥٨- كلاب تهاجم ضبعًا – رسم على شقفة من الحجر الرملى عثر عليها فى دير المدينة بالأقصر من عصر الرعامسة – حاليًا بمتحف اللوفر.

إلى جانب هذا الصيد الذى يهدف أساسًا للغذاء، وجد نمط آخر من الصيد: وهو يرجع أيضًا إلى مصادر موغلة فى القدم. وكان الغرض منه إبادة الحيوانات الضارة، والخطيرة بصفة خاصة. وضمنها: حيوانات فرس النهر (شكل ٥٩)؛ وهى أكثر ما كان يخشاه ويرهبه المصريون. وعادة، كانت تقضى نهارها فى أعماق مياه النيل. وتخرج مساء، بحثا عن غذاءها[١]. وهكذا، كانت تجتاح الزراعات. وبداية من عصر ما قبل الأسرات، كان فرس النهر يطارد ويصاد. أما لحمه، فإنه، على ما يعتقد، كان يتخذ كغذاء من جانب أهالى الوادى. ولكن، ليس من المؤكد تماما أنهم قد استمروا على استهلاكهم هذا اللحم الخشن الصلب صعب الهضم: وفقا لما ذكره "ديودور" (ينظر لوحة ١٣ - ١٤).



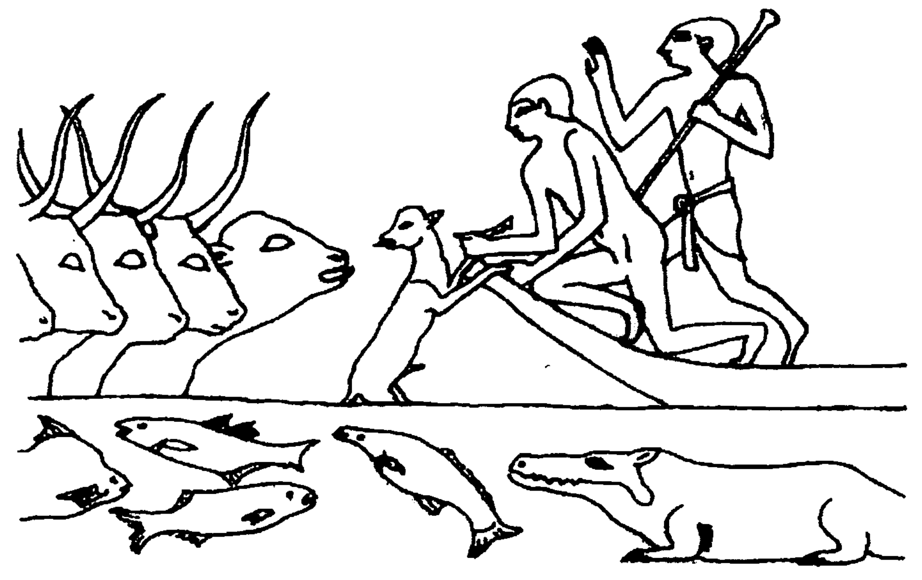
٥٩- فرس النهر - نموذج كعلامة هيروغليفية مرسوم على شقفة من الحجر الجيرى - من الأسرة الثامنة عشرة - حاليًا بمتحف المتروبوليتان بنيويورك.

إن الكثير من مشاهد صيد حيوان فرس النهر قد مثلت فى مصاطب الدولة القديمة (لوحة ٤٩)؛ ومن الواضح تماما أنه خطر ومهلك. وتسمح لنا النقوش البارزة فى مقبرتى كل من "تى" و"مرروكا" بأن نعيد تكوين طريقته وكيفيته. فيرى الرجال واقفين فى قوارب رقيقة هشة مصنوعة من نبات



٦٠- رسم لرمح يستخدم فى صيد فرس النهر (مأخوذ عن نقش فى سقارة من الدولة القديمة).

البردى؛ ويقومون بمهاجمة الحيوان بواسطة حربة كبيرة ذات يد خشبية مستطيلة؛ ربطت بحبل يمسك بنهايته أحد الصيادين. وعلى هذا الأخير، عندما تنغرس الحربة فى جلد الحيوان أن يسحب اليد الخشبية. وعندئذ، تبقى الحربة مربوطة بالحبل (شكل ٦٠). وهكذا، بعد أن يعانى الحيوان من الإرهاق من جراء جروحه (فقدان الدماء خاصة)، يستطيع الصيادون سحبه إلى حافة النهر بواسطة بعض الحبال؛ ثم القضاء عليه[٢].



٦١- قطيع من المواشى يعبر ضحلاً من الماء، مع وجود تمساح مترقب - منظر فى مصطبة "إدوت" بسقارة من الأسرة السادسة.

يلاحظ أن حيوانات فرس النهر الممثلة بالنقوش الغائرة تبدو ضئيلة الحجم. ترى، هل يرجع ذلك إلى اتفاقية ما فى فن الرسم؛ أو أن ذلك لا يعدو أن يكون سوى انعكاس لحجمها الحقيقى[٣]؟ ولاشك أن الخطورة التى يتسم بها هذا الصيد، تفسر ابتعاد الرجال عن مهاجمة الأكثر ضخامة. لقد دام صيد حيوان فرس النهر خلال العصر الفرعونى بأكمله .. وحتى العصر الرومانى. وهذا بالفعل ما أثبته "ديودور" قائلا: يصاب

الحيوان بالعديد من الجروح، "بواسطة أدوات شبيهة بمقصات النحات المثبتة بخطافات حديدية": حيث تترك كما هى بالجروح، حتى يصفى الحيوان من دمائه، وينهك تماما[٤]. ويلاحظ أن هذا الصيد قد كثف بدرجة بالغة .. لدرجة أن هذا الحيوان قد اختفى كلية من مصر. وربما أن آخر هذه الحيوانات قد شوهد فى القرن التاسع عشر. وخلال القرن الرابع من عصرنا الحالى، ذكر المؤرخ "أمين مارسولين – Ammien Marcelin" إنها قد انمحت تماما من مصر وتوجهت لاجئة إلى النوبة[٥].

أما عن التمساح، فهو ثانى الحيوانات التى يرهبها المصريون ويخافونها. ويلاحظ أن تمساح النيل: يعد، ضمن التماسيح جميعها المصرية، بمثابة الأضخم حجما (قد يصل إلى ستة أمتار طولا). وأكيدا، أنه وجد فى مياه النيل ومستنقعات الدلتا قبل وصول الإنسان إلى ضفاف هذا النهر. وقطعا، كان يجد فى أعماق المياه الكثير من الأسماك. ولكنه، فى الحين ذاته، كان يستطيع، أن يهاجم فوق الأرض الحيوانات الكاسرة. ثم بعد ذلك، بوقت ما، كان يفترس الحيوانات المستأنسة، وكذلك، البشر .. الذين قد يجعلهم سوء حظهم يمرون فى طريقه.

على أية حال، بداية من عصر ما قبل الأسرات، صور التمساح من خلال زخرفة الأوانى؛ وبالإضافة لذلك، خلال الدولة القديمة، من خلال النقوش الغائرة بالمصاطب. ويمكننا رؤيته وهو يتربص بالفرائس، خاصة حيوانات فرس النهر الوليدة. فهذا ما تمثله النقوش البارزة الشهيرة بمقبرة "إيدوت"؛ حيث يترقب "خروج" الحيوان الوليد، حينما تقوم إحدى الإناث بولادته (لوحة ١٥). ويتراءى أن المعارك بين التماسيح وأفراس النهر كانت دائمة، خاصة لدواعى إثبات ملكية منطقة يمنعها أحدهما عن الآخر ! ويتبين أن التمساح، بوجه خاص كان يمثل خطرا كبيرا دائما بالنسبة للرعاة: حيث يضطرون أحيانا لجعل قطعانهم تعبر أفرع النهر وقنواته. وهذا ما تصوره الكثير من النقوش الغائرة بمصطبتى كل من "تى" و"إيدوت" (شكل ٦١). ولا يبدو أن التمساح كان هدفًا لعمليات صيد منظمة خلال العصر الفرعونى. ولكــن، ربما أنه كان يؤسر أو يقتل للتخلص من بعض أنواعه فائقة الخطورة.

وخلاف ذلك، نجد أن "هيرودوت" قد عرض عن علم لشكل التمساح الكثير من التفاصيل التى قد لا تصدق[٦]. فعرض تفصيليا أسلوب اقتناصه. وكيف كان يستعان لهذا الغرض بربع خنزير ليكون بمثابة طعم. وحالما يطبق التمساح فكيه على الصنارة.. يتم سحبه إلى الضفة، وأسره[٧]. ويدعم "ديودور" هذا الدليل، عندما يذكر قائلا: "فى الماضى كان المصريون يأسرون التماسيح بواسطة صنارات بها طعم عبارة عن قطعة من لحم الخنزير، أو بشباك سميكة، أو بحراب حديدية؛ ينهالون بها ضربا على رأسه. وفى ذات الحين، يضيف "ديودور" بقوله: "إن الإنسان لا يلجأ إلا نادرا لقتل التماسيح"[٨]. فإنها، إذا كانت لا تصاد بصفة منتظمة ودائمة، فربما يرجع ذلك؛ إلى أن هذا الحيوان الواضح الخطورة، بلا أدنى شك أقل إيذاء من فرس النهر: باعتبار هذا الأخير حيوانًا عشبيًا يدمر الزراعات .

يضاف إلى ذلك كان المصريون يستطيعون إلى حد ما، تحديد وحصر تكاثر التماسيح وذلك، بتدمير بيضها، بالرغم من المراقبة الواعية من جانب الأنثى. وكذلك يتبين أن النمس، هو الآخر، كان يهاجم بيض التماسيح (كما يحدث بالنسبة لبيض العصافير). وأخيرا، يتضح تماما، أن التمساح فى نطاق بعض المقاطعات، كان يقدس. وبالتالى، لا يمس ! وإذا لزمت الحال الصراع ضده، فغالبا، يتم ذلك بوساطة بعض الصيغ السحرية والتعازيم. وخلال العصر المتأخر، كانت اللوحات تمثل الشاب "حورس" وهو يطأ بقدميه بعض التماسيح. ولقد انتشرت هذه اللوحات من خلال الكثير من النسخ والنماذج، بكل الأحجام. بل كان منها أيضا ما يمكن أن يعلق كتعويذة .

ولكن الصيد الملكى، كان له بعد آخر يختلف عن مجرد التدمير من جانب القناصين المهاجمين. فبصفة رسمية، يتحتم على الملك أن يكون صائدًا عظيمًا و"رياضًا". فها هو الفرعون "أمنحتب الثانى" الذى اشتهر بأنه "رجل عضل" (رياضى ومصارع). كما عرف أنه فارس لا نظير له. وكذلك أحسن مصوب سهام فى مملكته[٩]. وقد ذاع أن صيد السباع يعد بمثابة صيد ملكى بكل معنى الكلمة. وحقيقة أن المشهد الممثل فوق الصندوق المكسو بالرسوم الملونة بالمتحف المصرى بالقاهرة، لـ"توت عنخ آمون" أثناء صيده لأحد الأسود، قد لا يتطابق بالواقع الفعلى. خاصة أن الأمر

يتعلق هنا بملك وافته المنية وهو فى شرخ شبابه؛ ولا يدل مظهره مطلقا على أنه رياضى فعلا .

ولكن "أمنحتب الثالث"، عرف عنه أنه صرع مائة واثنى أسد (أو مائة وعشرة)، خلال السنوات العشر الأولى من حكمه. وهذا ما ذكرته الكتابات المسجلة فوق جعارينه التذكارية. وخلاف ذلك، فقد شبه هذا الملك دائما بالأسد. بل وعرف بعبارة: "الأسد ذو العين الوحشية" فوق إحدى اللوحات التى تسرد وقائع معركة حربية فى النوبة. ووصف أيضا بأنه "أسد الملوك" فوق قاعدة أحد التماثيل المحفوظة حاليا باللوفر. بالإضافة لذلك، فهناك تمثالان بديعان، مستمدان من "صولب"؛ ولكن عثر عليهما فى "جبل برقل"، يطابقان هذا الحيوان بالملك !! فأحدهما، الذى أكمل تماما فى عهد "أمنحتب الثالث" (والآخر خلال حكم توت عنخ آمون) يصفه بأنه: "الأسد المفضل لدى آمون، الصورة الحية فوق الأرض، "نب ماعت رع" ملك النوبة".. أما عن الفراعنة الرعامسة، فقد أصبحوا أيضا صائدى سباع عظماء.

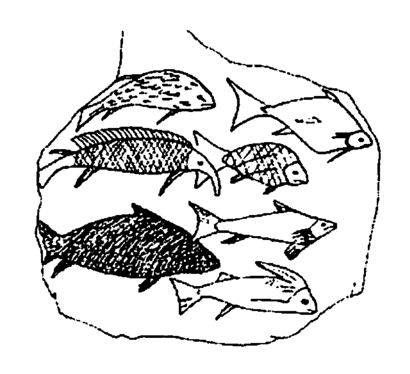
ولقد أعزى إلى "أمنحتب الثالث" عملية صيد للثيران الوحشية، فى العام الثانى من حكمه. حيث قتل خلالها ما لا يقل عن ستة وتسعين ثوراً. ولاشك أن الجعارين التذكارية تقدم الكثير من التفاصيل الموضحة عن سياق هذا الصيد. فقد أحيط الملك علما بوجود ثيران وحشية فى إحدى المناطق الصحراوية يحتمل أنها: "وادى النطرون". فتوجه إليها، بكامل جيشه. وهناك، أصدر أوامره بأن تحاط هذه الثيران الوحشية بسياج وحفرة ضخمة. ولقد أتاحت له هذه الوسيلة أن يصرع، بدون صعوبة تذكر؛ بداية، ستة وخمسين ثوراً؛ ثم بعد ذلك أربعين أخرى، بعد أن أتاح الفرصة لجياده لكى تستريح أربعة أيام(١١). ولقد استمرت ممارسة صيد الثيران، من جانب خلفائه. وهذا ما تؤكده النقوش الغائرة الجميلة بالمعبد الجنازى الخاص برمسيس الثالث فى مدينة هابو. فمن خلالها، يرى الفرعون فوق مركبته مطاردا لبعض الثيران بإحدى أيكات البوص. وفى ذات الحين، كان قد قضى على العديد من الثيران الأخرى بطعنات الحراب والرماح والسهام(١٢).

وهناك قطعا نمط آخر من الصيد يتسم بالهيبة والفخامة ألا وهو: المتعلق بالأفيال. وحقيقة كانت هناك أفيال فى مصر خلال فترة ما قبل الأسرات. ولكنها اختفت بداية من الألفية الثالثة؛ ربما بسبب بعض العوامل المترافقة، فى مجال ظاهرة التصحر بالمناطق التى كانت تعيش بها؛ وكذلك، لزيادة نمو الوجود البشرى بالوادى الذى لا يلائمه .. مثل هؤلاء الجيران! وعن الملوك الفراعنة الغزاة بالأسرة الثامنة عشرة؛ كمثل "تحتمس الأول"، و"تحتمس الثالث"، فإنهم، من المؤكد خلال معاركهم فى سوريا، قد قابلوا واصطادوا بعضا من أفيال آسيا. وقد ذاعت شهرة تحتمس الثالث بتمكنه من قتل مائة وعشرين فيلا بيده !! وقد استطاع هذا الملك ذاته، خلال إحدى معاركه فى النوبة، أن يصرع أحد حيوانات وحيد القرن. وكان ذلك بمثابة حدث واضح الأهمية؛ وبالتالى ذكر من خلال إحدى اللوحات المقامة فى معبد "مونتو" بأرمنت[١٣]. وخلاف ذلك، مثل خرتيت (وهذا أمر نادر جدا) من خلال بعض النقوش البارزة بهذا المعبد ذاته: ضمن الحيوانات الأجنبية الواردة؛ التى جلبت من أفريقيا فى عصر الرعامسة. ونرى أن الاهتمام الموجه نحو الحيوانات الأجنبية، قد تراءى واضحا بالزخرفة الخاصة بمقابر الدولة الحديثة: كمثل مقبرة الوزير "رخميرع"، حيث يُشاهَد دافعو الضرائب وقد أحضروا إلى ملك مصر: زرافة، وفيلاً صغيراً، ودباً.

بخلاف أن أوجه نشاط الصيد الملكى تنمى قوة الفرعون الجسدية وكفاءته القتالية؛ فإنها، بالإضافة لذلك، ذات بعد أيديولوجى (مذهبى وفكرى) قوى. فإنه بمحاربته الحيوانات الكاسرة، الرهيبة، يؤدى مهمته فى مصارعة قوى الخواء والفوضى؛ وبالتالى الحفاظ على النظام الكونى.

صيد الأسماك

فى جميع الأزمنة، كان لصيد الأسماك دور أساسى فى نطاق الاقتصاد الغذائى. ولقد كان نهر النيل، ومستنقعات الدلتا، وبحيرة قارون بالفيوم، فائقة الثراء والوفرة بالأسماك (شكل ٦٢)[١٤].



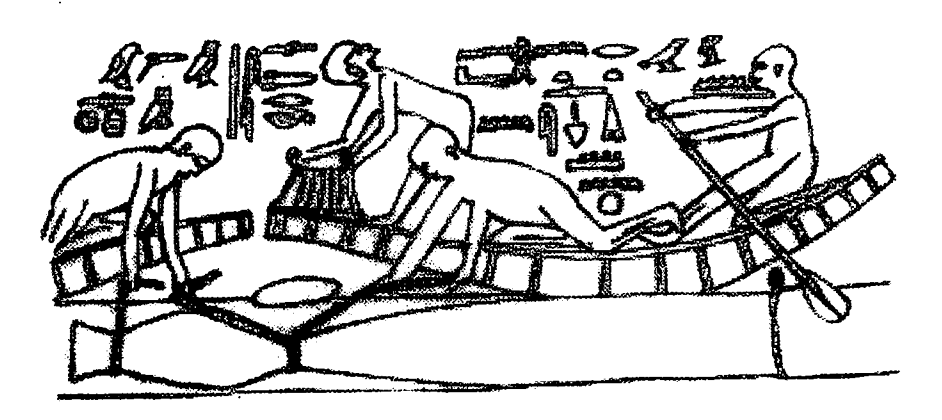
٦٢- أسماك سبع مرسومة على شقفة حجرية من عصر الرعامسة - حاليًا بمتحف اللوفر.

وحقيقة أن صيد الأسماك كان مكثفًا للغاية خلال العصر الفرعونى كله. ومع ذلك، فإن المصادر السمكية لم تنضب أبدا. ففى القرن الأول قبل الميلاد، ها هو "ديودور" يكتب قائلا: "إن نهر النيل مفعم بأسماك من جميع الأنواع، بأعداد لا يمكن تصورها ، فهو يمد الأهالى، من أجل استهلاكهم الغزير، بالكثير من الصيد الطازج تماما. بل إنه ينتج، بلا توقف كل ما يلزم للتمليح والتقديد"(١٥).

بواسطة النقوش الغائرة بمصاطب الدولة القديمة، والرسوم الملونة فى مقابر طيبة، والكثير من الأشكال والرسوم الممثلة بأسلوب التجسيد يمكننا تماما مطابقة العديد من الأنواع، كمثل: الكثير من تشكيلات وأصناف الحبرى أو السمكة القط، والبورى والـ (marmyres)، ومنها الـ (Mormyrus eoschive) oxyrhynque، وفرخ النيل (Lates niloticus) والـ(tilapias) والـ(lepidotes) أو شبوط النيل (Barbus bynni) والأنقليس (Anguilla vulgaris)(١٦). ولكن، يلاحظ أن أسماكًا أخرى لا تعتبر ضمن عالم نهر النيل، قد مثلت، بكل تحديد ودقة من خلال النقوش البارزة بالمعبد الجنازى الخاص بحتشبسوت بالدير البحرى. وتم ذلك من خلال مضمون الحملة إلى بلاد "بونت"، ومنها: سمكة السيف (gladius xiphias) وأيضا سمكة عقرب (Scarppénide)؛ فعلية وحقيقية تماما(١٧) !.

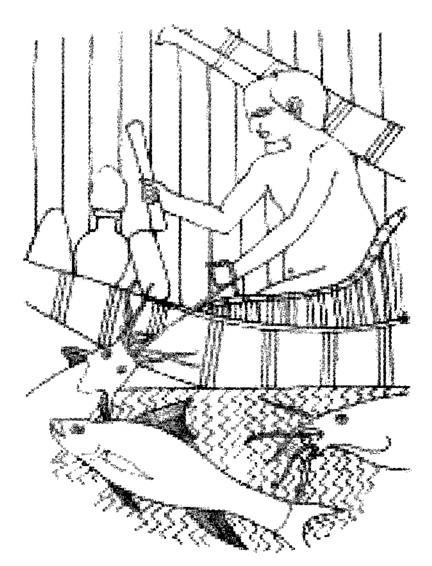
بدءا من فترة ما قبل الأسرات، بمواقع سكانية متباينة، عثر على كميات ضخمة من فقرات الأسماك (واحد وعشرين نوعًا تمت مطابقتها بموقع "مرمدة بنى سلامة")؛ بالإضافة أيضا للعديد من الصنارات والحراب العظمية أو المصنوعة من العاج، وعدة

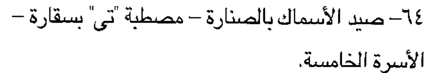
أثقال من أجل تثقيل الشباك(١٨). كما توضح النقوش التى ترجع إلى الدولة القديمة مختلف الأساليب والوسائل التى كان يتبعها الصيادون. ويبدو أنهم كانوا يستعينون غالبا بالشباك؛ أو بنمط آخر من الشباك اللازمة لصيد السمك الصغير؛ يمكن أن يستعملها رجل واحد فقط، وأحيانا شبكة ضخمة أو مصيدة تستدعى توافر العديد من الرجال. وبالقطع، كان يستتبع ذلك الحصول على كميات ضخمة من الأسماك (شكل ٦٣).



٦٣- صيد الأسماك بالشباك - مصطبة "تى" بسقارة من الأسرة الخامسة.

وكان الصيد بالصنارة يمارس أيضا. وهذا ما يبينه فعلا أحد النقوش البارزة بمقبرة المدعو "إيدوت" بسقارة. حيث يرى الصياد جالسا عند مقدمة المركب، وقد قذف بصنارة أدمج بها أربعة شصوص؛ ويتأهب لضرب السمكة بمذبة صغيرة. ويرى النموذج نفسه فى مقبرة "تى" (شكل ٦٤). وعلى ما يبدو، أن مهنة صيد الأسماك قد تضاءلت قيمتها، فهذا ما يعبر عنه نص: "أهجوة الحرف"؛ حيث يقول: إنها أسوأ المهن جميعها. فهى العمل الوحيد بجوار النهر، الذى يختلط فيه الإنسان .. بالتماسيح(١٩)!. ولكن، كان هناك "صيد الرفاهية والفخامة": فخلال الدولة الحديثة، كان صاحب المقبرة، يمثل أحيانا واقفا فوق مركب مصنوعة من نبات البردى، وقد انهمك فى صيد الأسماك بواسطة الحربة (شكل ٦٥).



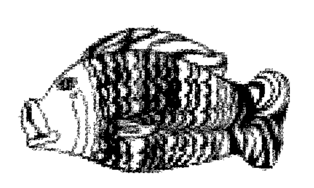


٦٤- صيد الأسماك بالصنارة - مصطبة "تى" بسقارة - الأسرة الخامسة.



٦٥- النبيل خنوم حتب يصطاد سمكًا برمح ذى نصلين محدبين - منظر فى مقبرته ببنى حسن من الأسرة الثانية عشرة.

كانت الأسماك تؤكل عادة، طازجة أو محفوظة وفقا لأساليب متباينة، كمثل: التمليح، والتجفيف؛ وربما التدخين أيضا. وها هو أحد النقوش البارزة بمقبرة "بتاح حتب"، تصور بعض الرجال وقد انهمكوا فى تعليق منتجات صيدهم، لكى تجف، فوق نمط من الحبال المصنوعة من أغصان نبات البردى المثبتة فوق أعمدة[٢٠]. ومن خلال أحد التفاصيل (تلاشت حاليا) بالمقبرة رقم (٧٨) فى طيبة الخاصة بالكاتب "حور محب"، نشاهد إحدى مراكب الصيادين، وقد تراصت فوق متنها عدة صفوف من الأسماك؛ وقد نظفت من أحشائها؛ وهى فى مرحلة التجفيف، وهى معلقة على حبال[٢١]. ولقد عثر على كميات كثيرة من بقايا الأسماك فى "تل العمارنة". ويعرف أيضا أن عمال دير المدينة كانوا يتلقون فى جراياتهم كميات ضخمة

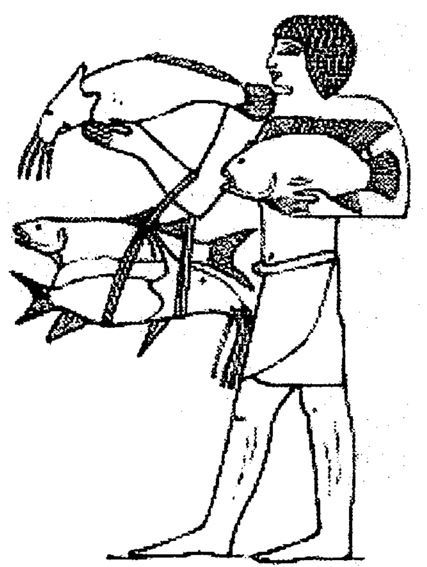


٦٦- آنية على هيئة سمكة، من الزجاج الملون - عثر عليها فى تل العمارنة من الأسرة الثانية عشرة - حاليًا بالمتحف المصرى.

من الأسماك. كما مثل العديد من الأشخاص الحاملين لسلال مليئة بالأسماك، بالرسوم الملونة بمقابر دير المدينة. إذن، فمن الواضح أن استهلاكها كان غزيرا.

وربما أن أهمية السمكة ترجع إلى استغلالها الدائم كنموذج زخرفى: سواء فوق أوانى المائدة؛ وخاصة على السلطانيات أو الأطباق المصنوعة من الخزف الأزرق اللون، الذى استعمل بكثرة خلال الأسرة الثامنة عشرة؛ أو بأدوات التجميل، كمثل القوارير الخاصة بالعطور التى تبدع من المتعدد الألوان، أو من الـ(stéalite) أو المرمر: فى هيئة سمكة البلطى (شكل ٦٦)[٢٢].

عادة، لم تمثل الأسماك فوق موائد القرابين للآلهة. ولكنها تعد ضمن القرابين التى تقدم للمتوفى خلال المواكب (شكل ٦٧). وربما كانت هناك عدة تحريمات شعائرية تتعلق بأكل بعض أنواع الأسماك، التى قد تتباين وتتنوع وفقا لكل منطقة من المناطق. وعلى المستوى الرمزى، يتسم هذا الحيوان بمكانة مزدوجة: فمن ناحية، يبدو كمساعد وسند للشمس فى صراعها ضد أبوفيس؛ فهو إذن نافع ومفيد. ومن جهة أخرى، قد يقارن بالإله الشرير "ست".



٦٧– حامل قرابين يحمل سمكًا – منظر فى مصطبة كاجمنى بسقارة من الأسرة السادسة.

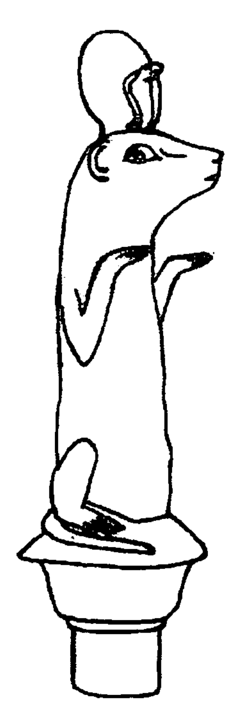
بعض الجيران غير المرغوب فى وجودهم أحيانًا

بخلاف العديد من الأنواع النافعة أو الضارة التى كان الإنسان يصطادها، سواء لأكلها، أو لإبادتها، كانت تجاوره عدة حيوانات أخرى: التى قد يتعايش معها جيدا أو "لا".

الثدييات الصغيرة

كانت ولا تزل مطابقة القندس الأوربى والنمس المصرى على الرسوم الملونة والنقوش الغائرة - موضع نقاش، ولاشك أن مظهر الحيوان وهو فى قيد الحياة، يسمح، بدون صعوبة، بالتمييز ما بين النوعين: وذلك، بداية من الحجم، الذى قد يصل بدءا من الرأس وحتى الذيل، إلى متر واحد طولا بالنسبة للقندس. أما عن النمس، الذى كان يماثل بفأر ضخم خلال العصور القديمة (الفأر الفرعونى - **Mus pharao**)، فمن الواضح أنه أقل حجما.

ويعتبر القندس من الحيوانات المائية. ومن هذا المنطلق، فإن قوائمه يتميز كل منها بخمسة أصابع، تتجمع معا بواسطة حظاب (جلد يجمع ما بين الأصابع). ولكن النمس، بالرغم من أنه قادر على العوم، فهو حيوان أرضى. وله قوائم؛ بكل منها أربعة أصابع، قد تكون راحية إلى حد ما. ولقد تراءت ووضحت سمات القندس الجسدية من خلال العديد من القطع البرونزية: التى تصوره، جالسا على مؤخرته، رافعا قائمتيه الأماميتين فى حركة تضرع وتعبد. وقد اعتلى رأسه قرص الشمس، يحلى غالبا بشكل الحية الحامية (شكل ٦٨). ولفترة مديدة، اعتبر البعض أن هذه التماثيل تصور النمس. خاصة، أنه قد يمثل هو الآخر جالسا على قائمتيه الخلفيتين. ومع ذلك، فإن تماثيله الصغيرة توضحه غالبا واقفا على قوائمه الأربع: أحيانا، فوق صندوق برونزى صغير يحوى مومياءه، ولقد عثر على الكثير منه فى "تل بسطة"، مدفونًا بجبانة القطط ذاتها .



٦٨- تمثـال نمس (وربما قندس) مصنوع من البرونز يرجع إلى العصر المتأخر - حاليًا بمتحف اللوفر.

فى نهاية الأمر، وفقا لرأى "أوزبورن"[٢٣]: يمكن التمييز ما بين هذين الحيوانين؛ خاصة أن كلاً منهما يرتبط بآلهة متباينة. فإن القندس يمثل "حورس مخنتى إرتى" أما النمس، فهو يجسد "الوادجت" فى مدينة "بوتو"؛ و"نخبت" فى الكاب (نخن). ومع ذلك، فإن الأمور لا تبدو بهذه البساطة: لأن القندس، قد تماثل هو الآخر بـ"وادجت". وخلاف ذلك، لا يتراءى الأمر سهلا دائما؛ من خلال الرسوم والأشكال، عند محاولة التفريق ما بين النمس وفأر الزباب، وربما أن المصريين لم يفعلوا ذلك أبدا. لأن هذا الأخير، قد ارتبط هو الآخر بـ"حورس مخنتى إرتى" !!

ولقد عرف المصريون الكثير من الثدييات الصغيرة الأخرى التى مثلت أحيانا فى زخرفة المقابر؛ أو فى هيئة أشكال صغيرة كمثل: الثعلب، والسرعوب (ابن عرس)، والغرير، والزريقاء، والخنزير، واليربوع، والقنفد، ولقد اعتبر هذا الأخير بمثابة حيوان نافع: قطعا لأنه يهاجم الثعابين. وهو يمثل غالبا فى شكل تعويذة واقية.

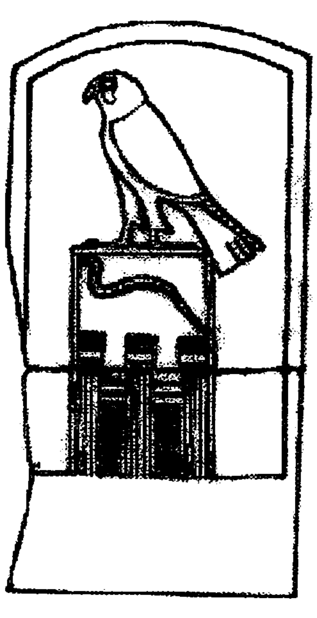
الزواحف

ضمن الزواحف المتعددة، التى قد يقابلها المرء فى مصر، تعد الكوبرا والحية المقرنة الأكثر خطورة بدون أدنى شك. ومن الواضح أن المصريين كانوا يخشونها للغاية. وربما لأن الثعبان الكبير غير السام الأفريقى؛ خلال عصر ما قبل الأسرات كان يوجد أيضا فى مصر. ولا يستبعد أبدا أنه هو الذى صور فوق مقبض خنجر مصنوع من العاج خاص بـ"أبو زيدان"، ومحفوظ حاليا بمتحف بروكلين. وكذلك فوق عدة لوحات؛ ورأس مذبة جلبت من النوبة السفلى[٢٤].

ويلاحظ أن الكوبرا، والكوبرا السوداء الرقبة، قد قلت جدا فى أنحاء مصر. وأخذت تجوب المناطق المزروعة؛ لرغبتها فى مجاورة أماكن المياه. واستتباعا لذلك، كان الفلاحون المصريون غالبا ما يقابلون هذه الثعابين الضخمة (قد يصل طولها إلى مترين؛ بل وأكثر) فى نطاق حقولهم المروية. ولا ريب أن السمة الخطيرة الرهيبة التى تتصف بها الكوبرا، قد جعلتها منذ وقت مبكر تتميز بالسطوة وقوة البأس الملكية. فها

هو أحد أوائل ملوك الأسرة الأولى الثينية قد عرف باسم "جد" "الملك الثعبان". كما تبينه إحدى لوحاته المستمدة من مقبرته فى أبيدوس، فى هيئة ثعبان منتصب الشكل (شكل ٦٩).

ومنذ بداية عهد خليفته "دن"، كان الملك يصور، متوجا جبهته بكوبرا "الحية الحارسة"[٢٥] قائمة الجسم. ودرج وضع رمز السطوة والقوة هذا من جانب الملوك الفراعنة خلال الحقبة الفرعونية كلها. وترمز الحية الحارسة من خلال السم الذى تبصقه، إلى النيران المتأججة المنبعثة من الشمس. وباعتبارها رمزًا شمسيًا، مُثلت "الحية الحارسة"، فوق "جدار الكوبرا" فى مجمع الملك "جسر" بسقارة (لوحة٥١).



٦٩- لوحة الملك الثعبان "جد" عثر عليها فى أبيدوس من الأسرة الأولى - حاليًا بمتحف اللوفر.

وبداية من نشأة الكتابة الهيروغليفية، استعين بالكوبرا للتعبير عن الرنة والصوت "dj". وكذلك، فإن المظهر المميز لعنقها المتمدد، فى حالة الدفاع عن النفس أو الهجوم، قد صور تماما من خلال الرسوم الملونة والنقوش الغائرة المصرية. وللكوبرا وجود قوى للغاية فى إطار الأدوات والمواد الدينية والجنازية: حيث تقوم عادة بدور راعٍ وحامٍ. ولكن قد يكون للكوبرا أيضا مظهر سلبي فى إطار زخرفة المقابر، خاصة الملكية: كمثل تلك الخاصة بتحتمس: فخلال الساعة التاسعة من الجولة الليلية للشمس، يقوم الثعبان «نحاحور- Nehahor» (أحد أشكال "أبوفيس") بمهاجمة مركب "رع" .

أما عن الحية المقرنة (الطريشة) فإنها أيضا، قد طابقها المصريون منذ وقت مبكر جدا: فاتخذوها كعلامة هيروغليفية تعبر عن حرف "ف"، إنها تعيش فى أعماق رمال الصحراء، التى تماثلها فى لونها. وقد تتسبب بلدغتها فى الوفاة الفورية، ولاشك أن

مأواها الخاص هذا، لا يجعلها دائما قريبة من الإنسان؛ بخلاف الكوبرا. ومع ذلك، فقد تقابله مصادفة. على سبيل المثال، خلال عمليات حفر المقابر عند حدود الصحراء؛ أو خلال حملات الصيد. وليست للحية المقرنة قيمة رمزية، بخلاف الكوبرا؛ ولا تمثل إلا نادرا خارج مجال الكتابة.

وحقيقة أن هذين الثعبانين قد أشير إليهما كثيرا. ومع ذلك فهناك أنواع أخرى كثيرة غيرهما. فها هى الدراسة المتعلقة بعلم الحيات المحفوظة حاليا فوق لفافتين من نبات البردى بمتحف بروكلين؛ والتى ترجع إلى الأسرة الثلاثين أو أوائل العصر البطلمي؛ قد ذكرت ما لا يقل عن أربعة وعشرين ثعبانًا متباينة ومختلفة الأنواع[٢٦]. وبالنسبة لخمس منها .. فإن عضتها يمكن أن تكون قاتلة ! ولكن، فى أحوال أخرى، قد تشفى. وفى واقع الأمر، أن المطابقة العلمية، لم تتم فعلا إلا بالنسبة للحية المقرنة، والكوبرا؛ والكوبرا ذات العنق الأسود. ويتبين أن العلامات الإكلينيكية التى تتراءى على الأشخاص الذين لدغوا، تبدو غالبا محددة للغاية. بل وتقدم عدة براهين للتشخيص من جانب الطبيب الذى يستدعى من أجل المصابين.

وفيما يتعلق بالحية المقرنة، فمما يثير العجب، القول: إن المصاب سوف يعانى من الحمى طوال تسعة أيام .. ولكنه يبقى على قيد الحياة !!.. وأما عن العلاج الموصى به، فهو: العمل على إخراج السم. وذلك، بحث المريض على التقيؤ؛ ثم، بعد ذلك إعطاؤه شرابًا مكونًا أساسا من عصير البصل (يعد البصل بمثابة العلاج فى حالة الإصابة بأى لدغة ثعبان)، ومن نبات الناردين، والكمون والعسل. بعد أن يمزج كل ذلك ببعض الجعة ويصفى. وقد يساور المرء بعض الشكوك فيما يتعلق بالفاعلية الحقيقية لمثل هذا العلاج. ونجد أن التشخيص المتعلق بلدغة الكوبرا يبدو أكثر تفاؤلاً. فإن العلاج، فى هذه الحال يرتكز على: شق الجرح وتوسيعه بواسطة سكين. وأن يسقى المصاب بعض المقيئات.

ويبين النص، أن المريض، قد يفقد إحساسه تماما بالجانب الذى أصيب فيه باللدغة. ويرجع ذلك قطعا إلى مفعول المادة السامة. ويعطينا هذا النص فكرة جيدة عن مدى الانشغال الدائم من جانب المصريين إزاء الثعابين. وخلاف ذلك، فإن هذا القلق والوسوسة

الدائمة، تنعكسان بقوة من خلال النصوص السحرية. وربما قد يوضع ذلك فى موضع الشك الفاعلية النسبية للعلاجات الطبية المقترحة[٢٧]!.

وقد حفظت حتى الآن الكثير من الوصفات والصيغ السحرية. إنها تهدف أساسا إلى ردع ودفع أى ثعبان؛ والتعزيم على أية حية. بل وكذلك إلى "إقفال فم أى ثعبان، ذكرًا أو أنثى"[٢٨]. ولاتقاء شرها، يقوم المرء باستدعاء إله قدير قوى؛ ويتطابق به. وبالتالى، لن يجرؤ الثعبان على المهاجمة. ولكن، إذا وقع السوء، تستدعى للنجدة إحدى الوقائع الأسطورية المتعلقة بحياة حورس الطفل، الذى أنقذته أمه "إيزيس"، "الساحرة العظمى"؛ فى أحوال مشابهة: وبذا، فإن المصاب بمطابقته بالطفل الإله، سوف يتحقق له، مثله، الشفاء سحريا[٢٩]. ولقد تداول اللجوء إلى الصيغ السحرية لفترات طويلة الأمد: وهناك تعويذة قبطية تلتمس المعونة من المسيح "الذى ردع جميع الثعابين السامة" .. من أجل اتقاء أذى اللدغات[٣٠].

إن الوثائق الأكثر توضيحا عن مخاوف المصريين تجاه بيئتهم؛ وبصفة خاصة إزاء الحيوانات الضارة، هى: مراسيم وسيط الوحى الكبرى، المسجلة على أوراق البردى فى أوائل الألفية الأولى. وقد استمدت من منطقة طيبة. ومن خلالها، يتعهد أحد الأرباب لأحد المؤمنين به بحمايته، ضد الأخطار ومنها، "ضد لدغات كل ثعبان، وكل زاحفة .. كل الأفعوانيات التى تلدغ أو تلسع"[٣١].

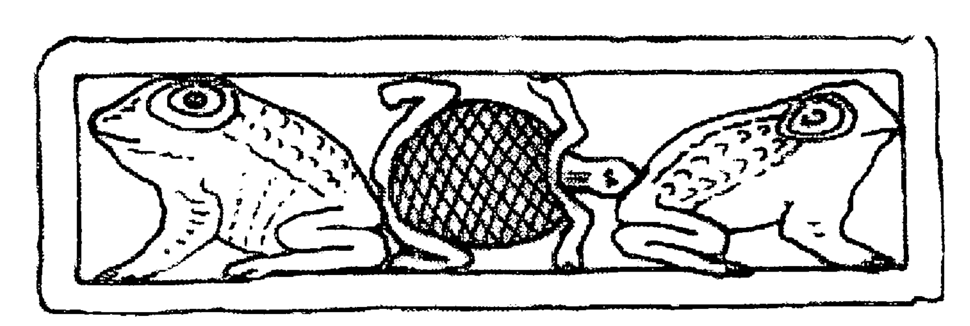
بداية من الدولة الوسطى، استعملت عصى سحرية من أجل حماية الموتى (عثر عليها فى المقابر - لوحة ١٦). وقد زخرفت بجميع أنواع الحيوانات الخطرة، بعضها خيالى، والبعض الآخر حقيقى، كمثل: البرمائيات، والثعابين، وأفراس النهر، والسباع،... إلخ. وفى جميع الأزمنة، كانت تستعمل الكثير من التعاويذ فى هيئة حيوانات ضارة: من أجل التعزيم على الخطر الذى تمثله.

خلال الألفية الأولى، تطور ونما استعمال اللوحات السحرية الممثلة لحورس الشاب واقفا فوق بعض التماسيح، وقد أمسك بيديه عدة ثعابين، وعقارب، وأسود وعدد من الوعول[٣٢].. إلخ. وبظهر اللوحة سطرت بعض الصيغ السحرية للحماية. وأحيانا قد تدمج صورة الإله بلوحة كبيرة مغطاة من جميع جوانبها بصيغ واقية من الأمراض:

والمثال الأكثر وضوحا تبينه "لوحة ميترنخ" التى ترجع إلى القرن الرابع. وفى حالات أخرى، قد تكون لوحة "حورس" جزءًا من "تمثال شافى". كمثل تمثال "جد – حر" الذى جلب من "تل أتريب" وهو محفوظ حاليا بالمتحف المصرى بالقاهرة (لوحة ٥٢). وغالبا، كانت تسكب بعض المياه فوق تلك النصب، ثم يتم جمعها، بعد أن تكون قد تشربت بالقوة السحرية التى أفعمت بها الصيغ (سحر الانتقال)[٣٣].

السلاحف

هناك نوعان من السلاحف، التى تعايشت تعايشا سلميا مع الإنسان. وكانتا دارجتين فى نطاق مصر. إنهما: سلحفاة الماء، والسلحفاة البرية. ومنذ عصر ما قبل الأسرات، كانت سلحفاة الماء تمثل دائما فوق الأشكال والأوانى المصنوعة من الطين النضج أو الحجر؛ وكذلك فوق لوحات من الشست (شكل ٧٠). وهناك الكثير من الأدلة الأثرية على أنها كانت تؤكل. واستمرت هذه الحال حتى قيام الدولة القديمة. ومع ذلك، فمنذ الدولة الوسطى، لوحظ تغير فى الموقف تجاه السلحفاة: حيث أعلن أن لحمها "يكرهه رع". ومنذ ذاك الحين، أصبحت من المخلوقات التى يجب إبادتها شعائريا: فها هو أحد الرسوم الملونة بمقبرة فى طيبة، يصور المتوفى وقد سدد حربته فى جسم سلحفاة. وغالبا ما تمثل، بالطريقة ذاتها التى تصور بها الثعابين والعقاب، فوق التمائم أو القطع السحرية التى يفترض أنها تحمى من أذاها. ففى هذا الصدد، تبين بعض



٧٠– سلحفاة تحيط بها من الجانبين ضفدعتان – نقش على عصاة سحرية من حجر الطلق – من الدولة الوسطى – حاليًا بالمتحف البريطانى.

النقوش البارزة بمعبد "إسنا": الملك وهو يطعن بحربته إحدى السلاحف، فى حضرة الإله "خنوم" الجالس فوق عرشه. ولاشك أن هذا يوضح تماما أنها قد تحولت إلى رمز للقوى الشريرة (لوحة ٥٣).

العقــارب

ربما قد تكون العقرب أقل خطورة من الثعابين السامة. ومع ذلك، كان يخشى أذاها. حث كانت أكثر وجوداً من تلك الأخيرة فى حياة المصريين اليومية. إن العقرب المصرى، هو أحد أفراد العائلة الضخمة المعروفة باسم العنكبوتيات. وهو موجود فى الأيقونة منذ بداية الألفية الخامسة (نقادة الأولى). حيث كان يتراءى فوق الفخاريات. وهكذا وجد فى الألفية الرابعة، فوق اللوحات.

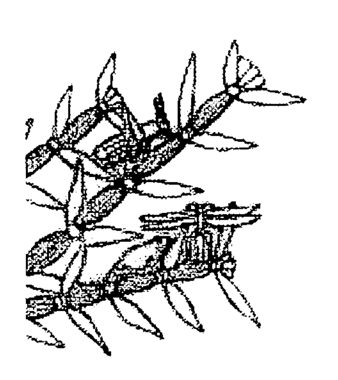
وقد يكون العقرب قد منح اسمه إلى إحدى الفئات العشيرية. فهذا ما قد توحى به "لوحة المدن". حيث يمكن أن نشاهد مختلف أنواع الحيوانات؛ منها عقرب يهاجم عدة أسوار محصنة (شكل ٩٠). عموما، نعرف أن أحد الملوك الأخيرين فى عصر ما قبل الأسرات قبيل توحيد القطرين، قد عرف باسم يمكن كتابته بواسطة الرمز الهيروغليفى للعقرب (شكل ٦)[٣٤]. ولأسباب تعلق بالسحر فى الكتابة، عادة ما تغيرت صورة العقرب: فلا تمثل زائدتها الذنبية المتضمنة للشوكة. ولدواعٍ مماثلة، بداية من "متون الأهرام"، غيرت بعض الرموز الهيروغليفية التى تمثل حيوانات خطرة أو سامة. بحيث تمنع، رمزيا من إلحاق الضرر بأحد. فعلى سبيل المثال، تقطع رأس النحلة، وذيل الكوبرا، ويغرس سكين فى جسم الحية المقرنة !

كان المصريون يرهبون كثيرا لدغة العقرب. وهذا ما تثبته الأعداد الكبيرة من الوصفات السحرية التى تعمل على دحر هذه الحيوانات[٣٥]. ولذا، فإن لوحات حورس، والعصى السحرية، والتعاويذ كانت تستعمل أيضا لاتقاء أذاها. ويبين قفص فص أحد الخواتم الذى يرجع إلى الدولة الحديثة: من ناحية، نقش بارز يمثل ضفدعا؛ ومن الجانب الآخر عقربا محززا بالمشرط وحيوانين ينتميان إلى بعض الآلهة الراعية

للنساء والأطفال؛ هما: "حقات"، و"سرقت". وبجوار المناظر التى تمثل فعلا بعض العقارب بسماتها المميزة (الكلابات الأمامية، والذيل الحلقى ذو الشوكة، والقوائم الجانبية)؛ هناك أيضا أشكال، متباينة قد فسرت بأنها تمثل بعض عقارب الماء. وربما أن التعايش ما بين العقرب البرى والعقرب المائى له ما يبرره: خاصة أن لدغة عقرب الماء هى الأخرى مؤلمة للغاية. ومع ذلك، ليست فى خطورة العقرب البرى[٣٦].

الضفادع

بسبب كثرة عدد مناطق المستنقعات فى مصر، خلال العصر الفرعونى؛ كان للضفدع وجود واضح جدا. ويلاحظ أن الذى مثل فى مصر أساسا ذو الظهر المضلع الشكل. ولكن، كان هناك كذلك: الشرغوب (ضفدع الشجر). وأمام هذه الكثرة الهائلة من الضفادع، فقد استعان المصريون بصورة فرخ الضفدع، ليكون بمثابة رمز هيروغليفى يعبر عن الرقم (١٠٠٠٠٠) . وربما أنهم بسبب هذا التكاثر والتوالد الضخم فحسب؛ أو لأنهم لم يتفهموا جيدا حقيقة سياقه وتطوره: فقد جعلوا من الضفدع رمزا للولادة التلقائية، وتجدد الحياة. وعن رمز الضفدع هذا، فإنه يرجع إلى حقبة موغلة فى القدم. فلقد عثر على تماثيل صغيرة وأوان فى هيئة ضفدع، فى مقابر ترجع إلى عصر "نقادة الثانية"؛ وبمعابد خاصة بالأسرات الأولى.



٧١- ضفدعة وجرادة ويعسوب (حشرة قارضة) فى البرارى - مصطبة كاجمنى بسقارة - الأسرة السادسة.

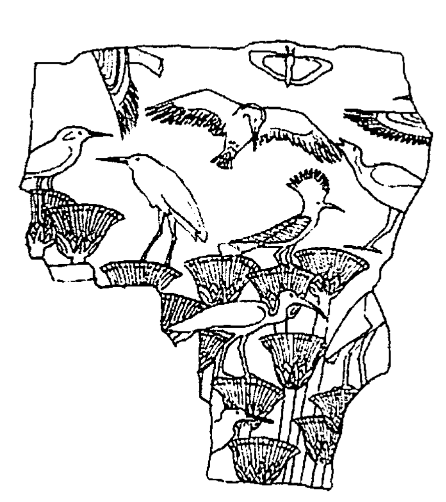
وتبين غالبا مشاهد الصيد أو صيد الأسماك بالمصاطب المتعلقة بالدولة القديمة، بعض الضفادع وقد حطت فوق أغصان أحد النباتات المائية، المعروف باسم لسان البحر (لوحة ١٧ وشكل ٧١).

وعن الضفادع السامة، لم يكن وجودها ملحوظا تماما كمثل الضفدع الدارج. وقد عرف منها نوعان (Bufo regularis) و (Bufo viridis). ولكنها، لم تصور إلا نادرا[٣٧].

عالم الطيـــــور

إن الوادى، والدلتا باعتبارهما مناطق رطبة كثيفة النباتات؛ فبالتالى، بطبيعة الحال اكتظت بالحشرات. وتعتبر هذه الأخيرة بمثابة الغذاء الأساسى للكثير من الطيور (شكل ٧٢)[٣٨]. وعن طيور الماء، فإنها كانت تجد الكثير جدا من الأسماك، والشرغوب (فرخ الضفدع) والديدان كطعام دارج لها. وبالنسبة للجوارح الكاسرة، فكان نطاق توزيعها أكثر اتساعا؛ متضمنا حواف الصحراء، حيث تجد؛ كما هى الحال فى الأراضى المزروعة، بعض القوارض الصغيرة، والأرانب البرية أيضا.

وضمن الأنواع الكثيرة القائمة فى مصر، كان البعض منها (بط، وإوز، وحمام) قد جذب اهتمام المصريين؛ الذين استأنسوها منذ وقت مبكر جدا؛ كما نوّهنا آنفا. وفى ذات الحين، استمروا فى صيد واقتناص الأنواع التى بقيت على حالها الوحشى؛ لكى يأسروها عندهم. وكانت هناك أيضا أنواع وفصائل كثيرة ضمن عالم أهل وادى النيل. ولقد عمل هؤلاء الأخيرون على دمجها فى خيالهم .. وأضفوا عليها بُعدا دينيا.



٧٢- طيور فى البرارى - المعبد الجنازى للملك "أوسركاف" بأبو صير - الأسرة الخامسة - المتحف المصرى بالقاهرة.

ولكن الكواسر، كانت لها مكانة منفردة: فإن الصقر، اتخذ بداية من التاريخ المصرى كشعار للسلطة الملكية. وهكذا، يمكن رؤيته فوق لوحة "نعرمر": حيث يمسك الصقر حورس، فى حضرة

الملك، بين مخالبه أسيرا مكبلا بالسلاسل. وكذلك، يشاهد فوق اللوحات المصنوعة من العاج الخاصة بملوك الأسرة الأولى. فها هو "عحا"، ثم من بعده "دن" الذى سجل اسمه بداخل "سرخ" (رسم لواجهة القصر)، وتعتليه صورة الصقر (شكل ٩١).. وبدءا، اتخذ الصقر إلهًا محليًا لهيراكونبوليس. ثم أصبح منذ تلك الفترة الإله الأسرى الرئيسى. كما أن كل ملك يفترض أن يكون "حورس" جديداً. ونجد أنه ضمن الأسماء الخمسة بقائمة الوظائف والألقاب الملكية، التى وضعت خلال الدولة الحديثة، يوجد "اسم حورس"، واسم "حورس الذهبى".

إن الحماية والرعاية اللتين يغدقهما الإله الصقر على خليفته الفرعون، قد جسدتا بواسطة مثل هذه الصور: "خفرع" جالسًا على العرش؛ وقد أحاطت بمؤخرة رأسه وكتفيه جناحا الصقر؛ أو رمسيس الثانى فى هيئة طفل صغير وقد أسبغ عليه الصقر "حورون" حمايته (لوحة ٥٤)، كمثل الأسد والثور، لا شك أن القوة، وصفة القنص التى يتصف بها الصقر؛ بالإضافة إلى نظره الثاقب . هى التى أهلته للمساهمة فى الوظيفة الملكية.

فى مصر القديمة، عاشت أنوا ع متعددة من الصقور. ولكن، فى واقع الأمر أن طائر حورس هذا الذى أراد البعض مطابقته بـ (Falco peregrinus) ليس من السهل تحقيق ذاتيته. خاصة أن صوره ورسومه تبدو عامة فائقة النمنمة (موجزة الخطوط بغرض الزخرفة). وكقاعدة عامة، يلاحظ أن هذا الصقر، يبدو أسفل عينيه بعض الريش الأسود اللون، يوحى بشكل هلال محكم الإقفال. كما يوجد نوع آخر، لا يتسم بهذه الخاصية؛ وربما أنه (Falco naumanni) أو (Falco tinnunculus) أى الصقر "شاهين". وقد أثبتت شخصيته من خلال الرسوم الملونة فى بعض المقابر؛ كمثل تلك الخاصة بـ"سننجم" بدير المدينة[٣٩].

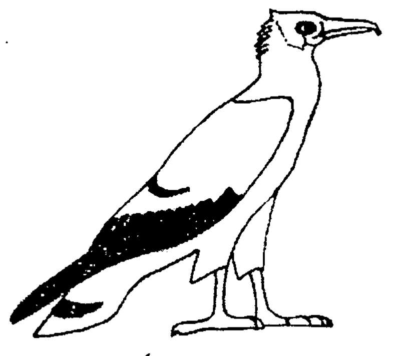
ولقد صورت بعض الجوارح الأخرى، خاصة أبو الخطاف (الحدأة) الأسود اللون، الذى مثل من خلال العناصر الزخرفية بكتاب الموتى لـ"آنى"، وكتاب الموتى للملكة "نجمت": حيث يجسد الربتين "إيزيس" و"نفتيس": من خلال دوريهما كناحبات باكيات بجوار المتوفى[٤٠]. وبعكس الصقر، يلاحظ أن الحدأة تعد كطائر مألوف نسبيا. ولا يتردد أبدا فى الاقتراب من البشر. وهذا ما يمكن أن نراه، من خلال أحد الرسوم

الملونة بمقبرة المدعو "إيبوى" فى طيبة. حيث جثم هذا الطائر فوق قاعدة وأخذ يتأمل أحد الجزارين أثناء أدائه لعمله. وفى أيامنا هذه، غالبا ما نشاهد بعض هذه الطيور، وهى تبحث عن غذائها ضمن البقايا والفضلات المتناثرة على جنبات بعض شوارع القاهرة.

أما عن النسور، فقد مُثلت من خلال ثلاثة أنواع: النسر المصرى أو الرخمة، ثم النسر الأصهب؛ ذو الرأس والعنق الأبيضا اللون؛ بعد ذلك الـ (Aegypius tracheliotus) الذى يتميز ببعض الثنيات الجلدية عند مستوى الرأس والرقبة. وهذان الأخيران هما اللذان أقر بهما غالباً. وقد يتعرف عليهما من خلال اسم وأشكال "نخبت"، الربة النسر بالكاب (نخن). وتعد هذه الإلهة بمثابة شعار "مصر العليا": فى العصور الموغلة فى القدم، حيث كانت قائمة ألقاب الملك ووظائفه تتضمن اسم "الربتين"، "وادجت"، الإلهة الكوبرا بالدلتا؛ و"نخبت" ، الربة النسر بمصر العليا: راعيتا الفرعون. وهما نفسهما اللتان صُورتا على القناع الذهبى وتوابيت "توت عنخ آمون". وكذلك فوق العُصابة المزينة لرأسه؛ وعلى التوابيت المومياوية الشكل المحتوية على أحشاء، وفوق "الأوشابتى" الخاصة به. وعلى ما يبدو، أن هذا التصوير المزدوج قد تميز به خاصة "توت عنخ آمون" فحسب. فإن سابقيه وكذلك خلفاءه قد مُثلوا فوق توابيتهم (ومن خلال تماثيلهم)، بصحبة "الحية الحامية" فقط. ولكن، ها هو النسر باسطاً جناحيه، قد اتخذ كغطاء لزينة رأس الملكات (الشكل ٧٣)، خلال الدولة الحديثة. واستمر ماثلاً حتى العصرين؛ البطلمى والرومانى. وفى هذه الحال، نجد أن القيمة الرمزية المرتبطة بهذا الطائر تتعلق بالأمومة. أى بالتحديد: بالوظيفة الرئيسية للملكة؛ أى بالأحرى: نقل السلطة الملكية(٤١).

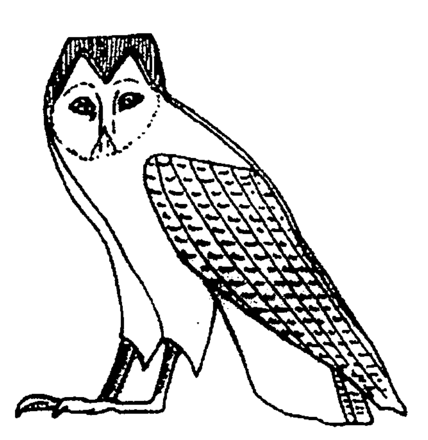

٧٣- الملكة نفرتارى تضع على رأسها تاجًا على هيئة أنثى النسر - منظر فى مقبرة نفرتارى بوادى الملكات بغرب طيبة، من الأسرة التاسعة عشرة.

إن النسر، على غرار الكوبرا قد مُثل كثيراً على الحُلى والمصوغات الملكية: مثل الخاصة بتوت عنخ آمون.


٧٤- علامة هيروغليفية تمثل نسراً - من مقبرة نفر ماعت وأتت بميدوم - الأسرة الرابعة.

طائر الرخمة قد أُقر به بمثابة علامة هيروغليفية منذ الأسرة الثالثة. ولدينا مثال رائع له بأحد الرسوم الملونة في مصطبة "آتت" بميدوم (الأسرة الرابعة - شكل ٧٤). ولا ريب أن الاستعانة به في مجال الكتابة، يعكس وجوده القوى فى نطاق البيئة. ولكن، يتصف هذا الطائر بعادات مقززة للغاية (فهو يتغذى بالفضلات، بل وكذلك بالبراز والغائط). ولم يمثل إلا فى الكتابات فقط لا غير.

وهناك أيضًا أحد الجوارح، المعروف باسم "السقاوة" (من الفصيلة الصقرية). ولقد قدم علامة هيروغليفية، تراءت فى الكتابة منذ الأسرة الرابعة. ولكنها أحيانًا، قد تختلط برمز الرخمة.


٧٥- علامة هيروغليفية تمثل بومة - معبد الملك تحتمس الثالث بالدير البحرى من الأسرة الثامنة عشرة.

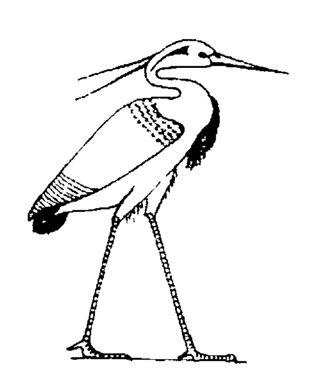
يلاحظ أن البومة الصمعاء (Tyto alba) هى الأخرى لها وجود فائق فى مجال الكتابة. ولكنها، غائبة على المستوى الفنى. وبالتدقيق، سوف نجد: خلافًا للقاعدة العامة التى تصور البشر والحيوانات من المنظور الجانبى فقط، فإن البومة الصمعاء قد مُثلت من منظور المواجهة. ولا شك أن الهدف من وراء ذلك، هو توجيه الاهتمام نحو عينيها ونظراتها غير العادية، المميزة ! وها هو مثال رائع

لبعض الرموز الهيروغليفية؛ بمعبد تحتمس الثالث فى الدير البحرى (شكل ٧٥): حيث نرى أن مميزات شكل ولون الطائر قد روعيت تماماً؛ ولكن باستثناء أحد التفاصيل؛ ألا وهى: أن أذنيه قد اقتُبستا من نوع آخر من البوم، الذى يتسم خاصة بقنزعته الريشية (Bubo bubo أو Asio otus)[٤٢]. وها هو هذا الطائر أيضاً، لم يمثل فى الإطار الفنى. ولكن، باستثناء أحد الرسوم الملونة بمقبرة "نتر حتب" (الأسرة الثامنة عشرة)، فى طيبة. حيث تُرى بومة صمعاء، فى أيكة من نبات البردى، وهى تدافع عن عشها ضد هجمات حيوان النمس[٤٣].

بالنسبة للطيور المائية طويلة الساق؛ فقد مُثلت كثيراً جداً. ويعد "الإبيس" المقدس (Theskiornis Aethipicus) من أكثر أنواع "الإبيس" انتشاراً فى مصر. وقد أُدمج بالإله "تحوت" (ولذا سُمى بالإبيس المؤله). ومن هذا المنطلق، بداية من الألفية الأولى، تمت تربيته على أوسع نطاق. وهذا ما تؤكده مئات الآلاف منه؛ المحنطة، التى عثر عليها بالجبانات. وفى حالته البرية، كان يعيش بالمناطق الرطبة بمستنقعات الدلتا، وسواحل النيل. ويبدو مظهره نموذجيًا بريشه الأسود والأبيض، وعنقه الخالى من الريش، ومنقاره المستطيل المعقوف.

لقد أثبت الإبيس المقدس وجوده، كعلامة هيروغليفية، بداية من الدولة القديمة (بالإضافة إلى نوعين آخرين من الإبيس، هما: الإبيس الأسود، والإبيس ذو القنزعة). وخلاف ذلك، فقد شوهد دائمًا من خلال النقوش الغائرة بالمصاطب، والرسوم الملونة بالمقابر فى الفترات الأكثر تأخراً؛ كما هى الحال فى "بنى حسن". وقد يُرى أيضًا فى هيئة تماثيل صغيرة مصنوعة من مواد متعددة متباينة، مثل: الحجر والبرونز، والخشب، والخزف المطلى .. إلخ. ولا ريب أن هذا الطائر كان له وجود هائل فى الإطار الطبيعى المصرى القديم. ولكنه اختفى تماماً الآن. فلا يستبعد أن تغيير عشه الأصلى البيئى هو السبب؛ بالإضافة أيضاً إلى أنه كان يستغل كثيرا بتقديمه كقرابين.

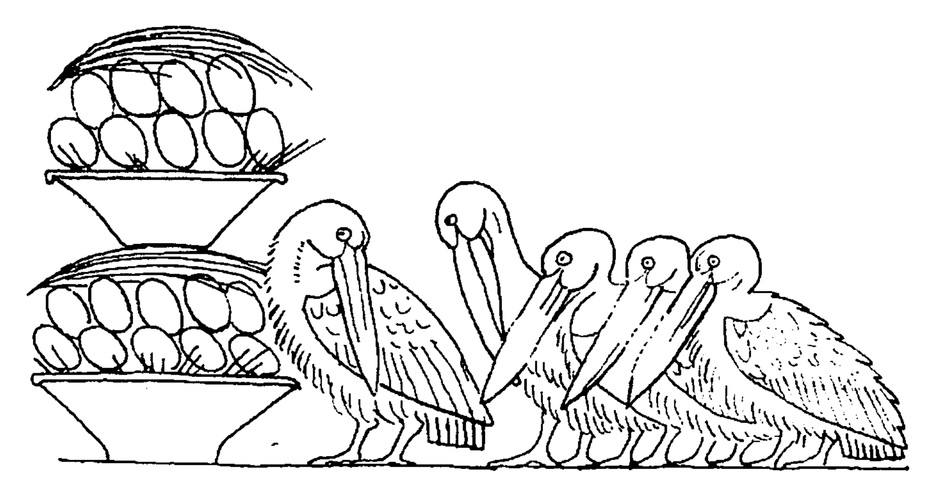
ويؤكد أن الطيور المائية طويلة السيقان، التى تعيش عادة فى الأماكن الرطبة، قد مُثلت كثيراً فى مصر. فها هى، على سبيل المثال طيور البلشون التى يمكن مطابقتها بالنقوش الغائرة والرسوم الملونة. وبصفة خاصة البلشون الرمادى اللون. إنه يسمى بالمصرية القديمة باسم "بنو". وهو بمثابة رمز المولد الجديد. ويتطابق بالشمس المشرقة. كما يرتبط بعُرف خاص بنشأة الكون: حيث يُعتقد أنه قد انبثق من المياه الأولية. ولقد أطلق عليه اليونانيون اسم فينيكس (Phenix) العنقاء. ويُظن أنه، عندما يشعر بدنو أجله، فإنه يحرق نفسه بنفسه فوق كومة حطب مشتعل. ثم يتولد ثانياً من رماده (شكل ٧٦).



٧٦- طائر "البنو" - مقبرة نفرتارى بوادى الملكات - الأقصر من الأسرة التاسعة عشرة.

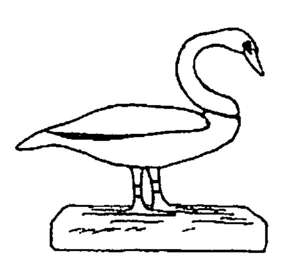
لقد رأينا سابقاً، أن المصريين قد حاولوا استئناس الكراكى. ولكن يبدو أنهم لم يستمروا فى محاولتهم هذه فيما بعد الألفية الثانية. ومع ذلك، فقد مثلت كثيراً، واعتُبرت بمثابة عنصر مكمل فى إطار المجال الطبيعى. وبالنسبة للقنبرة فقد شوهدت رسومها وأشكالها هى الأخرى؛ خاصة من خلال مشاهد الصيد فى المستنقعات. وهذا ما يمكن أن نراه فعلاً بإحدى مقابر طيبة الخاصة بـ"منّا" (الأسرة الثامنة عشرة). إن أبا قردان يبدو أقل حجماً من البلشون. ويتميز بلون ريشه الأبيض. وحالياً، قد نقابله كثيراً فى الريف المصرى، حيث يصاحب الفلاحين؛ خاصة أنه يقدم لهم خدمات كثيرة، فإنه يلتهم كميات ضخمة من الحشرات (لوحة ١٨). وفيما يختص بطائر العجاج (من الجوارح)، فهو أحد الطيور المائية الأخرى طويلة الساق. وفى الإمكان مطابقته بين طيور المستنقعات. ونراه أيضاً من خلال النقوش البارزة بديعة الجمال بالمعبد الجنازى الخاص بـ"أوسر كاف" (الأسرة الخامسة). ولقد مثل أيضاً الكثير من هذه الطيور التى تعيش فى المناطق الرطبة؛ مثل الجهلول، والفاقة من الفصيلة البجعية ثم الغُرة ... إلخ. وجميعها تشارك فى زخرفة مشاهد الصيد فى المستنقعات. ولكن، يتضح أنها لم تكن تلقى إقبالاً خاصاً من المصريين. ولكن طيور البجع ربما كانت أكثر قرباً

من الإنسان. فهذا ما تبينه بعض أشكالها ورسومها بمعبد الشمس الخاص بالملك "نى أوسر رع" فى أبو غراب: حيث يلاحظ أن الدور الذى تقوم به، بقيادة بعض الكهنة، لا يبدو واضحًا جليًا. وفى ذات الحين، فها هو أحد الرسوم الملونة بمقبرة "حورمحب" فى طيبة (الأسرة الثامنة عشرة)، توحى بأن الإنسان كان يتغذى ببيضها، بل ولحمها أيضًا (شكل ٧٧).



٧٧- طيور الكركى بجوار بيضها - مقبرة الكاتب حور محب بغرب طيبة. من الأسرة الثامنة عشرة.

وعن البجع (شكل ٧٨) فقد عرف فى مصر بداية من عصر ما قبل الأسرات. ويشاهد خاصة فى مصطبة "بتاح حتب الثانى" بسقارة (الأسرة الخامسة)؛ ضمن بعض الطيور المُدجنة، مثل: البط والإوز. ومع ذلك، فلم يكن من المعتاد دائما إدماجه بطيور الحظائر.



٧٨- بجعة منحوتة من الخشب - مقبرة الأميرة "إتاورت" من الأسرة الثانية عشرة - المتحف المصرى بالقاهرة.

لقد أمكن مماثلة طائر أسود اللون بالبجعة، حيث صُور فى مقبرة "باكت الثالث" فى بنى حسن. ولكن يلاحظ أن البجعة الأكثر شيوعًا فى مصر هى المعروفة باسم:

(Ephippiorhynchus senegalensis) التى اتُخذت كعلامة هيروغليفية. وبداية من أواخر عصر ما قبل الأسرات، بدأ تصويرها فوق بعض الأدوات المصنوعة من العاج (لوحة ١٩). وربما أن هذا الطائر الذى لم يمثل منذ نهاية الدولة القديمة قد اختفى من مصر منذ تلك الحقبة(٤٤).

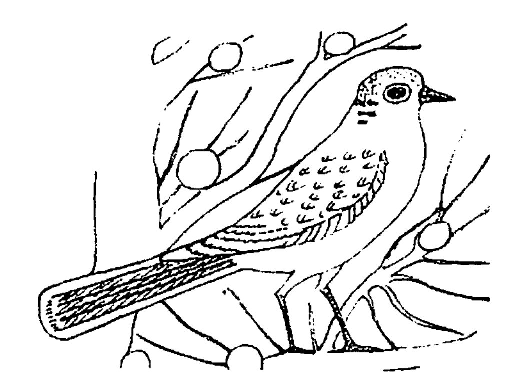
وكان هناك أيضًا ضمن الطيور المائية، طائر الملاعقى (يتميز بمنقاره الملعقى الشكل) (Platalia leucorodia). وتشاهد صوره ورسومه على جدران مصاطب الدولة القديمة، بالجيزة وسقارة. ثم بعد ذلك خلال الدولة الوسطى بمقابر بنى حسن.

أما بالنسبة للزقزاق (Vanellus vanellus) فقد احتل مكانة متفردة فى الخيال المصرى القديم. فمنذ عصر ما قبل الأسرات، بدأ تمثيله فوق رأس المذبة الخاصة بالملك "العقرب". وتحديدًا، صُور عدد متتابع من طيور الزقزاق وقد شُنقت ببعض اللوحات . وربما أنها ترمز إلى الشعوب التى غزاها الملك. وفيما بعد، استُعمل الزقزاق للإشارة إلى الشعوب بصفة عامة "رخيت (rekhyt)"، كعلامة هيروغليفية. ومنذ الدولة الحديثة؛ أُبدعت أفاريز مكونة من طيور الزقزاق رافعة أذرعها وأيديها البشرية فى هيئة التضرع والتوسل فوق جدران المعابد: إنها ترمز إلى الشعوب العابدة للملك (لوحة ٥٥). وخلاف ذلك، تراءى طائر الزقزاق دائمًا من خلال مشاهد المستنقعات.

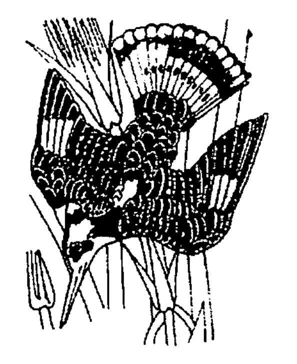
أما طيور النُحام (Phoenicopterus ruber) فهى تكون فصيلة منفردة. ومع ذلك، فإنها على قرابة وتجانس بيئين مع الطيور المائية طويلة السيقان. وقد وجدت فى مصر منذ أمد بعيد جدًا؛ حيث مُثلت فوق بعض الفخاريات التى ترجع إلى عصور ما قبل عصر الأسرات. ويعبر النُحام عن أحد الرموز الهيروغليفية. ومع ذلك، فقليلاً ما يشاهد من خلال الرسوم والأشكال.

لقد استأنس المصريون الحمام واليمام (شكل ٧٩). ولكن، بقيت هذه الطيور ضمن الحيوانات البرية. ومن هذا المنطلق كان طبيعيًا أن يتم صيدها. وذلك للإقبال على لحمها اللذيذ. وقطعًا، لم يكن الأمر هكذا بالنسبة للطيور الصغيرة، بالرغم من أن البعض منها كان يُتخذ كحيوان للمرافقة. ولقد شوهد الكثير من المشاهد التى تصورهم وهم يمسكون بطيورهم الأليفة؛ خاصة: الهدهد. ولقد أثبت وجودها دائمًا من خلال الرسوم الملونة والنقوش البارزة بالمقابر. ولدقة تصويرها الفائق، يمكن أن تُطابق

منهـا: أعداد من الجواثم، وأكـال السـمك، والقنبرة، والسنونو، والصـفارية، وعصـفور الدُورى (هذا الأخير كان قليل العدد؛ ولكنه اتُخذ كعلامة هيروغليفية). أما عن صـائد الأسمـاك، فقد صور كثيراً. وذلك لجماله؛ بدءاً من الدولة القديمة. ولدينا عنه مثال بديع أُخذ من القصـر الشمـالى الخـاص بأخناتون فى العمـارنة. حيث صـور هذا الطائر بأسلوب إيحـائى واضح، وقد غـاص فى عمـاق إحدى أيكات البـردى (شكل ٨٠). وبالنسبة للقنبرة، فهى من الطيور التى استولت على إعجاب الحرفيين الفنيين المصريين .. الذين أكثروا من رسمها وتصويرها. وأكثر الأمثلة إثارة للانتباه، يوجد فى مقبرة "خنوم حتب الثالث" فى بنى حسن (الأسرة السابعة - شكل ٨١).



٧٩- عصـفور الجنة - مقبرة خنوم حتب الثالث ببنى حسن من الأسرة الثانية عشرة.

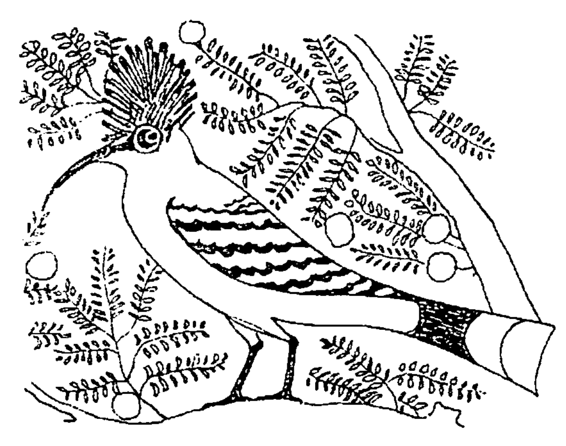


٨٠- الطائر "قرلى" أو "قاوند" - رسم على جدران القصر الشمالى للملك أخناتون بتل العمارنة - من الأسرة الثامنة عشرة.

قدم طائر السنونو علامة هيروغليفية تتواءم مع نطقها "ور our". وعلى الرغم من دقة الصور، فليس من السهل غالبًا تحديد فصيلة الطائر (rupestris أو rustica). ولقد ارتبط هذا العصفور بقيمة رمزية قوية. كما أنه يُعد بمثابة أحد الأشكال التى يفترض أن يتراءى بها المتوفى فى العالم الآخر. وذلك بمقتضى عبارة سُجلت فى كتاب الموتى. وكذلك، يتم تحوله أيضًا إلى عنقاء أو إلى بلشـون. ويتبين أن كل هذه التحولات، بالإضافة إلى صورة الروح الممثلة فى هيئة

طائر ذى رأس آدمى، تعبر جميعها عن فكرة إمكانية التحرك المرجوة للمتوفى؛ الذى يتحتم عليه الترحال ما بين العالمين(٤٥).

وغالبًا ما كان طائر الصفارية (Oriolus oriolus). وعلى ما يبدو، أنه قد اعتُبر من الطيور الضارة: حيث يستهلك كمية كبيرة من الفواكه. فيلحق الأذى بالمحاصيل. وتوضح بعض النقوش البارزة بمصطبة "آخت حتب" (الأسرة الرابعة)، وقد حفظت بمتحف اللوفر، عن الصيد بواسطة الشباك لفوج من طيور الصفارية، التى كانت تندفع لالتهام ثمار إحدى أشجار الجميز. وتُرى شبكة مترامية الأطراف وقد كست تقريبًا الشجرة بأكملها. وضمن عصافير الصفارية التى اقتُنصت، وقعت بعض طيور الهدهد. وحاليًا، فى مصر، يتم اقتناصها بمثل الأسلوب الذى كان يتبع فى العصور القديمة. فإن هذه العصافير التى تقبل كثيرًا على أكل البلح، وكذلك التين، أو التوت .. ما زالت حتى يومنا هذا تُحدث الأضرار نفسها التى كانت تقع فى الماضى(٤٦).



٨١- هدهد يقف على أحد فروع شجرة جميز - من مقبرة خنوم حتب الثالث فى بنى حسن من الأسرة الثانية عشرة.

يُعد الغراب أيضًا ضمن الجواثم. وقد لُوحظ ميله الواضح إلى الخطف والهجوم، بداية من عصر ما قبل الأسرات. ولقد صُور فوق لوحة "ساحة القتال" بالمتحف البريطانى وهو يشارك النسور فى مأدبة ما بعد المعركة(٤٧). وما عدا ذلك، فقد مُثل دائمًا فوق بعض الأوستراكا خلال الدولة الحديثة، فى مضمون هزلى ساخر، بصحبة عدو متباين من الحيوانات الأخرى، حيث يبدو واضحًا أنه على خلاف معها!

أما النعام فقد اختفى حاليًا من مصر؛ باستثناء منطقة جبل "علبة" بأقصى جنوب البلاد. ولم يكن تمثيل هذا الطائر نادراً؛ بل ويرجع إلى زمن موغل فى القِدم. ومنذ عصر ما قبل الأسرات، شوهدت صور وأشكال النعام ضمن النقوش الحجرية، كما هى الحال فى "سلوا بحرى" بشمال كوم أمبو (ينظر شكل١)[٤٨]. وكذلك، فوق اللوحة التى ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات، المتعلقة بالصيد. وهى محفوظة حاليًا بالمتحف البريطانى. وحتى عصر الملوك الرعامسة، كان يتم صيدها من أجل أسرها، وليس لمجرد قتلها: حيث بدأ الإقبال واضحًا على ريشها وبيضها.

فوق المروحة الذهبية الخاصة بالملك توت عنخ أمون: يُرى الملك فوق مركبته أثناء مطاردته لبعض النعام، التى رُشقت بها فعلاً بعض السهام. وبدا واضحًا أن الطلب عليها كان متزايداً؛ لدرجة أن صيدها لم يكن كافيًا. ولذا، استدعت الضرورة استيرادها من بعض البلاد المجاورة، مثل ليبيا والنوبة. وقد استُعين بريشة النعام لكى تكون رمزًا لـ"ماعت". وكذلك فى تيجان مختلف الآلهة، مثل "آمون"، و"مين"، و"أوزيريس".

ربما كانت هناك بعض المحاولات لاستئناس النعام. وعلى أية حال، فمن خلال الموكب الكبير الخاص ببطالمة الإسكندرية خلال عهد بطلميوس الثانى تُرى ثمانية أزواج من النعام مُسرجة وهى تجر عدداً من المركبات[٤٩]!

ونجد مصدراً للمعلومات عن الطيور مكونًا بواسطة "حديقة النباتات" الخاصة بتحتمس الثالث فى الكرنك. فالأمر يتعلق هنا بقاعتين تقعان بشمال شرق القاعة الكبرى الخاصة بالاحتفالات، المسماة بـ"الآخ منو". ومن خلال النقوش الغائرة، تُرى النباتات التى ربما كان الملك قد أحضرها من بلاد "الرتنو العليا" (سوريا الشمالية)، خلال إحدى حملاته، فى العام الخامس والعشرين من عهده.

وبين هذه النباتات الأجنبية المصدر، تراءت ثمانية وثلاثون نوعًا من الطيور، وبعض الثدييات. ولا ريب أن ضمن هذه الطيور، بدا البعض منها غريبًا عن مصر. وينطبق ذلك على طائر الغرغر، وبعض فصائل الغاق، وخطاف البحر والبلقشة (نوع من البط الغطاس)؛ ثم طائر آخر تبين أنه الوقواق المبرقش المميز بذيله الطويل وقنزعته

العالية[٥٠]. وخلاف ذلك، تشاهد أيضًا الكثير من الطيور الأخرى المنتشرة عادة فى مصر، مثل: الكركى، والإبيس الأسود، وصياد السمك، والزقزاق ذى القنزعة، والبجعة، والسنونو، والبلشون الأبيض اللون، والأوز... إلخ (لوحة ٥٧).

وقد شوهد السمان أيضًا ضمن الطيور المصورة فى "حديقة النباتات" هذه. لقد أثبت هذا الطائر وجوده تمامًا فى الأجواء المصرية. فبداية من الأسرات الأولى؛ ها هو فرخ السمان يجد له مكانًا ضمن الرموز والعلامات الهيروغليفية: معبرًا عن الصوت: "واو". ولقد رأينا أن السمان كان يُصاد بواسطة الشباك منذ الدولة القديمة.

وسوف نجد أن عالم الطيور والنباتات الذى تقدمه "حديقة النباتات"، قد تراءى واضحًا فى نطاق الشعر المصرى القديم: وهو يشير إلى "كل طيور بونت" التى "حطت فى أرض مصر؛ المتأرجة بعبق الصبر والمُر"[٥١].

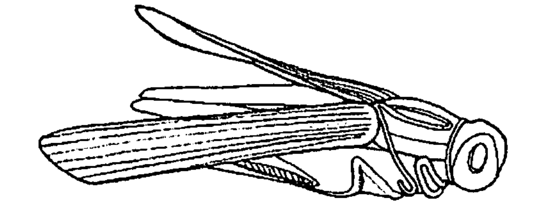
عالم الحشرات

عالم الحشرات يتسم باتساع مداه. وبذا، فسوف ينحصر حديثنا على تلك التى مُثلت بالنقوش الغائرة والرسوم الملونة، التى كانت ضمن الأجواء السائدة عند قدماء المصريين. وبين الأنماط العديدة من حشرة الجُعل، يلاحظ أن الذى مُثل، هو الجُعل المقدس (Scarabaeus sacer). ومن خصائصه أنه يقوم بصناعة عدة كرات من الفضلات، ثم يقوم بدفعها، وهو يتقهقر إلى الوراء. وبذا، فقد شارك فى الدورة اليومية الشمسية: حيث تتماثل الكرة بالشمس عند مشرقها. وكذلك، يلاحظ اسمه المصرى الذى يتطابق بالظاهرة "خبر"؛ التى يستعان بها للتعبير عن فكرة "الصيرورة"؛ يتراءى فى الاسم الخاص بالشمس المشرقة: "خبرى".

إن الحشرات من نوع الجراد مثلت غالبًا فى نقوش مصاطب الدولة القديمة دون أن نتمكن من التحديد بشكل قاطع إن كانت هذه الحشرات جرادًا أو فرقع لوز. وأحد نقوش مصطبة كاجمنى تصور جرادة وحشرة اليعسوب وضفدعًا واقفة على أغصان النباتات المائية، بينما تتحرك التماسيح والأسماك فى المياه (انظر شكل رقم ٧١).

ونرى أيضًا منظرًا مماثلاً لذلك على أحد جدران مصطبة مرروكا، ونجد أن الجراد أو فرقع لوز أصبح موضوعًا زخرفيًا ذا قيمة فنية عالية فى الدولة الحديثة كما تشهد على ذلك إحدى أوعية التجميل المحفوظ حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة (منظر رقم ٨٢).

قطعًا إن الذبابة قد وجدت فى أجواء مصر القديمة. كما تتسم بالإزعاج والمضايقة، كما هى عليه حاليًا. وبداية من الألفية الرابعة تراءت بعض أشكالها المصنوعة من الحجر، التى ربما كانت تتخذ كتعاويذ. ويحتمل أن إصرارها وعنادها الشديدين، هو الذى جعلها بمثابة رمز للشجاعة العسكرية خلال الدولة الحديثة. حيث ظهر، وقتئذ، نمط من الأوسمة أُطلق عليه عبارة: "ذبابة البسالة". ونجد أن منح أى ضابط مثل هذه الذبابات الشرفية، قد أُشير إليه فى عدة نصوص ونقوش بارزة. وخلاف ذلك، فها هى قلادة رُصعت بثلاث ذبابات ذهبية قد تضمنتها الحُلى التى عُثر عليها فى مقبرة الملك "إعح حتب" (حوالى ١٥٣٥ ق.م.). ولا شك أن نجاح "مارييت" لاسترجاع تلك المصوغات التى كانت على وشك الضياع فى السوق الموازية للقطع الأثرية، قد اعتُبر، وفقا لما ذكره "دفيريا"، بمثابة مقدرة فعلية!



٨٢- علبة مسحوق تجميل على هيئة جرادة، مصنوعة من الخشب - من الأسرة السادسة - المتحف المصرى بالقاهرة.

على ما يبدو، لم يذكر الناموس فى النصوص المصرية. ومع ذلك، فقد أكد "هيرودوت" أن أعداده كانت فائقة (وهذا ما يلاحظ حاليًا). ووفقًا لأقواله: إن بعض الأهالى لاتقاء أذاها كانوا ينامون فوق أبراج (فى الواقع، فوق أسقف البيوت المعدة فى هيئة أسطح): فإن الناموس لا يمكنه الطيران على ارتفاعات عالية. وهناك آخرون كانوا يلجأون إلى إحاطة أسرتهم بما يشبه الشباك، التى يستعينون بها لصيد الأسماك[٥٣].

ولم تصور الفراشات إلا نادراً. ومع ذلك، فبدءًا من الدولة الحديثة؛ يلاحظ أن أساور الملكة "حتب حرس" والدة الملك "خوفو"، قد زُرقشت بزخرفة بديعة فى هيئة فراشات من الأحجار النفيسة (الفيروز، واللازورد، والعقيق) المطعمة فى الحلقة الفضية[٥٤]. وكذلك تُرى عدة فراشات بالمنظر الطبيعى التى مثلت به مشاهد صيد الأسماك؛ أو الصيد والقنص بالمستنقعات: بداية من الدولة القديمة وحتى الدولة الحديثة. ولكن، بخلاف المشاهد الحيوانية الأخرى، فإن تلك الخاصة بالفراشات تبدو نادرة. وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال أحد الرسوم الملونة بمقبرة "منّا" (شكل ٤١). ومع ذلك، فقد أمكن مطابقة أحد أنواع الفراشات، وهى بإحدى مقابر بنى حسن[٥٥].

الفصل الرابع

الحيوانات القادمة حديثا، والحيوانات المندثرة

فى نهاية الدولة القديمة، نجد أنه قد استؤنست حيوانات عديدة، بحيث أصبحت تحت حوزة قدماء المصريين، هذا بالإضافة إلى أن هناك محاولات أخرى قد فشلت تمامًا فى هذا الاستئناس مثل التياتل والضباع وطيور الكركى. ولقد أصبحت تربية الحيوانات بجانب الزراعة هى المصادر الضرورية للحصول على الطعام. وكانت الحال هكذا منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، بالإضافة إلى استمرار مزاولة صيد الحيوانات بما فيها الطيور الجارحة بوجه خاص. وقد جُلبت أنواع أخرى جديدة من الحيوانات نتيجة للحروب والغزوات، بالإضافة إلى التبادل التجارى وتمت إضافتها لمجموعة الحيوانات التى تزخر بها الطبيعة المصرية.

الدرباني (حيوان ثديى ذو سنام من الفصيلة البقرية)

أُدخل الدربانى (Bos indicus) إلى مصر خلال الدولة الحديثة. ويمكن رؤيته بالرسوم الملونة فى مقابر طيبة؛ وقد أُحضر بمثابة "جزية" من جانب التجار السوريين. وربما أن المصريين قد دجنوه وأدمجوه بالقطعان المتضمنة بفصائل عديدة متباينة من البقريات؛ وهكذا، يمكن رؤيته بأحد الرسوم الملونة بمقبرة "نب آمون" (الأسرة الثامنة عشرة، شكل ٩)[١]. وربما أن قلة صوره ورسومه تدعو إلى الاعتقاد بأنه لم يقم بدور كبير فى مجال الاقتصاد المصرى. وفى نهاية الأمر، اختفى تمامًا من مصر؛ ولكن، لا يعرف بالضبط فى أى فترة من الفترات (لوحة ٥٨).

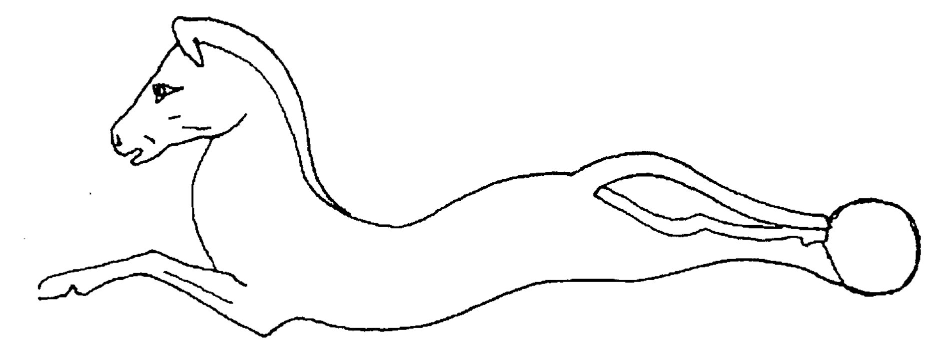
الحصــان

فى نهاية الدولة الوسطى، دخلت مصر فترة قلاقل واضطرابات، صاحبها تدهور واضمحلال السلطة المركزية، وتطور ونمو النفوذ المحلى. فهكذا، بدت الحال فيما مضى أيضًا بأواخر الدولة القديمة. واعتبارًا لتلك الاضطرابات، أخذت القبائل الآسيوية تستقر فى شرق الدلتا. ورويدًا رويدًا تمكن هؤلاء القادمون الجدد من الاستيلاء على السلطة بالمنطقة. وقد عُرفوا باسم: "الهكسوس" نقلاً للعبارة المصرية "حقا خاسوت"، التى يمكن أن تترجم بـ: "أمراء البلاد الأجنبية"، أو "الأمراء الرعاة". وهكذا، أمر زعيمهم بأن يتوج فى منف ذاتها فى حوالى ١٦٥٠ق.م. وأسس عاصمته فى مدينة "أواريس" (تل الضبعة) بشرق الدلتا.

وقد سادت سيطرة الهكسوس على جميع أنحاء مصر السفلى. وأيضًا، بوساطة بعض الموالين المصريين الوسطاء على مصر الوسطى وبشكل متواز، استمر بعض الملوك الفراعنة المصريين (الأسرة الثامنة عشرة) فى حكم مصر العليا .. إلى حد ما تحت هيمنة الهكسوس. وهؤلاء الفراعنة ذاتهم هم الذين تمكنوا من استعادة الشمال؛ وطردوا الهكسوس بعد العديد من المعارك العسكرية. وكان للفرعون "أحمس"، مؤسس الأسرة الثامنة عشرة، الفضل فى استرجاع أرض مصر.

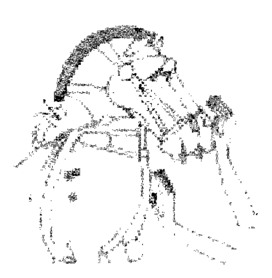
إن الانتصارات الأولية التى أحرزها الهكسوس، ربما كانت ثمرة تسليح أكثر فعالية من ذاك الخاص بالمصريين (فئوس قتالية وخناجر)؛ بل وخاصة لاستعانتهم بالمركبات الحربية والجياد؛ التى عرفت من قبل فى منطقة الشرق الأدنى. وقد يُعتقد أن الهكسوس هم الذين أدخلوا هذه الحيوانات إلى مصر، التى كانت على ما يبدو مجهولة حتى ذاك الحين بالنسبة للمصريين. ومع ذلك، فقد عُثر فى بنية قلعة "بوهن" فى النوبة على هيكل عظمى لحصان. وتبين مكتشفوه أن التأريخ الذى اقترحوه ربما كان يسبق إلى حد ما تكوين مملكة الهكسوس. ومع ذلك، فإن هذا التأريخ الذى يرتكز على علم الطبقات، قد لا يُعتمد عليه تمامًا(٢).

لقد اقتُنى الحصان (Equus caballus) منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة (شكل ٨٣). ولكنه مع ذلك، اعتُبر دائمًا من الحيوانات النادرة القيمة. فهو هش البنية، ولا يتلاءم مع الأجواء الحارة والصحراوية (يتحتم إمداده بالكثير من المياه). وفى نطاق مصر، لم يكن من الممكن أبدًا إحلاله مكان الحمار: الذى يفوقه متانة، وقوة تحمل، ومقدرة على التقشف. وفى واقع الأمر فإن الجواد، قد بقى دائمًا بمثابة حيوان يدل على الرفاهية والأبهة، ولا يستعين به سوى الملك وعلية القوم. وخلاف ذلك، فمنذ ذاك الحين، استُخدم خاصة فى مجال الجيش. وبذا، فقد تكونت وحدات المركبات الحربية. واعتُبرت بمثابة رأس الحربة بالنسبة للجيش المصرى. وبجانبها أيضًا، وجدت فرق المشاة التقليدية. وجدير بالذكر أن رتبة "قائد العربات" كانت ذات أهمية قصوى. وهكذا، فقد حملها كل من "حورمحب" و"رمسيس الأول"، قبل اعتلائهما، على التوالى لعرش مصر. وأساسًا، كان الحصان يُشد بالمركبات الحربية (شكل ٨٤). ولكن، هناك أيضًا، بعض الفرسان (شكل ٨٥). وهكذا، فمن خلال أحد النقوش الغائرة بالمقبرة الخاصة بحورمحب فى منف (أواخر الأسرة الثامنة عشرة) يُرى فارس على جواده .. ربما قد يكون أحد الكشافين[٣]. عمومًا، إن وجود وحدات فرسان بالجيش المصرى، ما زال مجرد تخمين. وكذلك، فإن الفروسية، سواء كانت من أجل البهجة والسرور أم للتنقل من مكان إلى آخر، لم تمارس عادة، قبل العصر البطلمى.



٨٣- مقبض سوط على هيئة حصان منحوت من العاج - عثر عليه فى غرب الأقصر - يرجع إلى الأسرة الثامنة عشرة - حاليًا بمتحف المتروبوليتان بنيويورك.

فى أغلب الأحيان، كان الملوك، بداية من الدولة الحديثة، يصورون وهم واقفون فوق مركباتهم. ولم يمثلوا أبداً فى هيئة فرسان. وقد أثبت الكثير من النصوص مدى اهتمامهم البالغ بجيادهم. فها هى، على سبيل المثال لوحة الجيزة، التى عُثر عليها بجوار أبى الهول التى تقدم مدحًا وتقريظًا للصفات الجسمانية التى كان يتسم بها "أمنحتب الثانى". وعبرت فى المقام الأول عن مدى كفاءته فى ترويض الحيوانات واستئناسها. فتذكر، أنه فى طفولته: "كان يحب الجياد، ويبتهج بوجودها. بل ويبذل قصارى جهده فى العناية بها". ولقد أهداه والده مركبة رائعة بجيادها؛ وعُلم كيفية العناية بها. ومنذ ذاك الحين، أخذ يروض ويدرب عدداً من الجياد التى لم يُر لها مثيلا. فهى لا ترهق عندما يمسك بزمامها. كما أنها عند الركض السريع لا تصل وقد تصببت عرقًا"(٤).



٨٤- حصانان أمام السايس المسئول عنهما - منظر عثر عليه فى سقارة يرجع إلى الفترة ما بين الأسرة الثامنة عشرة والأسرة التاسعة عشرة - حاليًا بالمتحف الملكى بأسكتلندة.

ثم ها هى لوحة أخرى خاصة بالملك "بيعنخى"؛ عُثر عليها فى "جبل برقل" تحكى ما يلى: أن الملك أثناء زيارته لحظائر هرموبوليس بعد حصار الاستيلاء على المدينة، قد غضب غضباً شديداً عندما رأى أن الجياد كانت تعانى من الجوع. وكان ذلك، فى نظره بمثابة أبشع الآثام التى ارتكبها عدوه(٥). وها هو الدليل على الاهتمام البالغ تجاه الجياد: نجده فى المراسلات الملكية التى حُفظت فى أرشيف العمارنة: كانت الخطابات المرسلة إلى ملك مصر، من



٨٥- تشكيل نادر لتمثال يمثل فارسًا يمتطى جواده - منحوت من الخشب الملون - الأسرة الثامنة عشرة - متحف المتروبوليتان بنيويورك.

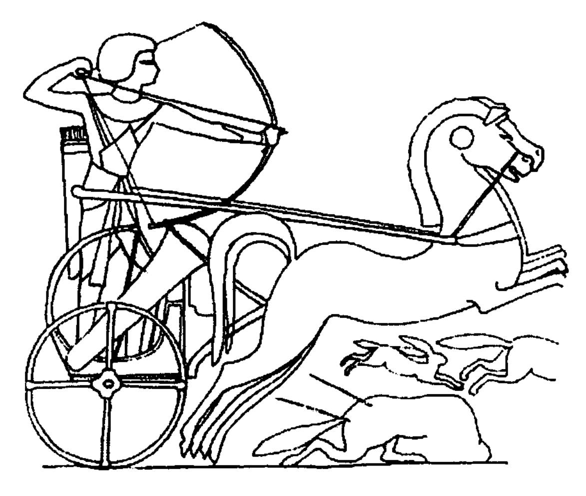
جانب مختلف الملوك ومؤسسى السلالات الحاكمة فى منطقة الشرق الأدنى وبابل تتضمن دائمًا من خلال التحيات التقليدية أمنيات وأمانى تتعلق بصحة جياد الملك !!

وقد يلاحظ أن الجياد، يطلق عليها دائمًا بعض الأسماء. وفى الواقع أن ذلك يعبر أيضًا عن لمسة صداقة وألفة مع هذه الحيوانات. وهكذا، قد أحطنا علمًا باسمى حصانىّ مركبة رمسيس الثانى خلال معركة "قادش". وهما: "النصر فى طيبة" و"مُوت راضية". وفى السرد الخاص بالمعركة، نجد أن رمسيس الثانى بعدِ أن ندد بافتقاد الحمية والحماسة من جانب فرقه العسكرية .. أخذ يبدى تكريمه وإعزازه بجواديه؛ وصرح قائلاً: إنهما كانا الوحيدان اللذان سارعا بإنقاذه ومد العون له. وإنه منذ ذاك الحين، فصاعداً، سوف يقدم لهما بنفسه غذاءهما اليومى عند وجوده بقصره(٦).

عامة، لم يكن الملك هو الوحيد الذى يمتلك حظائر. فمنذ الدولة الحديثة، كان عِلية القوم وكبار موظفى المملكة، لديهم، هم أيضًا مركبات وجياد. ويمكن رؤية أمثلة على ذلك من خلال الرسوم الملونة بمقابر طيبة؛ على غرار مقبرة "نب آمون إيبوكى"، أو "أوسرحات" (شكل ٨٦). وأمام المقبرة الخاصة بـ"سننموت"، المهندس المعمارى الخاص بالملكة "حتشبسوت"، الذى كُلف من جانبها بالكثير من التشريف والوظائف الكبرى، عُثر على حصانه المفضل مدفونًا (ربما أنها فرس). ولقد قُدر عمر هذا الحيوان، بحوالى خمس أو ست سنوات. وكان يتميز بضآلة حجمه (وكأنه "سيسى" صغير مثل الذى قد نراه فى عصرنا الحالى). وبدا واضحًا أنه قد دفن وفقًا لإعداد وتجهيز معينين؛ على الرغم من أنه لم يحنط. ومع ذلك، فقد دُثر بلفائف من الكتان الناعم الرقيق، وأُرقد بداخل تابوت مصنوع من الخشب.

خلال الأسرة الثامنة عشرة، كانت الجياد المستعملة فى مصر، تستورد عادة من غرب آسيا. وقد عُرف أن تحتمس الثالث، قد غنِم من وراء عمليات سلب ونهب مدينة "مجدو": ما لا يقل عن ٢٠٤١ فرسًا، و١٩١ مُهرًا، و٦ فحول، و٩٢٤ عربة نقل. وبداخل مقبرة "رخميرع" وزير الفرعون، يُمثل أحد المشاهد، ضمن حاملى الضرائب الأجانب، بعض الأفراد السوريين، وهم يسوقون أمامهم حصانين نشيطين متوثّبين. فيما بعد،

اضطر المصريون أن يتعلموا تربية الجياد؛ لدرجة أن نتاج هذه التربية قد ذاعت شهرته فى الخارج. وعلى ما يُعتقد أن "أوسركون الرابع" قد أهدى إلى الملك "سرجون الثانى" فى "آشور" اثنى عشر حصانًا مصريًا بديعًا. أما الملك "سليمان" فإنه على ما يبدو، قد اشترى جياده من مصر. ولكن يتبين أن النص التوراتى الذى ذكر ذلك يعتبر موضع جدال ومناقشة. وأن الأمر يتعلق بالأحرى بـ:سيليسيا" التى تُعد من أهم البلاد فى مجال تربية الجياد؛ وليس مصر(٧).



٨٦- الكاتب الملكى أوسرحات، يقوم بالصيد وهو يركب عجلة يجرها حصانان - غرب طيبة - الأسرة الثامنة عشرة.

وخلال عصر البطالمة، لا شك مطلقًا أن الاستعانة بالحصان قد تطورت ونمت. ويرجع ذك إلى أن الإغريق كانوا يعرفونه ويستغلونه منذ أمد بعيد. ومع ذلك، فقد استمر البطالمة على استيراده من البلاد المجاورة مثل: ليبيا وسوريا والجزيرة العربية. وعادة، يُعد الحصان من الحيوانات المُكلفة للغاية. ويتراوح سعر شرائه أو بيعه وفقًا لجنسه، ونوعه. وغالبًا تكون الفرس غالية الثمن.

وتطورت الفروسية، وللمرة الأولى فى التاريخ، مُثل الملك نفسه ممتطيًا جواده. ومن خلال اللوحة الشهيرة "بيقوم" التى أُعدت لإحياء ذكرى النصر الذى أحرزه بطلميوس الرابع فى "رفح" ضد الملك "أنتيوخوس الثالث" (٢١٧ق.م.)، صُور الملك البطلمى لمرتين متتاليتين: بالأولى، وفقًا للطريقة التقليدية المصرية: أى واقفًا، وقد توج

رأسه بالتاج المزدوج، ومرتديًا المئزر؛ أما فى المرة الثانية، فكان ممتطيًا جواده: ويلبس قميصًا إغريقى الطراز؛ ممسكًا بحربة مقدونية النمط (رمح طويل)[٨].

منذ ذاك الحين، احتل الفرسان مكانة مهمة فى نطاق الجيش. ولذا، فإن الكثير من اللوحات الجنازية التى رُسمت عليها صور لجنود ممتطين جيادهم، قد اكتُشفت فى جبانات الإسكندرية.

فى العصر الرومانى، بقيت أهمية الحصان على ما هى عليه من اتساع مدى؛ وكذلك استمرار ارتفاع سعره. وفى القرن الثانى الميلادى، حددت بعض البرديات أن أسعاره كانت تتراوح ما بين ٧٢–١٨٨ دراخمة فضية. ولا شك أنه ثمن مرتفع للغاية، فى وقت كان الأجر اليومى للعامل المزارع، لا يزيد على ٢ دراخمة (عملة يونانية)[٩].

كان الحصان يعامل وكأنه أحد أفراد العائلة. فمن خلال رسالة خاصة ترجع إلى القرن الثالث، يُخبر الراسل أخته: أنه فى أتم صحة .. وكذلك حصانه !! وفى خطاب آخر، يُحَيى كاتبه، المرسل إليهم، أى: زوجته وابنته وجواده "باسوس"[١٠] وها هم بعض الجنود، بإحدى الحاميات، على مقربة من معبد "مندوليس" فى كلابشة بالنوبة السفلى، قد تركوا وراءهم عددًا هائلاً من المخربشات فى فناء المعبد، تتضمن دعوات وابتهالات أُدمجت بها جيادهم، ومما يدل على شعبية هذا الحيوان فى إطار الحياة اليومية: تكرار وكثرة رسومه وأشكاله. خاصة فى هيئة تماثيل صغيرة من الطين المحروق المقولبة، حيث انتشرت بأعداد هائلة بداية من العصر البطلمى، وحتى العصر البيزنطى. ولا شك أنه يُعد بمثابة أكثر الحيوانات تمثيلاً وتصويرًا من خلال هذا النمط من الإنتاج[١١]. كما صُنعت بعض اللعب فى شكل حصان: فقد عُثر فى عدة مقابر على جياد خشبية دقيقة، شدت إلى عربات صغيرة الحجم[١٢].

إن سباقات الجياد كانت تمارس منذ زمن بعيد فى اليونان؛ ثم بعد ذلك وصلت إلى مصر. وكان يُقام الكثير منها بمدينة الإسكندرية وبعض العواصم الكبرى بالأقاليم، مثل "هرموبوليس". وتبين بعض المخربشات بـ"أوديون" الإسكندرية (قاعة طرب فى اليونان قديمًا) بعض الحوذيين؛ بينت بعض الكتابات الملحقة أنهم يتمنون انتصارًا واحدًا أو آخر من المتبارين.

فى الواقع، أن الأمر يتعلق هنا بالجمل الهجين "سريع الجرى" (Camelus drome-darius) ذى السنام الواحـد فـقط، لا جـمل ذو السنامين (Camelus bactrianus) ذو السنامين؛ الذى لم يُحضر أبدًا إلى مصر... إلا بصفته حيوانًا أجنبيًا. ونجد أن الجمل الهجين يثير مشكلة ما. فلقد استعان به المصريون بداية من العصر البطلمى. ولكن، لم يثبت استغلاله فى الحقبة الفرعونية. ومع ذلك، فإن وجوده بمصر يرجع إلى عصور موغلة فى القدم: فقد عُثر على شظية من عظم الساق الكبرى، التى ربما تكون لجمل هجين؛ بالموقع المعروف باسم "بير صحراء" بالصحراء الغربية؛ على بُعد حوالى ثلاثمائة كيلومتر، غرب أبو سمبل (أواسط الحجرى القديم، فيما بين ٥٠٠٠٠ و ٣٠٠٠٠). وبالرغم من ذلك، فها هو بيان مكون من عدة وثائق ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات، وحتى الدولة الحديثة (بقايا عظام، أو بعض الأدوات، وكسرات لعدة لوحات، وتماثيل صغيرة من الفخار أو الحجر). لا يسمح بتقديم البرهان والدليل القاطع الحاسم عن وجود واستغلال الجمل الهجين (ذى سنام واحد) فى مصر الفرعونية[١٤].

على العكس من ذلك، فبداية من العصر البطلمى، تكاثرت الوثائق والأسانيد التى تشير إليه. فربما أنه قد دخل مصر، من جنوب شبه الجزيرة العربية عن طريق الصومال والنوبة. أو إنه، وفقًا لنظرية أخرى، قد وصل فى إثر جيوش الملك الآشورى "أسرحدون" الذى غزا مصر فى عام ٦٧١ قبل الميلاد. وخلال عصر البطالمة، استورد المزيد من الجمال الهجين من شبه الجزيرة العربية. ولقد بينت بعض عقود البيع عن حيوانات موسُومة بأحرف عربية. ومع ذلك، وبشكل متوازٍ، فقد تطورت تربية الجمال. وهناك الوصف المتعلق بالموكب الكبير الذى نُظم بأمر من بطلميوس الثانى فيلادلفوس بالإسكندرية فى عام ٢٧٤ ق.م. حيث استوعب الكثير من الجمال الهجين وقد شُدت إلى عربات نقل؛ أو حُملت بمنتجات نفيسة مثل: البخور، والصبر، والمُر، والتوابل.

وبمقارنة الجمل الهجين بالحصان، نجد أنه، هو الآخر باهظ الثمن. ومع ذلك، فقد كان انتشاره أكثر اتساعًا ومدى. وذلك للخدمات الهائلة التى يمكنه أداءها. وبوجه خاص لنقل المواد الغذائية عبر الصحراء. وكان بعض الأفراد يقتنونه. فها هى، على سبيل

المثال إحدى الكاهنات بالفيوم فى أواسط القرن الثانى الميلادى، كانت تملك خمسة جمال هجين. وباعت منها اثنين لأحد زملائها الكهنة بمبلغ ٥٠٠ دراخمة: وهذه قيمة عالية فى ذلك العصر[١٥]. ولقد تضاعفت بكثرة فائقة، الأشكال الصغيرة الممثلة للجمل الهجين ضمن التماثيل الضئيلة الحجم المصنوعة من الطين المحروق[١٦]. ويشاهد غالباً وهو يُقرع بالعصا أو يُسرج أو حاملاً لعدة سلال.

وكذلك، ما زالت تستعمل حتى وقتنا الحالى[١٧]، تلك القرعات أو الزمزميات الضخمة المصنوعة من الطين المحروق، وقد أُحيطت ببعض التقشيش المكون من ليف النخيل؛ والتى تعد ضمن تجهيزات القوافل. ولكن، ها هى أهمية الجمل تتضاءل كثيراً فى مصر. فقد اختفت تلك القوافل الكبرى المتوجهة إلى السودان أو تشاد. ولكنه مازال يُستغل فى أعمال الحقول والمزارع. وخلاف ذلك .. فقد ينتهى به الأمر فوق خشبة الجزار التى يُقطَّع عليها اللحم .

الخــروف

عُرف الخروف جيداً فى مصر، منذ عصر ما قبل التاريخ. وهذا ما لمسناه آنفًا. ويلاحظ أن الفصيلة التى استؤنست منذ زمن بعيد، ذات القرون الملتوية قد اندثرت تدريجيا وحلت مكانها، بداية من الدولة الوسطى فصيلة أخرى ملولبة القرنين. وخلال عصر البطالمة، ظهرت أنواع جديدة. فها هو وزير المالية فى عهد بطلميوس الثانى، ويدعى "أبوللونيوس"، قد أمر بأن يُحضر من المروج المالحة في مياندر[١٨] أعداداً من الخراف. وذلك لوضعها فى ضيعته الواقعة بـ"فيلادلفى" بالفيوم[١٩]، وكانت تعد فى هذه الفترة بمثابة مجال للتجارب الزراعية. وكان صوفها يلقى إقبالاً خاصاً. بل وتعد من الأشياء الثمينة النادرة؛ لدرجة أن جِزَّتها كانت تُدثر بجلد واقٍ؛ بمثابة معطف. بالإضافة لذلك، يُعتقد أن تربية الخراف قد تطورت ونمت بمصر خلال العصر البطلمى. وانتشر استعمال الصوف إلى أوسع مدى عند اليونان. وبالتالى ذاع صيته لدى المصريين.

تعـارضـًا مع فكرة شـاعت وانتشـرت لفتـرة مديدة .. كـان المصريون يـأكلون لحم الخنزير[٢٠]. ومع هذا، فإن لحم الخنزير لم يكن ضمن "غذاء" الآلهة، أو المتوفين: ولم ير أبدًا فـوق مـوائد القـرابين. بل إن هذا الحـيـوان ذاته، قلمـا كـان يـصـور. ولم يتم أبدًا تحنيطه؛ وقـد يرجع ذلك قطعـًا إلى ارتبـاطه بالإله "ست": "الشـرير". ولكن، بمـجىء الإغريق، ثم من بعدهم بفترة ما، الرومان .. فقد تبدل الأمـر. فإن هؤلاء القوم كانوا من كبار مـسـتـهلكى لحم الخنزير[٢١]. ولا شك أن أحد العناصـر التى سـاعـدت على نجـاح هذا الحيوان، هـى سهولة تربيته (الخنزير غالبًا مـا يأكل الفضلات والبواقى). وبالتالى، كان ثمنه زهـيدًا: فالخنزير الصـغـيـر لم يكن ثمنه ليزيد على (٢) أو (٥) دراخم، خـلال العصـر الرومـانى. وخـلاف ذلك، فقد اعتـاد اليـونانيون على تقـديم الخنازير كـأضـحـية لآلهتهم.

ومنذ بداية الـعـصــر البطلمى، شـُيـدت عـدة مـعـابد تكريمـًا للأربـاب اليـونانيين بالإسكندرية، وفـى نطاق "الخورا". ولا ريب أن الطقوس التى كانت تؤدى بهـا: يونانية. وهكذا، كان عيد "تسمـوفوريس" يقـام بالإسكندرية، تكريمـًا لـ"ديميتر". وكانت أُضـحـية الخنازير الصـغيرة هـى الشعيرة المركزية فى هذا العيد. وتُرى بعض الأشكال الصـغيرة المصنوعة من الطين المحروق، التى على مـا يـبدو ترتبط بتلك الشـعيرة، فى هيئة نساء؛ لا شك أنهن كاهنات، وقد أمسكن بخنازير صـغيرة من قوائمها.

لقـد صـُورت الخنـازير غـالبـًا، ضـمن الأشكال الصــغـيـرة المصنوعـة من الطين المحروق. ويـلاحظ أن البـعض منهـا، قـد زُين بأكـاليل من الزهـور .. ولا بـد أن هذا يبين عن تخصيصـها للأضـاحى.

منذ ذاك الحين، بدت الخنازير أكثر اكتنازًا. وتراءت ذيول بعضـها فى شكل فتاحة الزجـاجـات؛ أى إجمـالاً، أقرب شبـهًا بالخنازير الحـالية. فى حين أن الصـور والمشـاهد القديمة كانت تبينها كحيوان مشـابه للخنزير البرى (حلوف)، وأكثـر نحـافة، ويتمـيز بعُفرة من الشـعر السميك الصلب يحدد فقار الظهر. ولا شك أنه قد تم بعض التهـجين

بين الحيوانات الأصيلة وتلك التى استُوردت من أوربا[٢٢]. وهذا يفسر ترائى بعض التماثيل الصغيرة الممثلة للخنازير بسمات مختلطة (عُفرة من الشعر، وذيل فى هيئة فتاحة الزجاجات، على سبيل المثال).

الكلاب

خلال العصر اليونانى الرومانى، كانت تشاهد العديد من الأشكال ضئيلة الحجم الممثلة لكلب صغير، طويل الشعر المُجعد غالبًا؛ ويتميز بأذنيه المدببتين المنتصبتين وذيله الملتوى[٢٤]. وفى معظم الأحيان، يحيط هذا الكلب الصغير عنقه بطوق يزينه بصدرية ويمكن أن يصور بطريقة متباينة ومألوفة، فيبدو وهو يلعب بخف ما، أو وهو مضطجع فوق أريكة. فهنا هنا إذن نوع من كلاب المصاحبة. ويطلق على هذا الكلب اسم: "كلب مالطة". إنه شبيه بالكلب "اللولو" الذى يجلب عادة من "بوميرانى" ولكنه يختلف عنه بخطمه المربع الشكل. إنه الحيوان الأكثر تمثيلاً، بعد الحصان من خلال تسلسل الأشكال الدقيقة، المبدعة من الطين المحروق. وهو يتشابه تمامًا بالتماثيل الصغيرة المصنوعة فى اليونان[٢٥]. وربما أنه قد أُدخل إلى مصر خلال الحقبة الإغريقية.

خلاف ذلك، فى تلك الفترة، كانت الأنواع المتعددة من الكلاب التى وجدت فى مصر منذ البداية، لا تزال قائمة. وكان من الطبيعى أن يعبر المصريون عن اهتمامهم بتحسين السلالات، باختيار بعض الحيوانات من أجل التزاوج. فهذا بالفعل ما أفصح عنه الكثير من البرديات بمحفوظات "زينون" (القرن الثالث). فمن خلالها، يُعرف أن بعض المتراسلين كانوا يبعثون بكلبة أنثى إلى أملاك "أبوللونيوس". أو على العكس، يطلبون إرسال واحدة من أجل أن تحمل[٢٦]. ولقد تراءى أيضًا هذا الاهتمام بالتحسين والاختيار من خلال عدد كبير من النماذج الكثيرة الواردة من الخارج: التى ظهرت فى موكب بطلمية، حيث شوهدت كلاب هندية وهركانية (جنوب البحر الكاسبين) وعدد من كلاب المولوس (شمال اليونان).

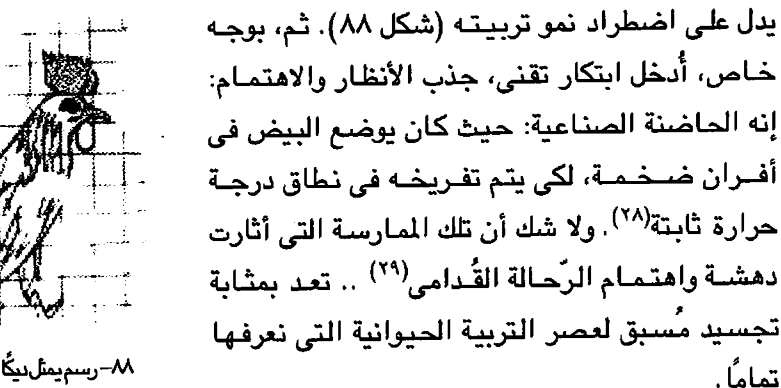
الديوك والدجاج

ترجع أولى صور الديك (gallus) فى مصر إلى الدولة الحديثة: فها هى إحدى الشقفات التى عثر عليها فى وادى الملوك (شكل ٢٥)، وكذلك طبق فضى من تل بسطة، ترجعان إلى عصر الرعامسة. ومنذ الدولة الثامنة عشرة بين أحد النصوص بحوليات تحتمس الثالث فى الكرنك، أن الملك كان قد تلقى من سوريا أربعة طيور: "كانت تبيض كل يوم". ولقد اعتقد البعض أن الأمر يتعلق هنا بعدة دجاجات. ولكن، مازال الموضوع موضع جدال[٢٧]. وقد يلاحظ أن الدجاجات قد تكاثرت بعض الشىء من خلال الرسوم والنقوش، بداية من أواسط الألفية الأولى. ولكن، فى واقع الأمر أن الإغريق هم الذين أدخلوها بمصر بشكل واضح. بل وطوروا تربيتها ونموها.

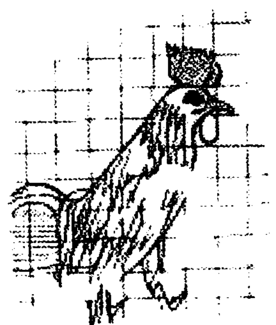


٨٧- حملة القرابين يحملون ديكًا - مقبرة بيتوزيريس - تونا الجبل - حوالى عام ٣٣٠ق.م.

فى أوائل عصر البطالمة، كان الديك لا يزال يعتبر من الطيور النادرة. وهذا ما تؤكده تمامًا النقوش الغائرة بمقبرة "بيتوزيريس" فى تونا الجبل (شكل ٨٧): حيث لا يُرى سوى نموذجين منه. أما عن الإوز، والبط، والحمام، فهى كثيرة العدد ضمن القرابين المقدمة للمتوفى. ولكن، فيما بعد، تراءت العديد من أشكال ورسوم الديك (خاصة فى مجموعة التماثيل الصغيرة المصنوعة من الطين المحروق). ولا شك أن هذا



يدل على اضطراد نمو تربيتـه (شكل ٨٨). ثم، بوجـه خـاص، أُدخل ابتكار تقنى، جذب الأنظار والاهتمـام: إنه الحاضنة الصناعية: حيث كان يوضع البيض فى أفـران ضـخـمـة، لكى يتم تفـريخـه فى نطاق درجـة حرارة ثابتة[٢٨]. ولا شك أن تلك الممارسة التى أثارت دهشـة واهتـمـام الرّحـالة القُـدامى[٢٩] .. تعـد بمثـابة تجسيد مُسبق لعصر التربية الحيوانية التى نعرفـها تماماً.



٨٨- رسم يمثل ديكًا مرسومًا على بردية من العصر البطلمى – متحف برلين.

حالة خاصة : الفيـل

فعلاً، إن الفيل هو حالة خاصـة إلى حد ما. فـخـلال عصـر مـا قبل التاريخ، أثبت الفيل وجوده تمامًا فى مصر. فـهذا مـا تدل عليه صـوره وأشكاله فائقة العدد من خلال النقوش الحجرية. فمن الممكن رؤيته بمواقع متعددة فى منطقة مصر العليا، مثل "سيلوا بحرى" (شكل ١)، الواقعة ما بين إدفو وكوم أمبو. وهناك أيضـًا العديد من اللوحات فى شكل فيل. كما مُثل هذا الأخير فوق مقابض السكاكين المنقوشـة؛ مثل الخـاص بـ"أبو زيدان"؛ المصنوع من عاج أنياب الفيل؛ ويحفظ حاليًا بمتحف بروكلين. وفـوق إحدى الواجهتين، يُرى صف من أفيال إفريقيا، وهى تطأ بـأقدامها ثعابين هائلة الحجم؛ تمت مطابقتها بالـ"بيتون سباى – Python sebae"[٣٠].

وحتى وقت قريب جداً، لم يكن أحد يعرف أية بقايا أثرية عن وجود هذا الحيوان فى مصر. ولكن، ها هو الاكتشاف الذى تم فى جبانة "هراكونبوليس" (شُغلت فيما بين ٣٦٠٠–٣٤٠٠ ق.م.)، بمقبرة تضم بعض بقايا أحد الأفيال .. قد عمل على سد هذه الثغرة. والأمر يتعلق هنا بفيل إفريقى. تقريبًا فى مقتبل العمر (حوالى ١٠–١١ سنة). وقد دُفن بعناية واهتمـام خـاصين جداً، بداخل مقبرة ضخمة. وأحـاط به أثاث جنازى رفـيع المسـتوى؛ على غـرار: رأس مـذبة، لوحـة من "الشـست"، أوانٍ من المرمـر.. بل

وسوار ذهبى أيضًا. ويحتمل، أن هذا الفيل ليس مجرد تذكار عملية صيد. بل بالأحرى، كان، بشكل أو بآخر يرتبط بنفوذ وسطوة زعيم ما(٣١).

ويبدو واضحًا، أن فيل إفريقيا، كان يعانى من جفاف المناخ ومن ممارسات الصيد، فاختفى من مصر بداية من الأسرة الثالثة .. فانسحب ثانيًا نحو أواسط إفريقيا. ولكن، فيما بعد، انحصر وجوده فى مجال وحوش العرض. وطبيعيًا أنه كان دائمًا موضع طمع المصريين الذين كانوا يستعينون بالعاج من أجل إبداع أدوات زخرفة وترف. ففى مقبرة "رخميرع" (الأسرة الثامنة عشرة)، يمكننا أن نشاهد من خلال النقوش الجدارية عدداً من السوريين، يحملون ضرائبهم فى هيئة أنياب فيلة. بل يمسكون بمقود فيل صغير؛ وكذلك دُبًا .. ربما كانا مخصصين للبستان الملكى(٣٢).

بداخل بعض المقابر الأخرى التى ترجع إلى الدولة الحديثة؛ تُرى مشاهد لعدد من النوبيين، يحضرون هم أيضًا، ضمن الكثير غيرها من المنتجات الثمينة، كمية من أنياب الفيلة. ومن قبل، كان تحتمس الأول، ثم من بعده تحتمس الثالث، خلال معاركهما فى سوريا، يجابهون ويصطادون الأفيال الآسيوية. وكان على فيل إفريقيا أن ينتظر قيام العصر البطلمى، لكى يعود ثانيًا إلى مصر !

لا شك أن جيوش الإسكندر قد عاشت تجربة أفيال الحرب التى قابلوها للمرة الأولى فى قلب المعارك ضد الفرس. بل وخاصة، ضد الملك الهندى الأصل "بوروس". وعلى ما يبدو، أن هذه المقابلة كانت صادمة ومُؤلمة للغاية بالنسبة للإغريق (وجيادهم) ومنذ تلك اللحظة ذاتها، عمل الإسكندر، ثم خلفاؤه من بعده على إدماج الفيلة فى جيوشهم. وبدءًا من عام ٣١٢ ق.م، استطاع بطلميوس بن لاجوس، الذى كان وقتئذ مجرد حاكم لمصر؛ فى معركة غزة، أن يستولى من غريمه "ديمتريوس" على ما لا يقل عن ٤٣ فيلاً هندى الأصل. أما عن ابنه بطلميوس الثانى، فقد حظى بعدد كبير من هذه الحيوانات: ٢٤ كُدريجة (مركبة حربية يونانية) تجرها أعداد هائلة من الأفيال، تتوالى وراء بعضها بعضًا خلال الموكب الضخم بالإسكندرية. وقد عُرف أنه قد تلقى كهدية "فيلاً صغيراً، تمت تربيته وتدريبه بواسطة اللغة اليونانية. بل وكان يفهم ما يقوله الذين يتحدثون بها"(٣٣). ولقد ورث البطالمة الأوائل جزءًا من الأفيال الخاصة بالإسكندر.

ولكن، بدا واضحاً أن إنتاج هذا الحيوان وتناسله فى حياة الأسر، كان صعباً للغاية. ولذا، تحتم عليهم، سريعًا تجديد قطعانهم. ولا شك أن الحروب ضد سوريا قد جعلت من المستحيل التزود بأفيال "آسيا" ولذلك، اتجه البطالمة نحو إفريقيا.

وكانت أولى المشاكل التى يجب حلها، هى اقتناص وأسْر الحيوانات. ولهذا الهدف، لجأ البطالمة إلى الاستعانة بصيادين محترفين؛ كانوا، فى معظم الأحوال من اليونانيين. وخلاف ذلك، فقد استأجروا عدداً من الفلاحين المصريين لكى يكونوا بمثابة مساعدين[٣٤]. وترجع الكثير من الكتابات بالطرق التى تربط ما بين النيل والبحر الأحمر، إلى هؤلاء الصيادين الذين كانوا يوجهون شكرهم للإله "بان" رب الصحراء (إنه، فى الحقيقة الإله المصرى "مين")، لأنه أعانهم على الرجوع سالمين أصحاء من حملتهم. فالأمر كان يتعلق فعلاً بحملات طويلة الأمد وخطيرة. فالضرورة كانت تحتم الانطلاق للحصول على الأفيال من إثيوبيا (فى الواقع، شمال السودان الحالية).

ربما أن الصيادين كانوا يُنظمون فى هيئة مجموعات، تتبدل وتتعاقب فى الطريق[٣٥]. وأكيد أن الاقتناص والأسر لم يكونا سهين ويسيرين. فإن الأمر كان يقتضى بقاء الحيوان حيًا وبدون جروح جسيمة. وعادة، كان يتم إعداد حفر كبيرة، وإخفائها تحت أفرع الأشجار. بعد ذلك، تُوجه الأفيال نحوها. ولا ريب كان يجرى جمع أنياب الحيوانات التى قد تقع صريعة لسوء حظها. وكان الصيد يهدف أيضًا إلى الحصول على العاج، ليس فقط من أجل الحرفيين المصريين، ولكن أيضًا، للتجارة فيه. وتجدر الإشارة: أنه خلال موكب بطلمية بالإسكندرية، خلال حكم بطلميوس الثانى، كان الحمالون يمرون وراء بعضهم بعضاً وقد حملوا على أكتافهم ما لا يقل عن ستمائة ناب فيل.

وحالما كان يتم اقتناص الفيلة. كانت تتبدى مشكلة النقل المخيفة !. وكان بطلميوس الثانى "فيلادلفوس" قد أسس على ساحل البحر الأحمر مدينة بطلمية "ثيرون" حيث يعنى اسمها أنها مخصصة للصيد؛ وإتاحة فرصة شحن الحيوانات. وربما أنها كانت تقع جنوب بور سودان الحالية. ويمكن مطابقتها بالميناء السودانى "سواكن" أو المعروف باسم "عقيق". إن المسافة من بدايتها، فى خط مستقيم، إلى منطقة منف، تعتبر فائقة المدى: حوالى ٣٠٠ كيلومتر !

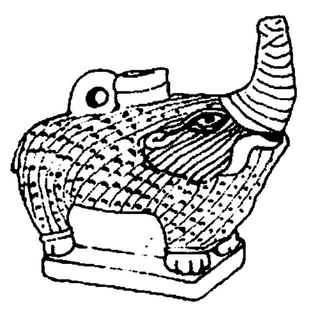
وكـــان النقـــل يتـــم على متن بعض السفن الخاصة المعروفة باسم "قافلة الفيلة – éléphantèges" حيث كانت، فى رحلة ذهابها تنقل المجموعات والمؤن. أما عند العودة، فـهى تشـحن الأفيال. وكـانت هذه السـفن تصـعد حتى تصـل إلى ميناء مصـرى. وكـان بطلميوس الثانى قد أعاد تشغيل قناة "نخاو" ما بين خليج السويس والدلتا. وفى البداية اسـتطاعت الـ (éléphantèges) أن تسلك خط السـيـر هذا. ولكن أمـام صـعوبة الإبحـار بالجزء الشمالى من البحر الأحمر، بسبب الرياح المضادة، فُضِل إفراغ السفن ناقلة الأفـيـال هـــذه، جنـــوبًا، فى "بـــرنـيـــس". وقـد تأسس هذا الميناء فى عـام ٢٥٥ ق.م. ويقع تقريبًا عند مستوى أسوان. كما أمكن أيضًا استغلال ميناء ميوس هورموس (Myos-Hormos) (حاليًا: قصير القديم)، الذى يقع تقريبًا على بعد ثلاثمائة كيلومتر شمالاً.

وانطلاقًا من هذا الميناء، كانت الأفيال تسلك طريقًا صحراويًا، يقودها إلى "قِفْط". وهناك تنتقل بعض السفن بنهر النيل، للوصول إلى منطقة "منف". وكانت هذه العمليات تتم تحت مسئولية "خبير شئون الصيد". وتُثبت بعض البرديات اليونانية أن كلاً من طيبة ومنف كانتا تضمان فى أرجائهما حدائق خاصة برعاية الأفيال. ومن المحتمل أنها كانت تُدرب بها أيضًا. ولا شك أن هذا التدريب، كان يُكلف به فى البداية بعض الفيالين الهنود.

وبالرغم من كل هذه الجهود، يبدو أن أفيال إفريقيا، لم تبدُ دائمًا محبة للقتال.. كمثل فيلة "آسيا". فربما يرجع ذلك إلى نقص ما فى تأهيلها وتدريبها. وهكذا، ففى معركة "رافيا" فى عام ٢١٧ ق.م.، استطاعت الأفيال الهندية التابعة لـ"أنتيوخوس" أن تهزم الأفيال الإفريقية الخاصة ببطلميوس الرابع[٣٦].

ها هو تمثال صغير من الطين المحروق بمصر. إنه يمثل فيلاً يحمل "هودجًا" فوق ظهره: لا شك أن الجنود سوف يستقرون بداخله. وربما أن اليونانيين قد ابتكروا هذا الجهاز (عن نموذج هندى الأصل). وقد استُعمل للمرة الأولى فى الغرب من جانب الملك "إبير بيرهوس" بإحدى المعارك ضد الرومان. ثم استعان به أيضًا "أنتيوخوس الأول"

فى معركة لمجابهة "جالاتيس"(٣٧). ثم هناك أشكال صغيرة أخرى تبين أحد الأفيال مع فيّاليه متمركزًا فوق عنق هذا الحيوان. وأحيانًا أيضًا يجسد هذا الحيوان بعض الأدوات: كالمصباح، أو الآنية أو الزجاجة وفى هذه الحال يؤدى الخرطوم دور الصنبور ساكب السائل (شكل ٨٩). ونجد أن النموذج المبين لحربوقراط ممتطيًا فيلاً، يعرف أيضًا ضمن التماثيل الصغيرة المصنوعة من الطين المحروق، بالعصرين البطلمى والرومانى(٣٩).



٨٩- قارورة على هيئة فيل - قالب من الطين المحروق - من القرن الثانى قبل الميلاد - حاليًا بمتحف نى كارلسبرج بكوبنهاجن.

الحيوانات الحالية فى مصر

لقد تبدل الإطار الجغرافى خاصة مع بداية القرن التاسع عشر، من خلال الأعمال الضخمة التى نظمها "محمد على". وفى أيامنا هذه، يلاحظ أن بناء السد العالى، قد غير الإيقاعات الزراعية تغيرًا عميقًا. فقد محى معالم الفيضان. وبشكل متوازٍ يسر استعمال الأجهزة والمعدات الحديثة عملية الزراعة. ومع ذلك، فإن الريف، قد احتفظ إلى حد ما بمظهره التقليدى. وضمن الزراعات السائدة حاليًا فى نطاق الريف المصرى، نجد زراعة القطن: إنها قديمة نسبيًا (بدأت فى الفترة الرومانية). أما الأخريات، كمثل الأرز والقصب التى أدخلت إلى مصر منذ العصور الوسطى، فقد تطورت بوجه خاص فى القرن التاسع عشر(٤٠). أما عن الأشجار الجازولين والبلوط كلية الوجود فى إطار الطبيعة الريفية المصرية، فقد أدخلها الإنجليز إلى مصر فى القرن التاسع عشر. وبالنسبة للصبار، فقد جاء من المكسيك؛ وهو كذلك قَدِم حديثًا.

ظاهريًا، لم تتغير الحيوانات كثيرًا. فنرى أن الحيوانات المُدجنة، لا تختلف كثيرًا عما سبقها، باستثناء البقريات. فقد اختفى الثور ذو القرنين الطويلين. واستُوردت من أوربا أنواع عديدة من البقر الحلوب. أما الجاموسة، فهى أصلاً من آسيا. وربما أنها

جُلبت إلى مصر، بعد الفتح العربى. وتبدو الإناث مسالمة هادئة، بالرغم من مظهرها الوحشى؛ وقد أُدمجت إدماجًا كاملاً بالإطار الريفى المصرى. وهى تُرى، فى كل مكان بمحاذاة النيل والقنوات. فهى شغوفٌ بالأماكن الرطبة[٤١]. وغالبًا، تُستغل فى أعمال الحقول. ويُعد بلبنها جُبن يُقبل عليه المصريون (جبنة بيضاء). أما عن الذكور، فهى أكثر نفوراً وتشككًا. وتُربى خاصة من أجل الاستفادة بها لزيادة الإنتاج والتناسل (لوحة ٢٠).

وعن الماعز، والخراف والحمير، فهى موجودة دائمًا دون أى تغيير يذكر. وربما تبدو الجياد أكثر حضوراً عما كانت عليه فى العصور القديمة: فهى تُرى حاليًا، بشكل متوافر وقد شُدت إلى عربات نقل خفيفة. وبالنسبة للجمل الهجين، فهو جزء دائم لا يتجزأ بالإطار الريفى الطبيعى، بالرغم من أن استعماله قد قل بشكل ملحوظ (لوحة ٢١). وتبدو الدواجن دائمًا فائقة العدد، حيث يتساوى الديوك والدجاج فى أعدادها بالبط والإوز. وحاليًا، زادت أعداد الحمام عما كانت عليه بكثير، وهذا ما تثبته بالفعل أبراج الحمام فائقة العدد التى تنتشر فى أنحاء الريف (لوحة ٦).

وفى المقابل، نجد أن الحيوانات الكاسرة قد تطورت كثيراً. فها هما نوعان قد انتشرا كلية: حيوان فرس النهر والتمساح. بالرغم من أن هذا الأخير يجنح إلى التكاثر والتوالد فى مياه بحيرة ناصر. ولكن، لا شك أن كلا النوعين قد طوردا بقوة وتركيز. وبالتالى، فإن المكان اللازم لمعيشتهما قد تغير كثيراً. أما الأسود التى لم تكن توجد إلا عند حدود الصحراء .. فقد اختفت هى الأخرى. ومنذ ذاك الحين، لم تعد تُرى إلا فى مناطق السافانا بوسط أفريقيا وجنوب أفريقيا. وفيما يتعلق بالفهد، فإنه، على ما يبدو، ما زال قائمًا بالمنطقة الجنوبية بالصحراء الشرقية. وهو فى طريقه إلى الانقراض. أما النمر فقد اختفى تمامًا من أرض مصر. وفى ذات الحين، ما زال الضبع يسكن فى سيناء والصحراء الشرقية والغربية. وفيما يتعلق بالخنزير الوحشى الذى بقى حتى القرن التاسع عشر بمناطق المستنقعات، فقد تلاشى بسبب عمليات الإحاشة (التفاف حول الصيد لدفعه إلى الحبالة أو إلى مكان القناصين)، التى كانت تتم فى أواخر هذا القرن[٤٢]. كما اختفت أيضًا من الوادى جماعات الغزال والتياتل.

ولم تعد تُرى إلا فى الصحارى؛ بعد أن قلت أعدادها بشكل بالغ، بسبب الصيد والصيد المحظور.

والقردة أيضًا، لم تعد ترى فى مصر. وليس من المؤكد تمامًا أن موطنها الأصلى هو أرض وادى النيل. عمومًا، كانت تُستورد بأعداد هائلة من النوبة وبلاد بونت، بداية من الدولة القديمة. ومؤكد أنها كانت قادرة على التوالد والتكاثر فى حياة الأسر. وهذا ما تثبته الكثير من التماثيل الصغيرة التى تُصور بعض إناثها بصحبة صغارها. وحتى مجىء العصرين البطلمى ثم الرومانى، كانت لا تزال وافرة العدد. فهذا ما تفصح عنه مومياوات القردة (بابون، وقردة خضراء) التى عُثر عليها فى سقارة وتونا الجبل.

وطيور أبو منجل، هى الأخرى، لم يعد لها وجود فى مصر. وفى الواقع، أن هذا الطير الذى نعرفه خطأ باسم أبو منجل، فى وقتنا الحالى؛ هو فى واقع الأمر بلشون صغير (لوحة ١٨). كما نجد أن اختفاء أبو منجل المقدس لم يقع إلا فى أوائل القرن التاسع عشر. ولا شك أن النظرية التقليدية التى تقول إن الملايين من مومياوات هذا الطائر التى عثر عليها فى سراديب الدفن بسقارة وتونا الجبل، تتعلق باختفاء النوع كله من مصر، لا تبدو مقدمة. وخلاف ذلك، فإن الطيور المُحنطة؛ قد جاءت أساسًا من مواقع التربية. وعوضًا عن ذلك، فإن الأعمال الهيدروليكية التى أُجريت على أعلى مستوى خلال القرن التاسع عشر (تصريف المياه، وتجفيف المستنقعات)، قد غيرت تغييرًا عميقًا الإطار البيئى التقليدى الخاص بتلك الطيور[٤٣]. وحاليًا، فهى توجد بكثرة فى إفريقيا، بجنوب الصحراء، وأستراليا.

الجزء الثانى

الحيوان فى عالم الرموز

الفصل الخامس

عن الآلهة والحيوانات

طقوس للحيوانات فى فترة ما قبل التاريخ

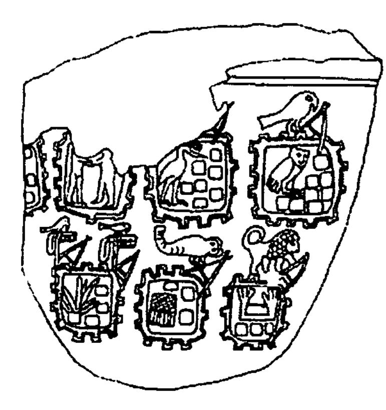
لم يُعرف فعليًا أى شيء عن بدايات الديانة المصرية. وعندما استهلت مصر عصرها التاريخى، فى أوائل الألفية الثالثة، بدت هذه الديانة مكتملة التكوين: بآلهتها، وأماكن أداء الطقوس، وشعائرها، التى استمر أغلبها على مدى آلاف السنين. وفى واقع الأمر فإن اختراع الكتابة، فى أواخر الألفية الرابعة، قد عمل على خلق حدود مصطنعة إلى حد ما : بكشفها الستار عن ممارسات، ومعتقدات، ومؤسسات لا بد أنها وجدت من قبل. وقبل فترة التوحيد بين القطرين، يحتمل أن كل التجمعات البشرية القائمة فى الوادى، كانت تحظى بإلهها أو آلهتها.

ولا شك أن انعكاس هذا التنوع والتعدد قد بقى على مدى التاريخ المصرى كله؛ حتى إذا كان بعض الآلهة المحلية قد اتخذت بُعدًا قوميًا؛ بل وعالميًا(١). ولا توجد صور أو أشكال ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ المصرى، يمكن تأويلها بكل يقين، بأنها ذات مضمون دينى، سواء كان الأمر يتعلق بتماثيل صغيرة بشرية الشكل، أم أشكال حيوانية عُثِر عليها فى المقابر التى ترجع إلى العصر النيوليتى (الحجرى الحديث).

تُرى، هل كانت الطقوس الأولية توجه إلى آلهة فى هيئة حيوانية؟ هناك برهانان، قد يدعمان هذا الاعتقاد. فمن خلال بعض الأوانى المزينة برسوم ملونة ترجع إلى العصر (الحجرى الحديث)، وكذلك فوق بعض اللوحات التى تعود إلى أواخر الألفية الرابعة صورت عدة حيوانات عند قمة بعض الشارات. فربما يعبر ذلك عن أن الأمر يتعلق هنا بحيوانات شعائرية خاصة بإحدى العشائر أو الجماعات(٢). وهذا ما يمكن أن نراه بالفعل فوق لوحة "الثور"، المحفوظة حاليًا فى متحف اللوفر؛ المؤرخة بـ ٣٥٠٠ ق.م. (لوحة ٥٩)؛ وفوق رأس المقمعة (دبوس القتال)، الخاصة بالملك "العقرب"، والملك "نعرمر"؛ وهى حاليًا بمتحف الأشموليان بأكسفورد(٣). أما بالنسبة للوحة "المدن"، المحفوظة حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة، فهى تبين عدة أشكال قد تؤوَّل بأنها

ساحات بعض القرى المحصنة، قد اعتلتها عدة حيوانات، وصقر، وأسد، وعقرب (شكل ٩٠)(٤). وفى جميع هذه الأحوال، قد ترتبط الأشكال الحيوانية بعبادات محلية.

خلاف ذلك، فإن دوائر الاختصاص الرسمية فى مصر، بالفترة التاريخية، قد تحمل غالبًا أسماء بعض الحيوانات: فربما يرجع ذلك إلى الصلة بعبادات قديمة: الثور، أبو منجل، العجل، الدولفين فى منطقة الدلتا؛ والكلب الأسود، والمها، والأرنب البرى، والكوبرا فى مصر الوسطى، والتمساح، والصقران فى مصر العليا(٥). وفى واقع الأمر، فإن أغلبية هذه الحيوانات، فى الحقبة التاريخية، قد ارتبطت بعدة آلهة.

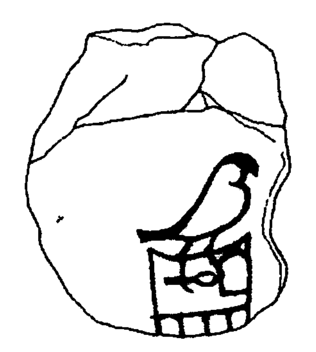


٩٠- حيوانات (رموز العشائر) تحطم أسوار مدن - "لوحة المدن" - منحوتة من حجر الشست - عثر عليها فى أبيدوس - ترجع إلى عام ٣١٠٠ ق.م. تقريبًا - حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة.

ملوك وحيوانات وأرباب

كان بعض الملوك الأوائل المعروفين؛ قبل توحيد القطرين، يحملون أسماء حيوانات، مثل: الملك العقرب، "نعرمر" (أى: سمكة الجرى - Silure). ولا شك أن إدماج الملك بحيوان قوى البأس ورهيب يرجع إلى زمن أكثر قدمًا(٦). وخلال الأسرة الأولى، كان الفرعون يرتبط ارتباطًا وثيقًا ببعض الأشكال الحيوانية. وبذا، فمن المفترض، أن يتسم بخصائص فائقة لقدرة البشر: مثل سرعة الانطلاق، النظر الثاقب، والجنوح إلى المحاربة كالصقر، القوة التى لا تهزم أبدًا وخصوبة الثور. ولا ريب مطلقًا، أن هذين

الحيوانين، يجسدان نمطًا من المقدرة الإلهية. فإن الصقر حورس، كان يجسد منذ المنشأ: الوظيفة الملكية: وبذا، فإن ملوك الأسرات الأولى، قد عُرفوا بأنهم: "حورس دن"، و"حورس جت" (حيث يكتب اسمه بواسطة الرمز الهيروغليفى المعبر عن الثعبان). وكذلك، تسجل أسماؤهم فى "السرخ" الذى تعتليه صورة حورس (شكل ٩١).



٩١- اسم الملك "عحا" داخل علامة "السرخ" يعتليه الصقر حورس - من الأسرة الأولى - حاليًا بالمتحف البريطانى.

وعندما تحدد القائمة الرسمية الخاصة بتثبيت الملك فى وظائفه، نجد أنه ضمن الألقاب الخمسة التى تكونها، اثنان يشيران إلى "حورس": فإن الملك يتسمى بأسماء تتطابق بالألقاب "حورس"، و"حورس الذهبى". ولقد استمر هذا العُرف طوال الحقبة الفرعونية كلها. وكذا، نرى أن الملك "شيشانق الأول" (الأسرة الثانية والعشرين- أوائل الألفية الأولى)،. قد تسمى، ضمن أسمائه العديدة باسم: "الثور المنتصر المفضل لدى رع"، تطابقًا مع لقبه "حورس".

خلال الدولة الحديثة، تبدو الأشكال والصور الأولى التى بينت عن تطابقها ببعض الآلهة، غالبًا إنسانية الهيئة. والأكثر قدمًا هو تمثال لأحد الآلهة، وهو واقف ممسكًا بسكين. إنه يرجع إلى الأسرة الثالثة. ويحفظ حاليًا بمتحف بروكلين(٧). وعن ثالوث الملك منكاورع (الأسرة الرابعة)، وهو محفوظ بالمتحف المصرى بالقاهرة؛ إنه يجسد الملك بصحبة الربة "حتحور"، فى هيئة امرأة يعتلى رأسها تاج ذو قرنى بقرة؛ بالإضافة أيضًا إلى بعض الإلهات الإناث يمثلن كلاً من إقليم "ديوسبوليس بارفا"، و"لينوبوليس"، وأخيرًا، إله يجسد لإقليم "طيبة". وكذلك الملك "ساحورع" (الأسرة الخامسة)، بمتحف المتروبوليتان، قد مُثِل، بصحبة أحد الآلهة الذكور؛ يجسد إقليم "قفْط"(٨).

فيما عدا ذلك، يمكن أن تصور الآلهة فى هيئة حيوانية. فالإله "حورس" يبدو فى شكل إنسان ذى رأس صقر فوق لوحة الملك "قاحجت" (الأسرة الثالثة، شكل ٩٢)؛ بمتحف اللوفر، التى تبين الملك وقد احتضنه الإله. إنه قطعًا. فها هنا إذن نموذج

تصـويرى، انتـشـر على أوسع مـدى فى الحقبات اللاحقة[٩]. وفى أغلب الأحيان، قد يصور حورس فى هيئة الطائر. كما هى الحـال بالتـمـثـال الخـاص بالملك "خـفـرع" المسـتـمـد من المعبـد السـفلى بالجيـزة. وكـذلك الأمـر بأحـد التـمـاثيل الصـغيـرة من المرمـر، للملك "بيبى الأول" (الأسـرة السـادسة)، وهو مـحفوظ حـاليًا بمتـحف بروكلين[١٠]. على مـا يبدو إذن، خـلال تلك الفـتـرة، كـانت الصـورة الشـعائرية الخاصـة بالإله تبدو فى هيئـة صـقـر. فـهـذا مـا توضـحـه فـعـلاً الرأس المصنوعة من الذهب وحجر الأوبسـديون، التى عُثر عليـها فى معبد حـورس بـ"نخن" (هراكونبوليس) ويحتمل أنهـا كانت مثبـتة فى جسم من الخشب بواسطة مسـامـيـر من النحاس[١١].



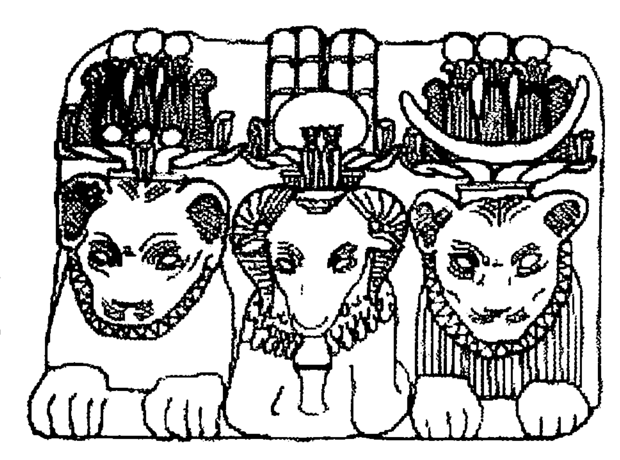
٩٢- الملك "قاحجت" يحتضنه الإله حورس - رسم غائر على حجر جيرى - الأسرة الثالثة - حاليًا بمتحف اللوفر.

تبـايـن الأشـكـال الإلـهـيـة

منذ قيام الدولة القديمة، كان يمكن تمثيل الآلهة فى أشكال متغايرة؛ مثل: الهيئة الإنسانية، أو الشكل الحيوانى، وأشكال مركبة متعددة العناصر، يجمع ما بين السمات البشرية والصفات الحيوانية. ولا شك أن التباين المميز للأشكال الدينية المصرية، قد استمر حتى نهاية هذه الحضارة. وكان العديد من الآلهة يمثلون فى شكل حيوانى أو مركب. وضمن الكثير من الأرباب الذين يبدون فى هيئة إنسانية بحتة، يُرى البعض مدمجين بحيوان ما.

الإله الإنسـانى الشكل تمامًـا، بدون أى صلة واضحـة مع أى حـيـوان، هو: أوزيريس. فـهـو، بالفـعل، يبـدو دائمًـا فى صـورة إنسـان مـحنط مـتـدثر فى لفـائف كتانية[١٢]. وكذلك الحال بالنسبة لـ"خونسو" الإله القمر، ابن "آمون" و"موت" فى إطار ثالوث طيبة؛ فهو يصور غالبًا، متدثرًا، هو الآخر بكفن. ولا يبدو أن هناك حيوانًا ما شريكا له.

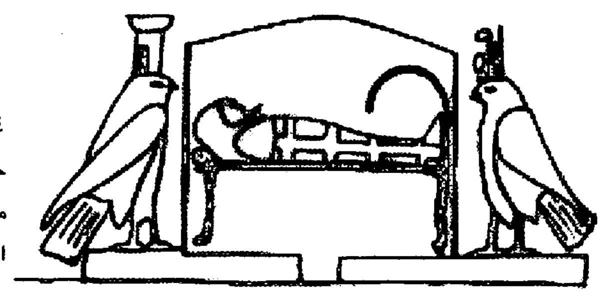
أما عن "مين" إله "قِفْط" و"أخميم"، فهو يتراءى دائمًا فى صور إله ذكر إنسانى الشكل. وعلى عكس ذلك، فإن الآلهة المتطابقة مع عناصر العالم؛ مثل "جب"، و"نوت"، و"شو"، التى تمثل بصفة مبدئية فى هيئة بشرية فحسب، قد تستطيع، إذا تطلب الأمر، أن تتشارك مع أحد الحيوانات فإن "نوت" قد تتماثل بالبقرة السماوية. أما "شو" ورفيقته "تفنوت"، فقد يصوران فى هيئة أسد ولبؤة (شكل ٩٣).



٩٣- الإله أمون على هيئة كبش بين شو وتفنوت على هيئة أسدين - ساكف باب، في مصورات السفرة (بالنوبة) - معبد الأسد - حوالى عام ٢٠٠ق.م.

وعن إلهتى الشلال "ساتت" و"عنقت" فهما الاثنتان أيضًا تمثلان دائمًا فى هيئة بشرية. وفى ذات الحين نجد أن الغزالة قد كُرست للإلهة عنقت. أما تسريحة شعر "ساتت"، فهى تتضمن قرنى غزالة. وفيما يتعلق بـ "بتاح" منف، فهو دائمًا فى صورة إنسان؛ ولكن الثور "أبيس" يعتبر بمثابة "صورته الحية". وبخصوص "نيت" الربة القديمة راعية "سايس" فى الدلتا، فإنها، عادة تصور كإنسانة، ومع ذلك فهى تتشارك مع التمساح باعتبارها أم الإله "سوبك". وطبيعيًا، أن "إيزيس" و"نفتيس" تصوران فى

شكل إنسانى. ولكنهما، إذا لزم الأمر قد تبدوان فى شكل الحيوان، وبالتحديد الحدأة، عندما تمثلان كنائحتين، ترعيان جثمان إنسان متوفٍ (شكل ٩٤). كما تتراءى "إيزيس" أيضًا فى هيئة طائر أنثى، لكى توقظ أوزيريس ثانيًا من سبات الموت. وهذا ما يمكن أن نراه من خلال النقوش البارزة بمقصورة أوزيريس فى دندرة[١٤]. وخلاف ذلك، فإن إيزيس، عندما تتطابق بالربة الكوبرا "رننوت"، فهى تكتسب ذيلاً؛ بل وأيضًا جسم ثعبان: وهذا ما توضحه العديد من المشاهد المتأخرة (ينظر شكل ١١١)[١٥].



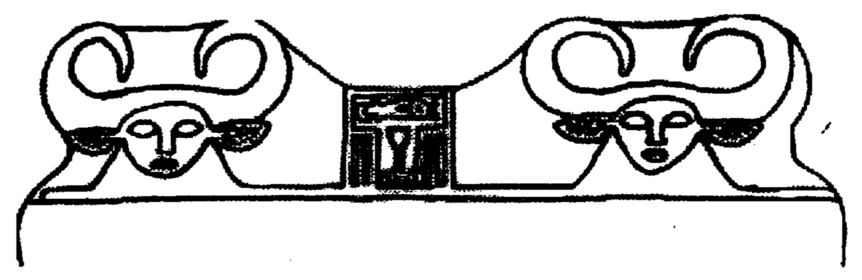
٩٤- الإلهتان إيزيس ونفتيس على هيئة حدأتين تحيطان بمومياء الملكة نفرتارى - منظر في مقبرتها بوادى الملكات - غرب الأقصر - من الأسرة التاسعة عشرة.

الارتباط بين الإله والحيوان

هناك بعض الآلهة التى قد ترتبط ارتباطًا وثيقًا ودائمًا بحيوان ما، على مدى تاريخ الحضارة المصرية كله.

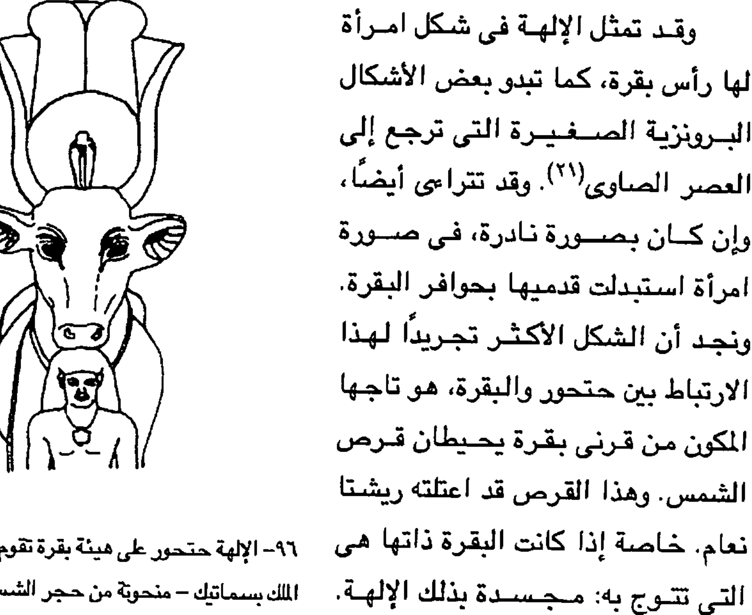
البقـرة

قطعًا، إن العلاقة ما بين البقرة والربة حتحور لموغلة فى القدم. فلقد ظهرت صورة الإلهة من زمن بعيد فوق لوحة "نعرمر" فى هيئة وجه أنثوى يتسم بأذنى وقرنى البقرة (شكل ٩٥)[١٦]. ولقد دام هذا النموذج وتوالى حتى حقبة متأخرة للغاية فوق رؤوس الأعمدة[١٧]، والصلاصل[١٨]، وقلادات "منات". بل وكذلك فى إطار زخرفة الأوانى المصنوعة من الخزف[١٩].

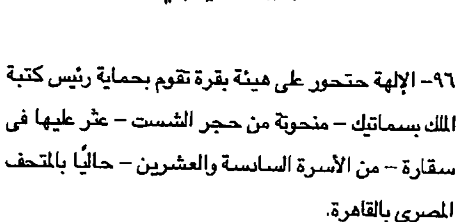


٩٥- رأسان بقريان - لوحة نعرمر - عثر عليها فى هيراكنبوليس ترجع إلى عام ٣١٠٠ ق.م. تقريبًا - حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة.

وقد تمثل حتحور فى هيئة بقرة، كما ترى من خلال النقوش الغائرة فى مقصورتها، بمعبد حتشبسوت بالدير البحرى: حيث تشاهد أثناء إرضاعها للملكة (لوحة ٥٤). وبإحدى مقصورات معبد تحتمس الثالث بالدير البحرى، التى نُقلت إلى المتحف المصرى بالقاهرة، صورت هذه الإلهة لمرات عديدة، فوق الجدران المزخرفة بالرسوم الملونة: من ناحية، فى هيئة أنثوية؛ ومن جهة أخرى، فى شكل بقرة. وبداخل هذه المقصورة، ينتصب تمثال ضخم للإلهة فى صورة بقرة ترضع الملك أمنحتب الثانى طفلاً، الذى مُثل مرة أخرى كإنسان بالغ، واقف تحت خطم البقرة. ولقد اكتشف مشهد آخر، منذ وقت قريب فى مقبرة الوزير "نثروى مس" بسقارة. حيث ترى البقرة وهى تشمل برعايتها وحمايتها فرعونًا ما، يحتمل أنه رمسيس الثانى[٢٠]. ويلاحظ أن وظيفة الحماية من جانب حتحور تؤدى أولاً للفرعون؛ ولكن، هناك أيضًا بعض الأفراد، الذين استطاعوا اكتسابها لصالحهم: ففى مقبرة رئيس الكهنة "بسما تك"، فى سقارة (الأسرة السادسة والعشرين)، عثر "مارييت" فى عام ١٨٦٣، على مجموعة من الأشكال المنحوتة من حجر الشست، تمثل هذا الكاتب واقفًا تحت خطم البقرة حتحور (شكل ٩٦).



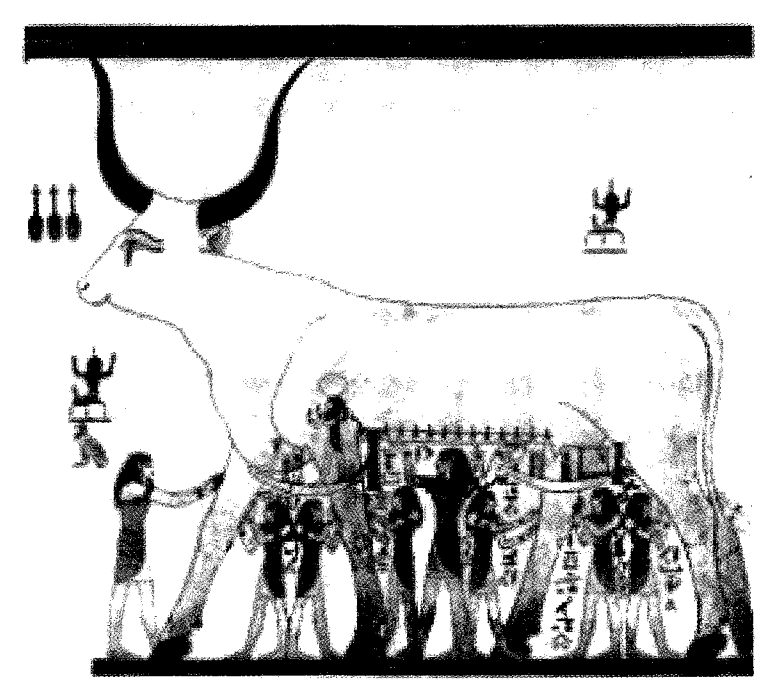
وقد تمثل الإلهة فى شكل امرأة لها رأس بقرة، كما تبدو بعض الأشكال البرونزية الصغيرة التى ترجع إلى العصر الصاوى[٢١]. وقد تتراءى أيضًا، وإن كان بصورة نادرة، فى صورة امرأة استبدلت قدميها بحوافر البقرة. ونجد أن الشكل الأكثر تجريدًا لهذا الارتباط بين حتحور والبقرة، هو تاجها المكون من قرنى بقرة يحيطان قرص الشمس. وهذا القرص قد اعتلته ريشتا نعام. خاصة إذا كانت البقرة ذاتها هى التى تتوج به: مجسدة بذلك الإلهة. وهذا التاج نفسه ذو ريشتى النعام، هو الذى يرى متوجًا رؤوس الملكات، مثل الملكة "تى" زوجة أمنحتب الثالث[٢٢].



٩٦- الإلهة حتحور على هيئة بقرة تقوم بحماية رئيس كتبة الملك بسماتيك - منحوتة من حجر الشست - عثر عليها فى سقارة - من الأسرة السادسة والعشرين - حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة.

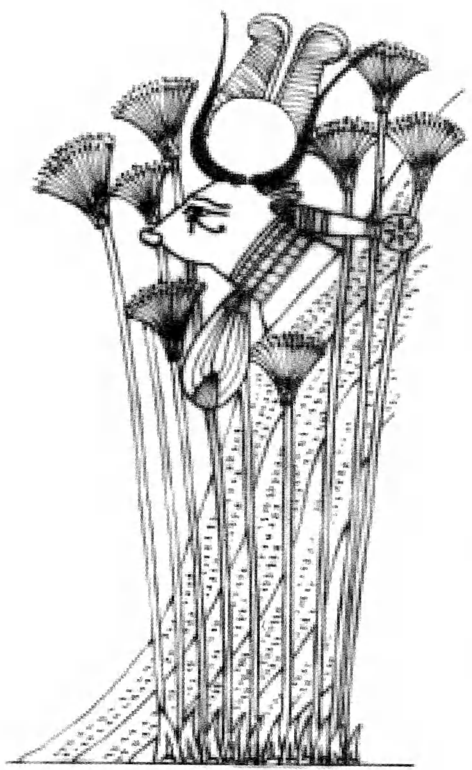
إن حتحور التى يعنى اسمها: "بيت حورس" هى أصلاً إلهة سماوية. وتقول إحدى الأساطير التى أقرت خلال الدولة الحديثة: إن هذه الربة، ابنة الإله "رع"، قد تحولت إلى بقرة، لكى ترفع أباها حتى عنان السماء. حيث كان قد أصابه الوهن والإجهاد من بقائه بين البشر (إذن، فربما تتطابق هنا، لـ"نون"). وهكذا، يمكن تمثيل السماء فى شكل بقرة، يبرقش جسدها بالعديد من النجوم: كما يشاهد فى مقبرة سيتى الأول (شكل ٩٧)[٢٣]. ولكن، يتبين أن الوظيفة الأساسية لحتحور، هى وظيفة الأمومة، وقطعًا يقترن ذلك تمامًا باندماجها بالبقرة: أى الحيوان المُغذى بكل معنى الكلمة. وكذلك، فإن اللبن هو الغذاء الأول بالنسبة للأطفال (فى مصر القديمة، كانوا يرضعون من أمهاتهم طوال ثلاثة أعوام). ولكنه، يتسم أيضًا بقيمة رمزية قوية وراسخة: إنه مصدر غنى بالطاقة والحياة. خاصة عندما تقدمه إحدى الربات إلى طفل ملكى. ولذا، توجد

الكثير من المشاهد والأشكال للفرعون أثناء رضاعته من إلهة أم: مثل حتحور، أو إيزيس أو "موت". وهكذا، فإن حتشبسوت، وقد صورت أثناء رضاعتها من الربة حتحور .. فقد أكدت وأثبتت فعلاً صفاتها الملكية.



٩٧- البقرة السماوية - مقبرة سيتى الأول بوادى الملوك بغرب طيبة - الأسرة التاسعة عشرة.

إن البقرة بمصاحبة حتحور، يمكن أن ترتبطا بعالم الموتى. وها هو فصل فى "كتاب الموتى" موجه إلى حتحور: "سيدة الغرب"؛ قد أرفق به شكل لإحدى الكريمات التى تصور الإلهة فى هيئة بقرة تزينت بالقلادة "منات"، وتنبثق من جبل الغرب (شكل ٩٨)[٢٤]. وهناك أيضًا أحد النقوش الغائرة بمقبرة "أمنحتب" حاكم واحة الشمال (البحرية)، فى الفترة ما بين (١٣٥٠-١٢٥٠ق.م) تمثله مع زوجته وهما يتعبدان أمام حتحور. حيث بدت هذه الأخيرة فى شكل بقرة، تظهر من خلف هضبة زرعت بنبات البردى[٢٥].



٩٨- حتحور البقرة تبزغ من الجبل الغربى - كتاب الموتى الخاص بالكاتب "آنى"، من الأسرة التاسعة عشرة - حاليًا بالمتحف البريطانى.

وتوضح لنا مجموعة التماثيل المحفوظة حاليًا فى متحف اللوفر، مختلف مظاهر حتحور، التى تعبر عن الأمومة، والملكية، والموسيقى والبهجة. فهذه المجموعة تحوى فعلاً: بقرة، وإلهة ذات رأس لبؤة، والحية الحامية وإلهة اعتلت رأسها الصلاصل: وجميعها تفسر بأنها بمثابة أربعة تجليات للربة(٢٦).

وتعتبر إيزيس أيضًا كإلهة أم. وبذا، فغالبًا ما كانت تتشارك، بل وتتماثل بحتحور؛ حيث ترتدى تاجها. ولكن يحتمل أن تشاركها مع البقرة لا يتعلق بحتحور: فنجد أن الإقليم الثانى عشر فى منطقة مصر السفلى، حيث كان على ما يعتقد مكان عبادتها الموغل فى القدم .. كانت تعرف باسم"البقرة وعجلها". وربما أن إيزيس التى لم تكن منذ المنشأ الأول قد ارتبطت بأى إله ذكر؛ فقد اعتبرت بمثابة بقرة إلهية مرتبطة بالطفل "حورس" على هيئة عجل. وفى سقارة، باعتبارها أمًا لـ"أبيس"، كرس من أجلها موقع عبادة وسرداب دفن، حيث تدفن البقرات المقدسة منذ اللحظة الأولى التى يضعن خلالها العجل "أبيس".

فى "أطفيح" (أفروديتوبوليس)، خلال العصر البطلمى، كان يتم رعاية إحدى البقرات، هى البقرة "حسات" (باليونانية: **Hesis**)؛ باعتبارها تجسيداً لحتحور - أفروديت". وتحدد إحدى الوثائق التى كتبها كهنة ذاك الموقع، بخصوص دفن هذا

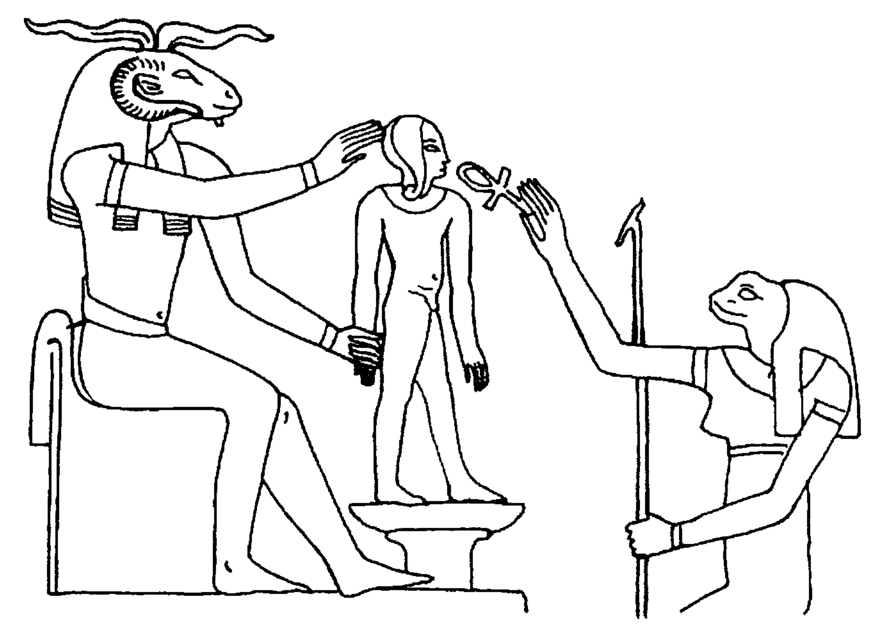
الحيوان، أن "حسيس هى إيزيس"[٢٧]. لعلنا نرى إذن، أن هناك بعض الغموض فيما يتعلق بالتطابق بين مكان ما وحيوان محدد.

الكبش

ارتبط الكبش بالعديد من الآلهة. ونجد أن أكثر الارتباطات قدمًا، هى التى تجمعه بـ"خنوم". الذى كانت معابده تمتد بدءًا من منطقة "منف" حتى أقصى جنوب مصر، أى "إلفنتين"؛ مرورًا بـ"حرور" (على مقربة من هرموبوليس) و(hypselis) (جنوب أسيوط) وإسنا. وربما أنه بداية من الألفية الثالثة، كان يُبجل فى هيئة كبش، قبل أن يتخذ شكل إنسان له رأس كبش .. الذى أصبح الأكثر تكرارًا. وترجع صورة هذا الحيوان إلى فصيلة قديمة، هى الـ (Ovis longipes palaeoaegyptiaca). تتميز بافتقارها لجزتها الصوفية؛ وبقوائمها المستطيلة وذيلها الطويل؛ وبصفة خاصة بقرنيها الضخمين الحلزونيين المنفرجين أفقيًا فوق رأسها.

فى العصر المتأخر، حينما اختفت فصيلة (longipes) لتحل مكانها (Ovis platyoura) ذات القرنين الملتويين مُثل "خنوم" بزوجين من القرون: الخاصة بالفصيلة البائدة، الأفقية؛ بالإضافة أيضًا إلى الملتوية المتعلقة بالقادم الجديد (لوحة ٦٠)[٢٨]. ويعد خنوم بمثابة إله خلاق. وهو أيضًا إله فخرانى. ولذلك، يمثل غالبًا من خلال النقوش الغائرة بالماميزى (بيت الولادة) التى ترجع إلى العصرين البطلمى والرومانى، وهو منهمك فى صنع الملك المقبل بوساطة مخرطته (شكل ٩٩). ومع ذلك، فلم يكن من المفترض أن يتصرف بدون أمر من آمون. لأنه المنفذ لأوامره. وها هو نص من "دندرة" يُعزى إليه هذا القول: "إننى أعمل وفقًا لأمرك. فإنك رب الآلهة. الذى أخرطه (الملك) متشابهًا بشخصك"[٢٩]. وضمن الأعياد الرئيسية التى كانت تحيا فى معبد "خنوم إسنا" خلال العصر الرومانى: عيد "إقامة مخرطة الفخرانى". ومن خلاله، يفترض أن خنوم يقوم بصنع الملك؛ وقتئذ: "تراجان"؛ ومن ناحية أخرى، وضع مخرطة الفخرانى فى بطن النساء، لكى تضمن فوق الأرض خصوبتهن[٣٠]. فإن خصوبة النساء وغزارة إنتاج

الأرض ترتبطان بكيان "خنوم". إنه رب "إلفنتين" و"الشلال". وبذا، فهو يمنح ويوزع المياه مصدر الحياة؛ بمساعدة رفيقته "ساتت" و"عنقت".

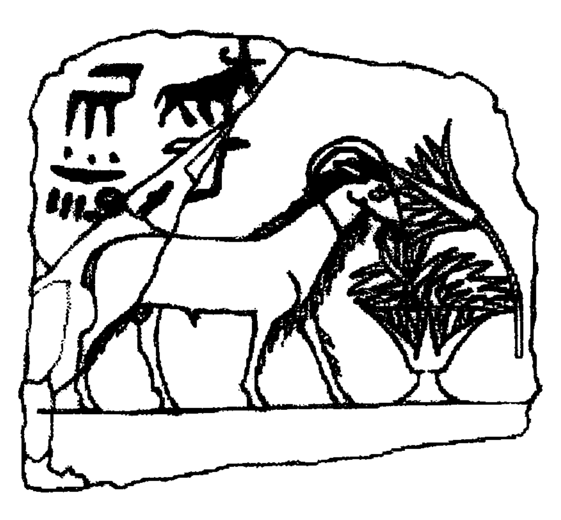


٩٩- الإله خنوم برأس كبش يقوم بتشكيل الملك الطفل على عجلة الفخرانى. والإلهة حقات برأس ضفدعة تمد إليه علامة الحياة - شكل منقوش على بيت الولادة (الماميزى) الخاص بالملك نختانبو من الأسرة الثلاثين.

ويقول النص المنقوش فوق إحدى صخور جزيرة "سهيل" على مقربة من الشلال الأول: "بعد فترة من الجفاف مداها سبع سنوات.. ظهر الإله فى حلم أحد الملوك؛ ربما أنه الملك "جسر" ووعده بأنه سوف يعمل على ارتفاع منسوب النيل، وإعادة الوفرة والرخاء"[٣١]. وطبيعياً أن فعالية الخصوبة وغزارة الإنتاج ترتبطان بالكبش. فهو حيوان ذو مقدرة إنتاجية فائقة. وكانت الكباش الحية التى تكرس للإله، تتم رعايتها والعناية بها فى ساحة معبد إلفنتين.

وكذلك يتجسد الكبش القديم ذو القرنين الأفقيين فى شكل آلهة أخرى، مثل: "حريشف"، إله "هراكليوبوليس" (جنوب الفيوم، على مقربة من بنى سويف)، وأيضاً،

بصفة خاصة الإله "مندس" المعروف باسم (بانب جدت) "الكبش، رب مندس". وربما قد يعنى ذلك أنه لم يكن له اسم علم. ولقد اعتبر بمثابة صورة حية "با" لأوزيريس أو رع. وكان هذا الإله يمثل فى صورة إنسان ذى رأس كبش؛ وكذلك، يشاهد بمقبرة "باننتيو" (الأسرة السادسة والعشرين) فى "الواحات البحرية"[٣٢]. وخلاف ذلك، فقد تردد الكثيرون بخصوص إثبات الذاتية الدقيقة لهذا الحيوان: فها هو "هيرودوت" يتحدث عنه باعتباره "تيسًا" (شكل ١٠٠)[٣٣].



١٠٠- شكل لجدى (ولكن يلاحظ أن النص يحدده كأنه كبش - رسم على شقفة من الحجر الجيرى - حاليًا بمتحف اللوفر.

يلاحظ أن الكبش ذا القرنين الملتويين هو حيوان آمون[٣٤]. وبالرغم من التكرار نسبيًا لصور وأشكال الإله فى هيئة كبش؛ فإنه أساسًا إنسانى الشكل. كما أن ارتباطه بالكبش أو الإوزة يبدو، إلى حد ما ثانويًا. وغالبًا، يبدو أن رأس الحيوان وقد انبثقت من قاعدة ما؛ تكون هدف التعبد. فهذا ما يوضحه ذاك التمثال الذى يرجع إلى عصر الرعامسة؛ للفنان "بن مرنب" راكعًا؛ ومقدمًا لصورة الإله[٣٥]. ثم هناك أيضًا بعض اللوحات التى ترجع إلى الحقبة ذاتها: تبين أحد المتوفين يصلى ويبتهل أمام رأس الكبش الموضوعة فوق دعامة.

وعلى ما يعتقد، أن الورع الشعبى كان غالبًا موجهًا لآمون، فى هيئة حيوانية. وبذا، فمن خلال لوحة قائمة حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة، يتوجه المؤمن بابتهالاته إلى آمون "الكبش الكامل" ممثلاً فى شكل الكبشين المتواجهين ومتوجين بالتاج الكبير ذى الريشات. ويتبين أن الثلاثة من الأذن المصورة فوق اللوحة، تهدف أساسًا إلى جذب اهتمام الإله(٣٦).

ولا شك أن مشاركة آمون مع هذا الحيوان توضح: أن مركبه الخاصة، الممثلة من خلال النقوش الغائرة فى الأقصر والكرنك خلال الدولة الحديثة؛ قد زينت بمقدمتها ومؤخرتها برأسى كبش (لوحة ٦١). وكذلك، خلال عصر رمسيس الثانى، فقد زينت تماثيل أبى الهول التى تحيط بالممرات التى تصل ما بين معبد الكرنك ومعبد الأقصر. برأس كبش آمون (لوحة ٢٢).

من خلال مضمون جنازى، إن الإله "رع" وهو يجوب عالم الموتى فوق مركبه، باعتباره الشمس الليلية، قد يمثل برأس كبش إشارة لشخصية "رع" و"آمون". وهكذا، من خلال أحد النقوش الغائرة بمقبرة "نفرتارى" نجد أن "رع" المتطابق بأوزيريس قد صور فى هيئة مومياء ذات رأس كبش(٣٧). وبداخل المقابر الملكية التى ترجع إلى الدولة الحديثة، يمثل الإله فى معظم الأحيان بشكل إنسان له رأس كبش.

وخلاف ذلك، قد يشارك آمون الإوزة. بل ويمكن أن يبدو فى شكل إوزة: وهذا فعلاً ما يمكن أن نشاهده فوق اللوحات الخاصة بعصر الرعامسة. وربما أن هذه المشاركة تنبع من أعماق الورع الشعبى. ولكن، لا ريب أنه قد أضفت عليها أساسًا ثيولوجيًا: فمن خلال بعض الأساطير، قد يبدو آمون الإله الخالق. وكأنه يخرج من بيضة كونية أولية(٣٨).

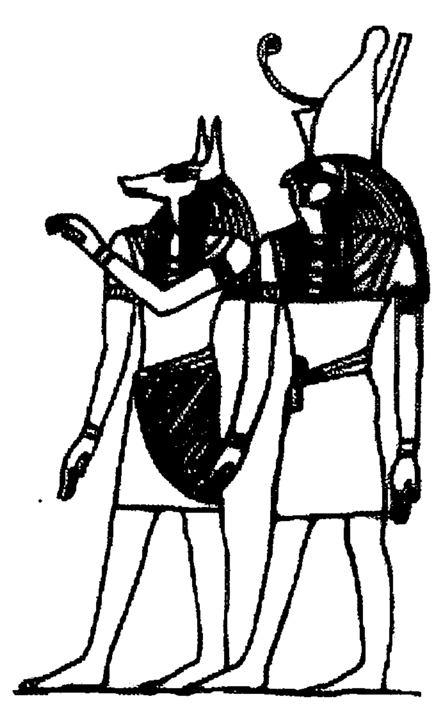
الصقر

ارتبط الصقر منذ القِدم، ارتباطًا وثيقًا بحورس. فهو يمثل "روحه الحية". ويتراءى هذا الطائر الكاسر من خلال بعض الأنواع العديدة الأخرى الثانوية فى مصر. وأهمها، صقر الشاهين (Falco peregrinus)؛ ثم الصقر الـ (lanier Falco biarmicus)

ولا شك أن التحليق المميز للصقر، بجناحيه المفرودين، على ارتفاعات هائلة قد أضفى عليه صورة سماوية. وكان من الطبيعى جداً، أن يشركه مظهره بالإله المحارب الذى أحرز نصراً على غريمه "ست" وفقاً لما ترويه أسطورة شعبية موغلة فى القدم. وبالتالى، تمكن من توحيد "الأرضين"، وأن يسود على كل أنحاء مصر "ميراثه"[٣٩]. ولذا، يُعد الصقر بمثابة الراعى والحامى والكفيل بسلطة الفرعون، أو بالأحرى "حورس الجديد". حيث تتركز مهمته الأساسية فى الحفاظ على وحدة مصر.

وتعتبر كل من هراكونبوليس (مدينة الصقور) بمصر العليا، و"بوتو" فى الدلتا بمثابة المركزين الرئيسيين لعبادة "حورس". وغالباً يمثل "حورس" فى صورة الطائر أو إنسان له رأس طائر. وبداخل بعض معابده، مثل معبد "إدفو" كان يمثل من خلال صقر حى.

إن حورس هراكونبوليس يقوم بدور مهم فى مجال المعتقدات الجنازية. وذلك، باعتباره "حورس الأفق"، المتماثل بالإله الشمسى باسم "رع حورآختى". ومن هذا المنطلق، فهو يتراءى فوق البرديات الجنازية، والرسوم الملونة بالمقابر، وقد اعتلى رأسه الشبيهة برأس الطائر: وهو يستقبل المتوفى ويضفى عليه حمايته. أو بالأحرى، يقوم، فى الوقت والمكان المناسبين بدور أوزيريس. وفى الكثير من مناظر وزن القلب، يُرى وهو يؤدى الطقوس مع أنوبيس (شكل ١٠١). وانبثاقاً من هذا المضمون الجنازى، يؤكد ويُقر بالدور الموكل به حورس: وذلك لأن "أبناءه"؛ أى الأرباب "إمست"، و"حابى"،



١٠١- الإلهان أنوبيس وحورس - مقبرة حور محب - بوادى الملوك بغرب طيبة - الأسرة الثامنة عشرة.

و"دواموتف"، و"قبح سنو إف" هم الحراس والحامون لأحشاء المتوفى. وقد حُفِظت هذه الأخيرة فى الأوانى الكانوبية (شكل ١٠٢). وعند النشأة الأولى، كان هؤلاء الآلهة الأربعة، يبدون، إما برأس آدمية؛ أو برأس صقر. وفيما بعد، حظى ثلاثة منهم على رأس حيوان. فقد اكتسب "حابى" رأس قرد البابون؛ أما "دواموتف" فله رأس كلب؛ وعن "قبح سنو إف" فله رأس صقر؛ وعن "إمست" فقد احتفظ بالرأس الآدمية.



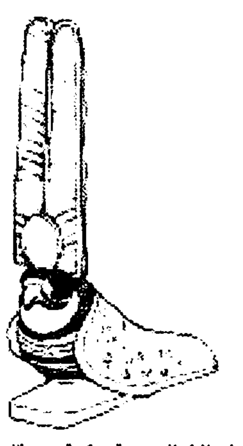
١٠٢- الأوانى الكانوبية الخاصة بحور نبى الإله مونتو - منحوتة من الحجر الجيرى - عثر عليها فى غرب طيبة - يرجع تاريخها إلى الفترة بين الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين - المتحف المصرى بالقاهرة.

ولقد أُدمج صقر حورس بزخرفة أغلفة المومياوات؛ والعقد "أوسخ" الذى يوضع عادة فوق صدر المتوفى، ينتهى جانباه برأسى صقر. وبالنسبة لأبناء حورس، فهم غالبًا ما يبدون بروؤسهم الحيوانية فوق التوابيت وأغطية المومياوات. وأيضًا من خلال زخرفة المقابر (لوحة ٢٣).

ومع ذلك، فإنه ليس الإله الوحيد الذى تشارك معه الصقر. فهناك إلهان محاربان أولهما، من منطقة طيبة، هو "مونتو"؛ الذى ذاعت أهميته بوجه خاص خلال الدولة الوسطى. أما الآخر، فهو من الدلتا، ويدعى "سوبدو". وهذان الإلهان، قد صوِّرا أيضًا فى شكل إنسان ذى رأس صقر. ويرتبطان بالوظيفة الملكية.

كما يوجد إله آخر برأس صقر؛ إنه "سوكر" إله جبانة منف(شكل ١٠٣). وبداية، كان قد تماثل ببتاح الإله الرئيسى بالمنطقة. ثم، فيما بعد: بأوزيريس. ومن خلال اسم: "بتاح سوكر أوزيريس"، كان هذا الأخير يتراءى دائمًا فى المقابر فى شكل تماثيل

صغيرة تمثله: سواء كمومياء لها رأس صقر، وقد اعتلى رأسها تاج مميز مكون من ريشتين عاليتين، مثبتتين على قرنى الكبش الملولبتين. ومن خلال هذه القطع الأثرية، قد يتكرر تصويره فى شكل صقر صغير جالس القرفصاء عند قدمى التمثال الصغير المومياوى. وهناك مثال نادر واستثنائى فيما يتعلق بتصوير "سوكر": إنه يتكون من تابوت مصنوع من الفضة خاص بالملك "شيشانق الثانى" وقد عُثر عليه فى "تانيس": وفوقه، استُبدل قناع الملك برأس صقر الإله(٤٠).



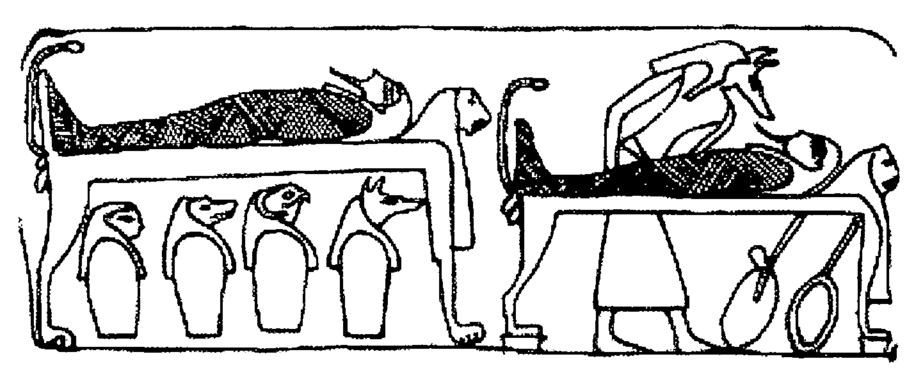
١٠٣- الإله الصقر "سوكر" - تمثال منحوت من الخشب المغطى بالجص وملون - من العصر البطلمى - حاليًا بمتحف بيكاردى.

الكلبيات

مُثل الكثير من الآلهة فى مظهر الكلبيات. ويذكر خاصة كل من "أنوبيس" و"وبواوت". وفى واقع الأمر، أن تحقيق ذاتيتهما لم يُثبت تمامًا. ترى، هل هما ابنا آوى أم كلبان وحشان. ولقد رأى بعض المؤلفين أنهما ذئبان. فربما أن عبارة "ليكوبوليس" التى أطلقها الإغريق على مدينة "أسيوط" مركز عبادة "وبواوت"، هى التى برهنت على هذا الرأى. ومع ذلك، فربما لم توجد أبدًا الذئاب فى مصر[٤١]. عمومًا، إن مظهر الكلبيّات الممثلة، لا يدعو مطلقًا للاعتقاد بأنها الثعالب التى وجدت دائمًا فى هذا البلد.

إن "وبواوت" الذى يعنى اسمه: "من يقوم بفتح الطرقات"، قد بدا عامة ككلب أسود واقف فوق ترس كبير فى هيئة زلاجة. وقد انتصبت "الحية الحامية" تحت قدميه (لوحة ٢٤). ولا شك أنها صورة بالغة القدم. حيث شوهدت فوق لوحة "نعرمر" ثم بعد ذلك على العديد من اللوحات المسجلة باسم ملوك الأسرات الأولى. وربما يبرر ارتباطه بالملك لأنه كان إلهًا محاربًا[٤٢]. ولكن، مؤكد أن وظيفته الرئيسية، هى أنه إله الموتى. فهو

الذى يقود المتوفين إلى الجبانة. وربما قد يخلط بينه وبين "أنوبيس"؛ الذى خلف أحد الأرباب المحليين القدامى بأبيدوس؛ إنه "خنتامنتيو" أو "أول الغربيين" (يفترض أن الموتى يسكنون بغرب النيل). وبصفة عامة، يبدو "أنوبيس" فى هيئة كلب أسود رابض فوق مقصورة ما. ولكن، فى أغلب الأحيان يتخذ شكل إنسان ذى رأس كلب فى نطاق الأثاث الجنازى، ومن خلال زخرفة المقابر؛ "كتاب الموتى".



١٠٤- شكل يمثل "أنوبيس" (وربما كاهن يرتدى قناعًا لأنوبيس) ينحنى على مومياء مسجاة فوق سرير جنازى. تابوت المدعو "جد باستت إيوف عنخ" (تفصيل). من الخشب الملون - عثر عليه فى الحيبة - من القرن الثانى أو الأول قبل الميلاد - حاليًا بمتحف هيلدزهايم.

أساسًا، تعتبر مهمة "أنوبيس" جنازية. ويحتمل أنه قد ابتكر أسلوب التحنيط؛ وبذا فهو، بصفته هذه، يُسدى العون للمتوفين. ومنذ الدولة الحديثة حتى العصر الرومانى، لم تكن تعد أو تحصى الأعداد الهائلة من أشكال وصور أنوبيس منحنيًا فوق المومياء الممددة فوق سريرها الجنازى. فقد اعتبرت بمثابة جزء مكمل من زخرفة التوابيت وتغليف المومياء، وكذلك من المناظر الملونة بالمقابر (شكل ١٠٤)[٤٣].

فى بعض الأحيان، يلاحظ أن ذلك المشهد، قد يستبدل أنوبيس، بالكاهن الذى كان يشرف على التحنيط. وبذا، فبصفته هذه، يحق له ارتداء قناع هذا الإله. وتوجد نسخة من هذا القناع مصنوعة من الطين المحروق؛ محفوظة حاليًا فى متحف هيلدزهايم (شكل ١٠٥). ويرى فوق تابوتين محفوظين أيضًا فى هذا المتحف ذاته مشهد لإنسان

له رأس أنوبيس؛ ويتبعه الكثير من الكهنة، متجهًا نحو السرير الجنازى: حيث ترقد المومياء. فلا شك أنه هو أيضًا كاهن يضع قناعًا(٤٤).



١٠٥- قناع على هيئة الإله "أنوبيس" من الطين المحروق الملون - يرجع تاريخه إلى ما بين القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد - حاليًا بمتحف هيلدزهايم.

إن وظيفة أنوبيس لا تنحصر فى مجرد التحنيط، فإنه يقود المتوفى إلى العالم الآخر، ثم يقدمه أمام أوزيريس. وهذا ما توضحه الكثير من اللوحات الجنازية. حيث يرى الإله ماثلاً بجوار المتوفى وقد أمسكه من يده. ومن خلال المزخرفة لكتاب الموتى، يشاهد أنوبيس أثناء تأديته لعملية وزن القلب بصحبة حورس. وتعبر الكثير من هذه المشاهد عن عطف هذا الإله تجاه المتوفى، حيث يساعده ويحميه، فى أجواء، قد تبدو بعض جنباتها رهيبة مرعبة. وأكيد أن هذه الوظيفة الراعية الحامية، توضح سبب وجود الكثير من التماثيل الصغيرة الممثلة لأنوبيس فى هيئة كلب، أو فى شكل إنسان له رأس كلب بداخل المقابر (لوحة ٢٥). وحيث يمثل أيضًا فوق تغليف المومياء والتوابيت؛ خاصة عند مستوى القدمين. وتحدد إحدى وصفات "شعائر" التحنيط: بأن الضرورة تحتم رسم حيوانى ابن آوى فوق القماش الذى يغطى قدمى المومياء(٤٥). وخلال العصر الرومانى، كان أنوبيس يمثل دائمًا فى هيئة كلب عُلق مفتاح حول عنقه، تعبيراً عن كونه فاتح أبواب العالم الآخر.

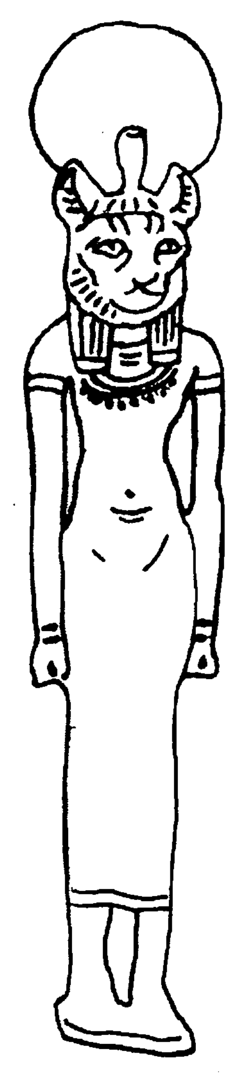
وربما أن مشاركة الكلب فى العالم الجنازى؛ قد يفسرها تعوُّد الكلاب الوحشية وحيوانات ابن آوى على التجول والطواف حول المقابر. ويبين إعداد وتجهيز المقابر الأولية التى شيدت منذ عصر ما قبل الأسرات، الاهتمام البالغ بالحفاظ على الموتى، الذين كانوا يدفنون عامة فى حفر قليلة العمق، وحماية لهم من التخريب والتدمير اللذين قد تحدثهما الحيوانات الكاسرة. وبعد فترة مديدة، اتُخذت عدة إجراءات، بتعيين بعض الحراس المكلفين بطرد الكلاب الضالة من الجبانات.

القـط

إن الربط بين القط والآلهة لأمر معـروف ومـؤكد، غيـر أنه قد ظـهر فى فتـرة زمنيـة متـأخرة إلى حـد مـا وهو يعبر عن جـانب من جوانب الشـخصيـة المزدوجـة: فـإن "باسـتت" التـى غـدت الإلهـة القطة (شكل ١٠٧) خـلال الدولة القديمة، قد بدت أيضًا فى هيئة لبؤة.

وفى تلك الفترة، تراءت الكثير من الربات المرتبطات بهـذا الحـيـوان. ومنـهن "تفنوت" بهليـوبوليس، و"سـخمت" بمنف (شكل ١٠٦)، و"باقت" فى بنى حسن، ثم "سخمت"، و"تفنوت" المتطابقتـان بالعين، أو بابنة "رع". وجميـعـهن كن يتسمن بصفات شرسة وعدوانية؛ ويعملن على تدمير أعـداء الشـمس. فبـالإلهـة "تفنوت" ارتبطت أسطورة "الربـة البـعـيـدة" التى ثارت، وفرت هاربة إلى النوبة، فى صـورة لبؤة. ونجح أحد الأرباب؛ ربما كان "أنوريس"، أو "شو" أو "تحوت" فى إرجاعها، وقد هدأت ثائرتها.

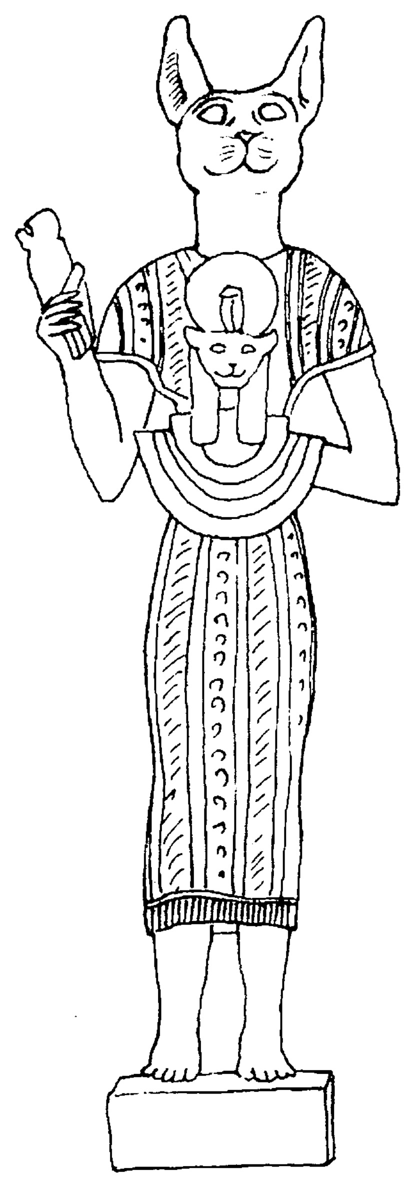
ويلاحظ أن الزوجين "شـــو" و"تفنوت" اللذين صـورا فى الأسطورة الكونيـة الخاصـة بمذهب هليـوبوليس كـزوجين من السـبـاع الصـغيرة ابنى "أتوم" .. قد حظيا بعبادة، من خـلال مظهـرهمـا هذا، فى ليـونتـوبوليس فى الدلتا. أما عن "سخمت"، فقد تماثلت بـ"موت" فى منطقة طيبة؛ ومن هذا المنطلق، فقد مثلت



١٠٦- الإلهة "سخمت" برأس لبؤة - حلية ذهبية خاصة بالقائد "أوند باو ندب" - عثر عليها فى مقبرة بسـوسنس الأول بتـانيس - الأسـرة الواحـدة والعشرون - حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة.

هذه الأخيرة من خلال مئات النسخ، فى شكل امرأة لها رأس لبؤة، بمعبدها فى الكرنك. وهناك تمثال لسخمت، مدهش للغاية، قائم فى معبد بتاح، الإله المرافق لها، بداخل فناء معبد آمون بالكرنك (لوحة ٦٢).

وعن "باقت" (القوية)، فإن معبدها قد شُيد فى بنى حسن. وقد عرفه الإغريق باسم "كهف أرتميدوس" (اسطبل عنتر). وهو قائم عند منفذ واد صحراوى؛ ويرتبط كثيراً بالحيوانات الكاسرة التى تجوب الصحراء. ولا شك أن هذا التنامى فى عدد الإلهات المشاركات مع لبؤات يعكس وجوداً، أكثر قوة فى المجال البيئى للأسود خلال الألفية الثالثة؛ وقطعاً خلال الألفية الثانية. وتتراءى مشاهد صيد السباع، متكررة وكثيرة فى مقابر النبلاء بالدولة الحديثة. وربما قد يلاحظ أن معظم الآلهة المشاركة للأسد، من الإناث. وقد يفسر ذلك بما يلى: فى نطاق هذه الوحوش الكاسرة، تخرج الإناث للصيد والقنص وتحضر الفرائس إلى الذكر. ولذا، كان المصريون، يعتبرونها، فائقة الخطورة ! (لوحة ٢٦).



١٠٧- الإلهة "باستت" برأس قطة تمسك بيدها اليسرى صدرية محلاة برأس قط - من العصر المتأخر (حوالى عام ٦٠٠ق.م) حالياً بمتحف ليدن.

إن ارتباط القطة كإلهة ما لم يظهر على ما يبدو، إلا فى الألفية الأولى قبل الميلاد: حيث أصبح فراعنة الأسرة الثانية والعشرين، المنتسبون أساسًا إلى تل بسطة بشرق الدلتا، تحت رعاية "باستت"، ربة المدينة. وفى تلك الفترة، اتخذت "باستت" الوجه الهادئ، الرقيق الذى تتسم به القطة؛ أى الجانب الآخر للبؤة الكاسرة. ومنذ ذاك الحين، أُقِرت عبادة "باستت" بواسطة الآلاف من التماثيل الصغيرة فى شكل امرأة لها رأس قطة؛ أو قطة مع العديد من القطط الصغيرة أو بدونها. ولقد عُثِر على تلك التماثيل ضئيلة الحجم، خاصة فى "تل بسطة" حول معبدها. وبهذه الهيئة، تُعد الإلهة راعية وحامية للنساء الحوامل والمواليد الصغار.

لقد لاحظ المصريون، وفقًا لما ذكره "هيرودوت"، أن إناث القطط شغوف بأن يكون لديها مواليد. ولا شك أن الصلاصل التى تهزها "باستت" من خلال الكثير من التماثيل الصغيرة يقربها شبهًا من حتحور. ويجعلها، على غرار هذه الأخيرة، ربة للبهجة والموسيقى. وكما ذكر "هيرودوت" أن عيد هذه الربة، كان يجذب أناسًا وافدين من جميع أنحاء الوادى .. وينشر السرور والفرح؛ بواسطة المُسكرات والطقوس الأنثوية المثيرة(٤٧). ولقد أتاحت عبادة "باستت" هذه، فرصة تطور تربية القطط المخصصة من أجل النذر، فى هيئة مومياوات. ولقد أُقر بوجود تربية القطط من خلال النصوص. وخاصة، أن جبانات فسيحة المدى تتضمن مئات الآلاف من مومياوات القطط، قد عُثر عليها فى تل بسطة، وسقارة على مقربة من معبد "باستت" وبكهف أرتميدوس فى فناء معبد "باقت": وهى إلهة لبؤة، قد تتراءى هى الأخرى فى مظهر ربة – قطة.

بجوار هؤلاء الربات السنوريات اللاتى قد تبدو أحيانًا فى صورة قطط، وأحيانًا أخرى لبؤات، يوجد الإله "ماحس" وهو يتشارك مع الأسد؛ ويعتبر هامشيًا إلى حد ما. وقد حظى بمركز لعبادته فى "ليونتوبوليس". ويفترض أنه ابن "باستت" ويتراءى فى صورة أسد حى.

التمســاح

إن الأمر الأكثر غرابة، هو ارتباط أحد الآلهة بالتمساح. ولقد حظى الإله "سوبك" (باليونانيـة سـوخـوس) بعدة مـراكـز عـبـادة مـهـمـة فى الوادى. وبصـفـة خـاصـة فى "سومينو- Soumenou"بجوار أرمنت؛ ومنها جاءت سلسلة من اللوحات والتماثيل التى ترجع إلى الدولة الحديثة؛ حُفظت بمتحف الأقصر. وكذلك فى كوم أمبو حـيث يوجد المعبد الكبير الذى شيد فى العصرين، البطلمى والرومانى. ويلاحظ أن "سوبك" كان يقتسمه مع الإله الصقر "حرور" (لوحة ٦٣). وقد تجلت عبادته بوجه خاص فى الفيوم؛ هذه المنطقة التى بقيت مستنقعية لأمد بعيد. حيث كان التمساح يوجد بكثرة.

خلال العصر البطلمى، عندما تطور استيطان الفيوم وإنشاء قرى جديدة، ازدادت عبـادته زيادة كـبـيـرة. وأُطلق على عـاصـمـة الفـيـوم، "سـشـدت" اسم إغـريقى، هو: "كـروكـوديلوبوليس"، كـمـا كُـرست الكثـيـر من المعـابد للإله التـمـسـاح، فى كل من: "كارانيس"، و"تيادلفى"، و"تبتينيس"، و"تارموثيس" (حيث كان يـحظى بمعبد منذ الدولة الوسطى)[٤٨]. وفى مختلف مواقع العبادة هذه، تسمَّى بأسماء متباينة: "سوكنبتينيس" أى "سـوبك "رب تبـتـينيس" " ثم "سـوكنوبانيـوس" وتعنى "سـوبك رب الجـزيرة"، و"بنيفيروس" "ذى الوجه المليح".

عادة، كان هذا الإله يبدو فى مظهر إنسان ذى رأس تمساح. كما يبين التمثال هائل الضخامة المجلوب من "سومينو" (لوحة ٢٧). والذى يظهره بجوار أمنحتب الشاب. وكذلك الأمر بالنسبة للكثير من النقوش البارزة بمعبد كوم أمبو. ولكنه قد يصور أيضًا فى شكل الحيوان نفسه، كما يظهر فى العديد من اللوحات أو النقوش الغائرة.

وفى عدة أماكن لعبادة "سوبك"، كانت تتم تربية بعض التماسيح المقدسة. وقد يقع الاختيار على أحدها لكى يمثل الإله. وفى ذات الحين، يخصص الكثير غيره، لكى يحنط، ويقدم كنذور: فلقد عُثر فى الفيوم على جبانات فسيحة لـدفـن التماسيح. ومنذ

وقت قريب بجوار منطقة "نارموثيس – Narmouthis "(مدينة ماضى بالفيوم)، عثر على مبنى كان يُتخذ كبيت لحضانة التماسيح، بل ووجدت به أعداد ضخمة من البيض(٥٠).

إن مشاعر المصريين تجاه التمساح كانت على ما يبدو متضاربة للغاية، فهو قطعًا حيوان يخشى بأسه. فإنه، فى كل عام يعتبر المسئول تمامًا عن موت أو تشويه الكثير من الأهالى. وكما سبق أن عرفنا، تتحدث "هجاء المهن" عن حرفة الصياد باعتبارها أسوأ الأعمال جميعها. إنها العمل الوحيد فى نطاق النهر، الذى يختلط فيه الإنسان بالتماسيح(٥١).

وكان المصريون يستعينون دائمًا، ببعض الصيغ السحرية والتمائم للحماية من هذا الحيوان. ومع ذلك، فقد أُضفى عليه مظهر نافع ومفيد. فباعتباره خالق المياه، فهو يرتبط بخصوبة الأراضى (ويبدو ذلك فعليًا بالفيوم). كما أنه يُعد بمثابة أحد تجليات إله الشمس؛ فهو يلتهم الأسماك المعادية لـ"رع". ومن هذا المنطلق يمثَّل دائمًا متوجًا بقرص الشمس. وباعتباره إلهًا نافعًا وحاميًا، يُشار إليه بأنه مليح الوجه، رقيق الحب، جميل المظهر؛ متألق الألوان. وكذلك: "مهيب المظهر، مكتمل التكوين أكثر من أى إله آخر". وهذا ما يوضحه أيضًا اسمه "بنفرُس "Pneferos(٥٢).

يلاحظ، أنه عند التضرع والابتهال إلى "سوبك"، فإن الذى يتراءى أمام الناظرين، ليس الحيوان فى حقيقته الرهيبة. بل بالأحرى مضمون عقائدى منفصل عن الواقع. إن الأمر المهم فى هذا الصدد، هى القوة التى يفعم بها هذا الإله(٥٣). ومع ذلك، فها هو نص دينى من معبد كوم أمبو، لا يخفى مطلقًا سمات الطبيعة الشرسة العنيفة والمدمرة التى يتصف بها هذا الحيوان الذى أُدمج بأحد الأرباب. ثم نجد أن أحد الأناشيد المكرسة لـ"سوبك-رع"، إله أمبوس، تطنب فى مديح قوته وسطوته الخلاقة، ومع ذلك فهى تصفه بأنه: "كائن شرير وضار". حيث يمزق ويقطع بذيله وكأنه سكين؛ ويحطم العظام ويكسر الأعضاء، ويشرب دماء من يعترض طريقه. واختصارًا للقول، فهو يسبب الرعب فى حنايا من يرونه(٥٤).

وعلى المستوى الرمزى، استطاع التمساح أن يحظى بصورة سلبية تمامًا. فهذا ما يبينه مظهر "المفترسة أميت"، التى تتراءى دائمًا بخطم تمساح. ولقد ظهرت هذه

الصورة السلبية منذ حقبة زمنية أكثر تأخراً: فها هو تمثال شعائرى لإيزيس مستمد من "الرأس السوداء" على مقربة من الإسكندرية (القرن الثانى)، يمثلها وهى تطأ بقدميها أحد التماسيح(٥٥). وقد يصور حورس أيضًا ممتطيًا جواده، ويغرس طرف حربته في جسم الحيوان ذاته، الذى يعتبر بلا أدنى شك مؤذ وشريراً(٥٦). وحقيقة أن هذا النمط من الصور، قد يكون نادراً، فإنه مع ذلك قد يجسد مقدماً النموذج الأيقونى الخاص بالقديس الفارس "سان جورج"، وهو يطعن تنيناً؛ والذى شاع كثيراً فى مصر.

إن التمساح، على ما يبدو، لم يكن مرتبطاً، فى كل أنحاء مصر بأحد الآلهة؛ أو يحظى، من هذا المنطلق بالتبجيل والإجلال. وهكذا، فإن "هيرودوت" نفسه قد ذكر: "إن أهالى منطقة "إلفنتين"، لا يعتقدون كثيراً فى تقديس التمساح. وبذا، كانوا يلتهمونه(٥٧)".

فرس النهر

هناك حيوان آخر كان يُخشى بأسه هو فرس النهر؛ وقد ارتبط أيضًا بإحدى الآلهات، وفى هذا الصدد كذلك، تتراءى فى صورة متضاربة. إن الإلهة الممثلة فى سمات حيوان فرس النهر الأنثى، المسماة باسم "أوبت" (الحريم)، و"تاورت" (العظيمة)، أو "ررت – Reret" (أنثى الخنزير)، هى ربة نافعة عُرفت منذ الدولة القديمة. وفى هيئتها كأنثى حامل، تقف على قوائمها الخلفية، تعمل على حماية النساء الحوامل (لوحة ٦٤). وتساعد العقدة السحرية "سا" التى تستند عليها تدعم هذه القوة الراعية. وفى ذات الحين، يبدو مظهرها مركبًا. ففى أغلب الأحيان تتراءى بقوائم أسد وذيل تمساح (شكل ١٠٨)؛ بل وأحياناً، بتمساح كامل ملتصق بظهرها. وقد يكون لها رأس آدمية، فهذا ما يبينه، بالفعل أحد التماثيل الصغيرة بمتحف تورين؛ حيث اكتسبت "تاورت" وجه الملكة "تتى" (شكل ١٠٩). ولقد كررت تلك الأشكال تكراراً فائقًا: فى مظهر تماثيل صغيرة، وكذلك تمائم تحملها النساء لوقايتهن. وترجع هذه الممارسة، تقريبًا إلى الدولة الوسطى: فهذا ما يوضحه أحد أشكال "تاورت" المرسومة بالألوان فوق "عروس"

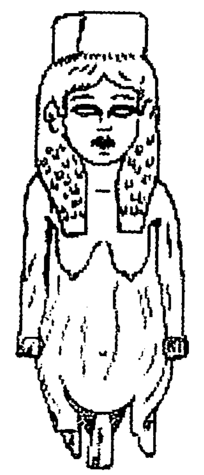
خشبية، محفوظة حاليًا بالمتحف البريطانى(٥٨). وخلاف ذلك، وقبل تلك الفترة، كانت تمثل غالبًا فوق العصى السحرية (لوحة ١٦)، وعلى رؤوس الأسِرّة. فمن المفترض أنها تبعد الأرواح الشريرة، وتحمى النائم. وأكيد، لهذا السبب ذاته أن أحد الأسِرّة الجنازية الخاصة بالملك "توت عنخ آمون"، عليه أشكال لرؤوس أنثى فرس النهر (لوحة ٢٨).

على ما يُعتقد أن تأليه أنثى فرس النهر، كان ينحصر فى المجال الخاص بنطاق البيت. ومع ذلك، فقد أقر رسميًا بعبادتها، فى منطقة طيبة: حيث وجد فى الكرنك معبد شيد خلال الجزء الثانى من الألفية الأولى، وكُرس لها من خلال اسمها "أوبت". وباسمها الهللينى "تاوريس"، حظت بمعبد خلال الفترة الرومانية فى "البهنسا" حيث تماثلت بالربة "أثينا"(٥٩). وتوجه إحدى الصيغ الخاصة باستشارة الوحى، باللغة اليونانية إلى "الربة تاورت"، وأيضًا إلى ثلاثة أرباب متماثلة بحورس؛ بخصوص الحالة الصحية لإحدى النساء(٦٠). وربما قد يُعتقد أن المرض المعنى، هو بمثابة التهاب بالجزء التناسلى أو يتعلق بالولادة.

وإذا كانت أنثى فرس النهر تجسد قوة نافعة وراعية، فإن الذكر كان يبدو رهيبًا، مرعبًا. وهذا ما يتطابق فعلاً بالواقع. فقد كان هذا الحيوان، يشكل فى آن واحد خطورة جسمة للبشر؛ وضارًا بالنسبة للزراعات. وبذا، فقد ارتبط بـ"ست"، عندما اعتبر هذا الأخير "إله الشر". وبهذه الصفة، كان يقوم بدور مهم



١٠٨- الإلهة "أوبت" (أحد أسماء الإلهة التى تتخذ هيئة فرس النهر) تتقدم الحياة والشعلة إلى المتوفى - كتاب الموتى الخاص بالكاتب "آنى" - الأسرة التاسعة عشرة -حاليًا بالمتحف البريطانى.

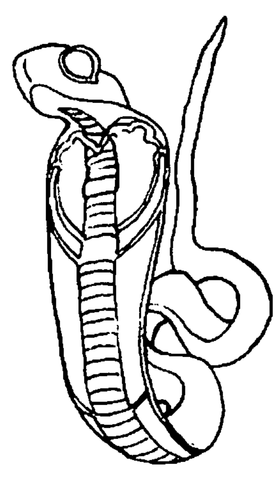


١٠٩- الإلهة فرس النهر تاورت، بملامح وجه الملكة "تى" - إناء دهان من الخشب - من الأسرة الثامنة عشرة - حاليًا بالمتحف المصرى بتورينو.

خلال أعياد "انتصار حورس"، التى كانت تقام فى "إدفو" خلال العصر البطلمى. وتقدم بعض النقوش الغائرة بالمعبد مشهداً لحورس وهو يطعن بحربته أحد أفراس النهر الذى كان يمثل عادة ضئيل الحجم للغاية: ربما للتعزيم ضد المؤثرات الضارة للصورة (لوحة ٦٥). وخلال الفصل الأخير من الاحتفال، كان يتم تقطيع أحد أفراس النهر (فى واقع الأمر، حلوى فى صورة فرس النهر) حيث توزع أجزاؤه فى كل أقاليم مصر.

الكوبرا

ارتبطت الكوبرا منذ أمد بعيد جداً بالملك والآلهة. وفى مجال الكتابة الهيروغليفية، نرى أن التحديد المرافق لاسمى كل منهما هو: كوبرا منتصبة. وضمن الأسماء الخمسة الخاصة بتثبيت وظائف الملك وألقابه، يلاحظ أن لقب "الربتين" يضع هذا الأخير تحت رعاية وحماية إلهتين حافظتين، هما: الكوبرا "وادجت" بمصر السفلى؛ والصقر "نخبت" بمصر العليا (الذى قد يبدو أيضًا فى مظهر الكوبرا، ولكن، متوجًا، بالتاج الأبيض). ولتماثلها بعين رع، تعد الكوبرا إحدى القوى التى يمكنها دحر أعداء الشمس بنيرانها، أو بالسم التى تنفثه. ومن منطلق هذه الوظيفة الحارسة، صوِّرت فوق تاج الملوك بداية من الأسرات الأولى (شكل ١١٠).



١١٠- الإلهة وادجت على هيئة كوبرا منتصبة عبارة عن جزء من تاج الملك سنوسرت الثانى - مصنوعة من الذهب وأحجار نصف كريمة - عثر عليها فى اللاهون بهرم سنوسرت الثانى من الأسرة الثانية عشرة - حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة.

عادة، يُصور الملوك والآلهة بداخل مقصورات أو تحت مظلات مزخرفة بأشكال الحيَّات الحامية. وتتراءى هذه الوظيفة أيضًا من خلال المضمون الجنازى، ومن المحتمل أن يكون ذلك هو جدار الكوبرا بمجمع زوسر فى سقارة (لوحة ٦٥)؛ ترى

صفوف من أشكال الحية الحارسة مبينة على المقصورات (الصندوق الخاص بتوت عنخ آمون). كما نراها فى كل مكان بزخرفة الرسوم الملونة فى المقابر والتوابيت حتى العصر الرومانى.

لقد تشاركت الكثير من الربات مع الكوبرا. قبل كل شىء: "وادجت" أو "أوتو"، ربة "بوتو" فى الدلتا. وقد يعنى اسمها: "الخضراء" أو "المنتمية" إلى البردى". وقد تبدو فى هيئة امرأة لها رأس ثعبان؛ أو كثعبان متوج بالتاج الأحمر. وفيما عدا ذلك، توجد أيضًا أشكال لـ"وادجت" فى صورة امرأة، ذات رأس لبؤة. لأن هذه الخيرة، كمثل الأوراوس، تُعد كأحد الأشكال التى تتخذها "عين رع".

وبالنسبة لـ"مرت سجر"، "المحبة للهدوء"، فهى الربة الكوبرا بقمة جبل طيبة (أو قمة الغرب)، أى الجبل الذى يشرف على وادى الملوك. ومن هذا المنطلق، فهى حارسة الجبانة. وقد انتشرت عبادتها خاصة بين حرفى وعمال دير المدينة. حيث أقاموا من أجلها معبداً صغيراً، يقع ما بين القرية ووادى الملكات. وتصور الكثير من الشقافة أو اللوحات، أحد المؤمنين وهو يتعبد إلى الربة، التى بدت فى شكل حية، أو حية ذات رأس إنسانى، أو امرأة لها رأس حية؛ كما هى الحال باللوحة الخاصة بالمدعو "حوى" المكرسة لكل من "مرت سجر" و"تاورت"، وهى محفوظة حاليًا فى متحف تورين؛ وهناك لوحة بمتحف اللوفر تقدم مشهداً لعبادة "مرت سجر" ومن خلالها، وتحت المشهد الرئيسى، يُشاهد تسلسل من الحيَّات الصغيرة المصطفة فى هيئة قائمتين (لوحة ٢٩). ويفترض أن "مرت سجر" كانت تعاقب بالعمى كل من يقترفون إثمًا. ولقد حُفظت الكثير من التضرعات والابتهالات التى كان يوجهها إليها المرضى. وإحداها ترجع إلى شخص يسمى "آمون باخت"؛ وقد أصيب بفقدان البصر. ولذا، فهو يستعطف الشفقة والمغفرة من "مرت سجر": لأنها "جعلته يشاهد الظلمات فى وسط النهار". وهناك ابتهال آخر يقدم اعترافًا لفرد يدعى "نفر عبو"؛ ويعمل خادمًا فى مكان الحق، حيث يعترف أنه قد اقترف عصيانًا ضد "قمة الجبل" وأنها "أعطته درسًا"[٦١].

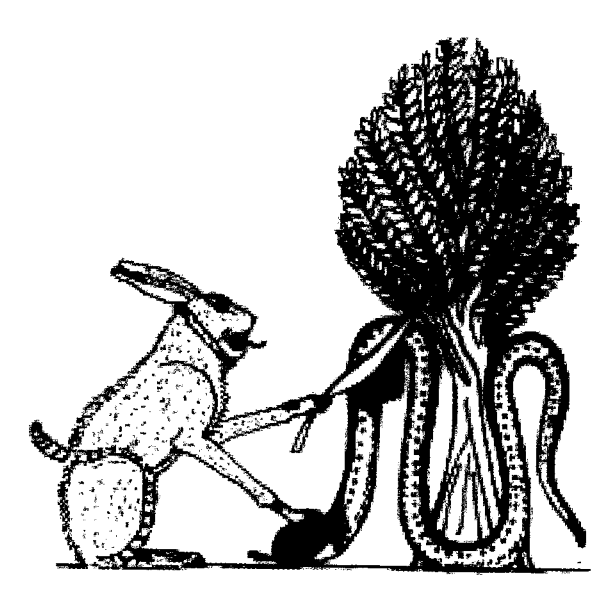
تعتبر الإلهة الكوبرا "رننوتت" مسئولة عن خصوبة الحقول: "ربة مخازن الغلال" التي توفر المحاصيل الطيبة. ولقد انتشرت عبادتها منذ الدولة القديمة؛ في هيئة امرأة ذات رأس حية؛ تقوم أحيانًا بإرضاع طفل؛ وخاصة في شكل ثعبان متوج بالتاج الحتحوري. وخلال العصر المتأخر، كانت، في أغلب الأحيان تماثل إيزيس. ولذا، فمن خلال اسمها "ترمونيس – Thermoutis" (إيزيس – رننوتت)، حظيت بمعبد مهم لعبادتها في نارموثيس (مدينة ماضي) بالفيوم. حيث تشاركت بأحد تجليات "سوبك"، أي سوكونوبيس وبغين الإله المدعو "أنخيوس" أحد مظاهر حورس. وهناك، عُثر على الكثير من الآثار، كمثل اللوحات أو التماثيل الصغيرة، التي تمثلها في هيئة إلهة ذات جذع أنثوي السمات وذيل ثعبان؛ بل وكذلك، في شكل ثعبان (شكل١١١)، أو كثعبان له رأس امرأة. وفوق أحد أبواب المعبد نُقشت أربعة تراتيل باللغة اليونانية؛ تمجد وتعظم الأرباب الثلاثة بمدينة ماضي؛ وتشكرها على نعمها ونفعها والازدهار الذي توفره للبلاد.


١١١– تمثال لإيزيس متماثلة بالإلهة الكوبرا رننوتت، حامية المحاصيل – من الطين المحروق المشكل في قالب – العصر الروماني – حاليًا باللوفر.

وربما أن تشارك التمساح مع الكوبرا ليس، كما يتراءى هنا أمرًا مستغربًا: فإن التمساح حيوان ينبثق من المياه. وهو مسئول عن خصوبة الأرض. وعن الكوبرا فهي ذات صلة بالأراضي الرطبة، حيث تجد مأواها، وبالتالي، تعتبر كفيلة بإنبات الزرع. وبالنسبة لـ"رينوت" أيضًا؛ باسمها الآخر "رينوتت"، فقد تشاركت بإله آخر يدعى "شاي". كان في البداية مجرد مفهوم تجريدي يتطابق مع فكرة المصير. ولكنه، في إطار الديانة الشعبية، أصبح إلهًا حارسًا في صورة ثعبان. ومن خلال مظهره هذا،

كان يحرس الزراعات، وكذلك يعد الرب الحارس للبيت[٦٢]. وخلال العصر البطلمى، عمل اليونانيون على مماثلته بإلههم الطيب الخيِّر "أجاثوس ديمون"، الذى يعتبر هو الآخر حارساً وحامياً للبيت فى هيئة ثعبان[٦٣].

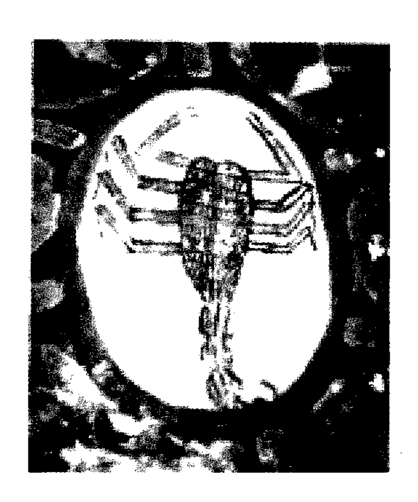
ولكن، كانت هناك أيضاً أنماط خطيرة من الثعابين، مثل: الثعابين التى تهدد المتوفى فى عالم الموتى، والتى مُثلت بالرسوم الملونة بالمقابر الملكية وكريمات الزخرفة بكتاب الموتى. وخلاف ذلك، فقد تجمعت قوى الشر فى كيان ثعبان ضخم، هو "أبوبى" (باليونانية: أبوفيس) الذى يشن كل مساء معركة ضارية ضد "رع". ولكن، فى كل صباح، يخرج هذا الأخير منتصراً من القتال: الذى كانت مجازفته، منع العالم من الرجوع إلى حالة الخواء الأولى. وغالباً، يتراءى هذا الصراع من خلال الرسوم البارزة بالمقابر وفوق البرديات الجنازية: حيث تتجسد الشمس من خلال قط كبير مُسلح بسكين كبير؛ وهذا ما يشاهد بمقبرة المدعو "إنحر خعو" بدير المدينة (شكل ١١٢)[٦٤]. وفوق بعض الآثار، وكذلك بأحد النقوش الغائرة بمعبد آمون-إبيس يُرى الإله "ست" فى دور الخيِّر النافع، وهو يطعن بحربته الثعبان أبوفيس.



١١٢- الإله "رع" على هيئة "قط كبير" يقتل الثعبان أبوفيس أسفل الشجرة المقدسة فى هليوبوليس - منظر فى مقبرة "إنحر خعو" - دير المدينة - من الأسرة العشرين.

العقـرب

لا ريب أن هذا الحيوان المشارك نع الربة "سرقت" (باليونانية: سرخيس) يثير مشكلة التطابق والتماثل. فتقليديًا وعُرفيًا، تتطابق هذه الإلهة بالعقرب؛ وهو من الحيوانات التى توجد بغزارة فى مصر.. ويُخشى بأسه كثيرًا. ومن خلال عدد ما من الأشكال والمشاهد، كان من الواضح أن الأمر يتعلق بالعقرب. وهذا ما تعبر عنه بعض الآثار البرونزية الصغيرة: ممثلة لهذا الحيوان، برأس الإلهة (لوحة ٦٦)؛ وكذلك فوق بعض اللوحات السحرية. وبلا ريب أن العقرب المنقوش فوق قناع مستمد من جبانة عين (**Sabokha**) (واحة الخارجة)، هو تعزيم واستحضار للربة من خلال وظيفتها كراعية للموتى (شكل ١١٣).



١١٣- عقرب يزين قمة قناع جنازى لأحد الرجال - من الكتان المقوى الملون والمُذهب - عثر عليه فى عين اللباخا (الواحات الخارجة) من أوائل القرن الأول - حاليًا بمتحف الخارجة.

إن "سرقت" قد كُلفت فعلاً بحماية الوعاء الكانوبى المحتوى على "الأحشاء"، و"ابن حورس" الذى يجسده "قبح سنو إف". ولكن، فى أحوال أخرى، يكون حيوانها هو عقرب الماء، ذا اللدغة المؤلمة حقًا ولكن غير خطرة. ويبين مشهد لـ"سرقت" فى مقبرة الأمير "خع إم واست" (أحد أبناء رمسيس الثانى): عقرب ماء معتليًا رأس الربة (شكل

١١٤). وكذلك الحال بالنسبة لشكل لـ"سرقت" مصنوع من الخشب المُذهب، حارسًا للصندوق - المقصورة الخاص بتوت عنخ آمون (لوحة ٣٠). وربما أن الأمر لا يتعلق فقط، من خلال تلك الصور، بتخفيف السمة الرهيبة من جانب الحيوان، كما هى الحال بالنسبة لبعض الرموز الهيروغليفية، التى تُغيِّر إلى حد ما، لإعاقة الحيوان الخطير من إلحاق الأذى. ولقد أظهرت بعض الدراسات الحديثة، أن عقرب الماء مزودة بعضو ما، يسمح لها بالتنفس فى الماء. وهكذا، نجد أن اسم الربة، يُترجم إلى: "التى تجعل الحنجرة تتنفس". وبالتالى، يمكن أن ترتبط، طبيعيًا، بعقرب الماء. حيث إن لدغة العقرب قد تجر فى أعقابها صعوبات جمة فى التنفس. إذن، على ما يبدو، أن "سرقت" تتمتع بوظيفة مزدوجة: من ناحية، ارتباطًا بعقرب الماء، تقوم الربة بدور نافع وخيِّر تجاه المتوفين .. حيث توفر لهم النفثات. ومن ناحية أخرى، تشاركًا مع العقرب؛ تقوم هذه الإلهة بحماية الأحياء ضد لدغات هذا الحيوان. وعلى ما يُعتقد، أن بعض "حواة العقارب" قد حملوا لقب "خرب سرقت" وهم يحظون برعاية هذه الإلهة.



١١٤- الإلهة العقرب سرقت - مقبرة خع إم واست، بوادى الملكات بغرب الأقصر - الأسرة التاسعة عشرة - رمز العقرب على رأسها وربما على الطرحة (عقرب مائى) وهو الشكل الأولى قبل حشرة العقرب العادية.

الضفدع

منذ أمد بعيد، كانت الضفدع تتشارك مع إحدى الإلهات. ومن خلال ثيولوجية هرموبوليس، عُرف أن أربعة أزواج من الآلهة الأولية، السابقة لعملية الخلق، قد انبثقت من المياه الأزلية. وكان للبعض منها رأس ضفدع، والأخرى برأس ثعبان[٦٥]. ونجد أن الربة "حقات" ذات رأس ضفدع، كانت غالبًا ما تتشارك مع "خنوم"، الإله الخالق. وهى تقوم بدور مهم خلال عمليات الولادة. وفى العصر المتأخر، مُثل دائمًا كل من

"حقـــات" و"خـنـوم"، فى النقوش الغـائرة بالماميـزى (بيت الولادة)، فى دندرة وفيلة، وهمـــا يشرفـان على ولادة الإله الوليد. وبهيئـتهـا الحيـوانيـة، اشتـركت "حقـات" مع "تاورت" و"بس"، ضـمن الأشكال المقدسـة التى كانت تصـور خـلال الدولة الوسطى فـوق العـصى السـحرية. حيث كـانت هذه الأخيـرة تستـعمل عند أداء الشـعائر التى تحـيط بعملية الولادة.

وعن التمائم التى تبدو فى شكل ضفدع، فكان من الضرورى أيضًا الاستعانة بها لحماية النساء اللاتى أوشكن على الوضـع. وربما أن الرابطة ما بين الضفدع والولادات قـد يفسـر بأن المصـريين قـد لاحظوا تكاثرها وتوالدها الفـائق. ولذا، فـقد اسـتـعـانوا بالشـرغـوب كرمـز هيـروغليـفى للتـعـبيـر عن الرقم (١٠٠٠٠٠). وربما أنهم كـانوا لا يحـيطـــون تمـامًـا بأسلوب تـوالدها. ولذلك، اعـتـقدوا أن الأمـر يتـعلق بتناسل تلقـائى (لوحة ٦٧).

وبما أنها قد ساهمت مسبقًا فى الولادات، فقد أصبحت الضفدعة كفيلة بإعادة مولد الموتى. فقد عُثر على تمائم فى هيئة ضـفادع، وقد دُست بين لفائف المومياوات. وها هو مثال عن مساهمة الضـفدع، فى بعث المتوفى؛ تقدمه إحدى المومياوات بجبانة "دوش" (واحـة الخارجـة). ويتـعلق الأمـر برجل بالغ، وقـد تشابكت ذراعاه فى الوضع الأوزيــرى. ويلاحظ أنه قـد أُخـفى[٦٦]. وبين فـخـذيه، تراءت ربطة مـسـتطيلة الشـكل (حوالى ١٥ سنتيمترًا طولاً)؛ للوهلة الأولى، اعتُبرت بمثابة العضو الذكرى بعد تحنيطه. ولكن صـورته بالأشـعة النافذة، كشـفت أنه: مـومياء ضـفدع، من النوع المعروف باسم (Rana Mascareniensis)[٦٧]. واعتُبر ذلك كـأمر غير عادى تمامًا؛ ولكنه، قدم تفسيرًا ثيـولوجـيًا: لأنها تُعد بمثابة رمز للمولد الجديد بالنسبـة للميت، فإن هذه الضـفدع المحنطة، قد وُضعت فوق جسد أحد المتوفين (لوحة ٦٨،٦٩).

لقد أعاد المسيحيون فى مصر الاستعانة برمزية الضفدع. ونرى أن الكثير من مصابيح الزيت التى ترجع إلى العصر المتأخر، قد زينت بشكل ضفدع منمنم. كما أن البعض منها يحمل عبارة (anastasis) أى: "بعث"، وهى مسيحية أصلاً[٦٨].

الجُعل

اعتُبر الجُعل المقدس كشكل لإله الشمس عند مشرقه. فإن العبارة الثيولوجية "خبرى- رع-أتوم"، تترجم فعلاً المظهر الثلاثى لهذا الإله: "خبرى"، الشمس المشرقة؛ "رع" شمس الظهيرة؛ "أتوم" الشمس الغاربة مساء. ولذلك، فإن الجُعل، الذى يُعد فى الحين ذاته رمزًا شمسيًا ورمزًا للبعث الجديد، يمثل كثيرًا من المشاهد الدينية، والجنازية؛ وقد أمسك بين يديه بقرص الشمس. وتبدو صورة "خبرى" خاصة، فى الكثير من الأحيان حيوانية بحتة. ولكن، هناك أيضًا أشكالاً قليلة لـ"خبرى" فى هيئة إنسان، حل شكل للجُعل مكان رأسه. وهذا ما يشاهد فى مقبرة "نفرتارى" (شكل ١١٥)، وفوق برديات "كتاب الموتى".



١١٥- الإله خبرى على هيئة رجل رأسه جُعل - مقبرة نفرتارى بوادى الملكات بغرب طيبة - من الأسرة التاسعة عشرة.

ويُعد الجُعل من الأشكال الواقية: التى ظهرت عبر أعداد هائلة من النسخ، فى هيئة تمائم مصنوعة من مواد متباينة، بداية من النفيسة النادرة، حتى البسيطة المتواضعة. ويعتبر الجُعل الخاص بالقلب بمثابة تميمة لا يمكن أن يستغنى عنها أى متوفٍ. وقد حُفرت عليها إحدى عبارات "كتاب الموتى" (الفصل ٣٠ ب)؛ من خلالها

يناشد القلب بألا يشهد ضد صاحبه أمام محكمة أوزيريس. ومع ذلك، فهناك صور مركبة الشكل للجُعل: قد تكون بجسم حيواني ورأس آدمي أو حتى رأس كبش !

الأبيس، والبابون (قرد كبير)

ارتبط الإله "تحوت" بحيوانين مقدسين. إنهما "الإبيس" و"البابون". و"تحوت" هو رب المعرفة والكتابة (شكل ١١٦). وخلال العصر المتأخر، أُعزى إليه اختراع الكتابات والخطوط المصرية؛ كما نسبت إليه خاصة علوم السحر. وهو يتشارك مع القمر. ومن هذا المنطلق، يتوج بتاج مكون من القرص والهلال القمرى. ولقد صورته الكثير جداً من التماثيل الصغيرة المصنوعة من البرونز أو الخشب، فى شكل الطائر "أبيس"؛ حيث كانت توضع فى المعابد بمثابة نذور. ولقد تأكد بشكل واضح وجود تحوت من خلال مشاهد العالم الآخر. وهذا ما توضحه فعلاً الكريمات الزخرفية بكتاب الموتى. وأيضاً، بصفة خاصة فى لحظة وزن القلب: فهو الذى يسجل فوق لوحة صغيرة نتائج عملية الوزن (شكل ١١٧). وفى معظم هذه المشاهد، يبدو كرجل له رأس "إبيس". ولكنه، قد يتراءى أيضاً فى صورة قرد البابون؛ وقد جلس القرفصاء فوق قمة الميزان، مراقباً للوزن.



١١٦- كاتب يقوم بالكتابة فى حماية الإله تحوت على هيئة قرد - تمثال عثر عليه فى تل العمارنة - من الأسرة الثامنة عشرة - حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة.

ويلاحظ أن تصوير الإله فى شكل قرد البابون، يبدو أقل من تمثيله فى هيئة الإبيس. ومع ذلك، يلاحظ أن ذاك هو الشكل (البابون)، الذى بدت عليه التماثيل العملاقة المحفوظة فى هرموبوليس، والمستمدة من المعبد الذى كرسه له أمنحتب الثالث. وتتضمن الجبانة المجاورة لـ"تونا الجبل" دهاليز فسيحة المدى: عُثر بها على مئات الآلاف من مومياوات الإبيس؛ بالإضافة إلى أعداد كبيرة من مومياوات القردة. ويحتمل جداً أن هذه المومياوات هائلة العدد كانت تقدم كنذور من جانب الحُجاج إلى معبد "تحوت. وقد حظى الإله أيضًا بمعبد فى سقارة أُرفقت به الكثير من دهاليز الدفن المحتوية على مومياوات الأبيس والقردة البابون(٦٩).



١١٧- الإله تحوت برأس الطائر إبيس يسجل نتيجة وزن القلب - كتاب الموتى الخاص بالكاتب "آنى" - الأسرة التاسعة عشرة - حاليًا بالمتحف البريطانى.

وربما قد نتساءل قائلين: لماذا يتشارك معًا هذان الحيوانان المتغايران تمامًا عن بعضهما بعضًا، مع جوهر إلهى واحد؟ وربما قد نجد أن المشاركة مع قرد البابون، تبدو، إلى حد ما منطقية. خاصة لما يتمتع به هذا الحيوان من ذكاء، جذب انتباه المصريين. أما الارتباط بالإبيس، فيبدو أكثر إثارة للجدل. فقد ذكر البعض انحناء منقار هذا الطائر الذى يتشابه بالهلال القمرى؛ أو ربما خطواته المنتظمة التى تعكس تمكنه من الأرقام والزمن. ومع ذلك، فإن كلا التفسيرين غير مقنعين تمامًا.

لقد مـاثل الإغريق "تحـوت" بإلهـهم "هرمس". وربما يرجع هذا التقـريب إلى الدور الجنـازى الـذى يقـوم به كـلا الإلهين. كـان "هرمس" اليونانى يقوم بمهمة قيادة الموتـى. ولكن، فى عصر متـأخر جدًا أثار البعض هذا السؤال: ترى من الذى عمل على ارتباطهما: كان هناك كم هـائل من الآداب والفلسفة الدينية باللغة اليونانية، تحـت رعـاية "هرمس تريز ماجنا"؛ و"تحـوت" الكبيـر ثلاثًا تحت الكتـابات "الهرمـزية "Hermétiques" (٧٠).

وبخلاف علاقة قرد البـابون مع "تحـوت"، فـإنه قد ارتبط أيضًا بإله قمـرى آخر: "خونسو" (يُمثَّل كثيرًا فى شكل إنسانى). وبالإضافة لذلك، له علاقة بالعبادة الشمسية. فقد عُرف عن البابون أنـهم يتحـركون فى صـخب وضـوضـاء عند مشرق الشمس: فقد اعتُبروا كعابدين لـ"رع". ولذلك، فهم يصورون جالسين القرفصاء، رافعين أيديهم عاليًا فى إشـارة تعبد، فوق قواعد المسلات (لوحة ٣١)؛ وكذلك فوق الإفريز العلوى لواجهة المعبد الكبير بأبو سمبل حيث يُحيون الشمس المشرقة.

وفى إطار هذا الدور الجنازى، يُرى أيضًـا قـرد البـابون "حـابى"، وهـو أحد أبناء حـورس الأربعـة الحـارسين للأحـشـاء المُحنطة. وهنا، يُعد مسئولاً عن الحـفـاظ على الرئتين، تحت رعـاية "نفتيس". وبذا، فـهـو يتراءى فى صـورة رأس بابون، بمثـابة غطاء للآنيـة الكانوبيـة. ويستطيع أيضًـا، من خـلال مظهـره كمـوميـاء ذات رأس بابون أن يُستعمل كتعويذة، حيث تُوضع هذه الأخيرة فوق المومياء بين طبقات الأقمشة الجنازية. وكثيرًا ماكان يبدو فى هذا المظهر، فى إطار زخرفة التغليف والتوابيت.

حيوان ست

يبـدو أن الحـيوان المرتبط بالإله "ست" كـان يثـيـر مـشكلة تطابق. ففـى معظم الأحوال، يتراءى هذا الإله فى مظهر إنسانى، برأس حيوانى، بخطم مستطيل الشكل متدلٍ؛ وأذنين منتصبتين، مُدببتى الطرف أو منبسطتين أفقيًا. ولقد أراد بعض الكتاب

مطابقته بالظبى، والزراف، والكلب السلوقى؛ وجميعها من الحيوانات المعروفة تماماً فى مجال الأيقنة المصرية؛ أو بخنزير الأرض، وربما قد عرفه المصريون، بآكل النمل.

وعندما يُمثل "ست" فى مظهر حيوانى، فإن جسمه يبدو فى شكل الكلبيات، ولكن بذيل منتصب ومتشعب. وفيما عدا ذلك، فقد عُرف أن الكثير من الحيوانات الأخرى تماثل "ست"؛ مثل: حيوان فرس النهر، الخنزير، والحمار. وهذا يفسر ما وُصفت به جميعها من صفات الحِطة وفقدان الثقة.

أشكال أخرى من الحيوانات

هناك الكثير من الحيوانات التى تشاركت مع عدة أرباب، بصفة عامة، واستمرت إلى حد ما هكذا. ففى منطقة لاتوبوليس (إسنا)، كانت السمكة (Lates) ذات علاقة بـ"نيت". وهذا يوضح الاسم الإغريقى الذى أُضفى على هذه المدينة؛ ووجود جبانة للسمك المقدس. وبذا، فقد ارتبط النمس بعدة آلهة. حيث كان يتشارك، هو وفأر الزبابة، مع أحد تجليات حورس؛ أى "حورس مخنتى إرتى" فى لاتوبوليس بالدلتا. كما كان على علاقة بالإله أتوم فى هليوبوليس؛ وأيضًا بالربة "وادجت" فى بوتو. وخلاف ذلك، فباعتباره عدواً لدوداً للثعابين، كان يُعد ضمن تجليات "رع"، عندما يشن معركته ضد الثعبان أبوفيس. أما عن ثعلب الماء، فكان أيضًا ذا صلة بالربة "أوادجات" فى بوتو؛ ومن هنا، اكتسب خصائصه المميزة: قرص الشمس والحية الحامية. وكذلك ارتبط بالإلهة "نخبت" فى الكاب بمصر العليا(٧٢).

وقد اتُخذ القنفذ كغطاء لرأس الإلهة "أبست – Abset". فهذا ما يبينه بالفعل مشهدان بمقبرة شخص يُدعى "باننتيو – Bannetiou" فى الواحات البحرية: أحدهما فوق عمود عليه رسوم ملونة حيث يبدو القنفد متشاركًا مع الإله "كبش مندس". أما المشهد الآخر، فوق أحد الجدران، حيث يُرى ماثلاً فى أثر "رع حوراً آختى"؛ وقد صوّرا تسلسلاً من الأرباب الأخرى (شكل ١١٨)(٧٣). وفى هذا المجال يطلق عليه اسم: "الربة العظمى،

إلهة السماء". ويحتمل أن الدور النافع الذى يؤديه القنفذ، مدمر الثعابين، قد يرجع أصلاً إلى مساهمته مع أحد الأرباب وبالتالى الاستعانة به كتعويذة حامية واقية.



١١٨- الإلهة "أبست" تحمل فوق رأسها قردًا- مقبرة "بانتتيو" في "باويطى" الواحات البحرية - من الأسرة السادسة والعشرين.

الفصل السادس

الحيوان صورة حية للإله

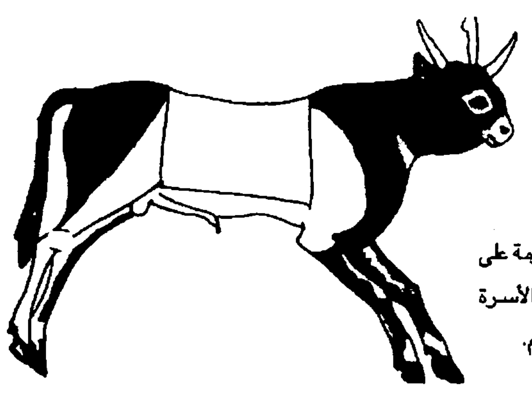
تبـدو أمثلة ارتباط الحيوانات ببعض الآلهة كثيرة ومتعددة؛ وكذلك أيضًا تصوير الآلهة فى هيئة حيوانية أو مهجنة. ولكن، عندما يجسد حيوان ما أحد الأرباب، فإن ذلك يعتبر أكثر نُدرة. ولعل الثور "أبيس" يُعد بمثابة المثال الأفضل توثيقًا بالأسانيد.

الثور والأبقار المقدسة

باعتبار الثور "أبيس" هو "البا" الخاصة بالإله "بتاح" بمنف، فإنه قطعًا متفرد ومتميز. ويتبين أن اختيار الحيوان المفترض شغله للوظيفة الإلهية، يخضع لمعايير وعلامات تشكيلية فائقة الدقة. ووفقًا لما ذكره "هيرودوت"، فإنه يجب أن يكون: أسود اللون، وتكون فوق جبهته علامة بيضاء اللون مثلثة الشكل؛ وكذلك توجد صورة نسر فوق ظهره، وأن يكون شعر ذيله متشعبًا[١]. ولكن الكاتب "إلين – Elien" من العصر الرومانى، يرى أنه يجب أن يبدو بما لا يقل عن تسع وعشرين علامة خاصة. وأهمها: مثلث من الشعر الأبيض اللون فوق الجبهة؛ وكذلك عدة أشكال هلالية الهيئة على جانبيه[٢]. وبالفعل، فإن الكثير من صور وأشكال "أبيس" خلال العصر المتأخر، تبين حيوانًا ذا جلد أسود اللون، وبقعة بيضاء كبيرة على بطنه، تمتد إلى كتفيه وأعلى فخذيه (شكل ١١٩)[٣].

وعلى ما يبدو، أنه كان أمرًا استثنائيًا أن يكون لـ"أبيس" خليفته عجل أنجبه من صلبه. ولذلك، فربما قُبيل وفاته؛ أو عندما يموت، يتحتم على الكهنة البحث عن بديل له. ويضيف "إلين"، فى هذا الصدد؛ قائلاً: عندما يُذاع خبر "مولد الإله"، كان الكهنة يُهرعون للتأكد من أن الحيوان يتطابق تمامًا بالمعايير المطلوبة. وإذا تحقق ذلك، يتم

وضعه فى دار خاصة؛ حيث تقوم "المرضعات" بإرضاعه، طوال أربعة أشهر.. ثم بعد ذلك، يُنقل على متن مركب إلى منف.



١١٩- الإله أبيس يعدو - وحدة زخرفية مرسومة على تابوت من الخشب المطلى بالجص وملون - من الأسرة السادسة والعشرين - حاليًا فى متحف هيلدزهايم.

وها هو وصف آخر، يكاد يكون مختلفًا اختلافًا طفيفًا، وقد ذكره الكاتب اليونانى "ديودور"، حيث يقول: حالما يتم اختياره، كان أبيس الجديد يُمضى فترة "مدة كتمرين" مداها أربعون يومًا فى مكان يُعرف باسم "ثيلوبوليس" (لم يُحدد موقعه تمامًا حتى الآن). بعد ذلك، يُنقل، فى فترة اكتمال القمر، إلى "منف". وهناك، كان مقره على مقربة من معبد "بتاح". حيث توجد ساحات للهو، ومجالات للجرى، وأماكن لأداء التدريبات، ودور بداخلها "عجلات بقر جميلات". ولكن، يقول بعض الكتاب الآخرين: إنه كان يحظى بحريم من البقرات المنتقاة. وآخرين يرون، أنه لم يكن يخصص له سوى "زوجة" واحدة فقط لا غير. وعادة، يُعين من أجله خصيصًا بعض الخدم التابعين للكهنوت. كما ذكر "إلين" أيضًا: أن المراسم كانت تؤدى بمناسبة تجلى الإله؛ وذلك من خلال المواكب، والأغانى، والرقصات، والولائم؛ بل وكل مظاهر البهجة فى كل أنحاء البلد.

وكان من المسموح زيارة الثور فى مجاله المُسَوّر هذا. ويحكى "سترابون": أنه كان يُطلق زمامه بالفناء، فى ساعات معينة. وبعد تركه يرتع ويلهو، يُعاد إلى حظيرته[٤]. ويتبين أن المسئولين كانوا يولون عناية فائقة بغذائه ورعايته والعناية به: حمامات بالمياه الدافئة، وعطور، وزينة بكل الأنواع والأشكال.

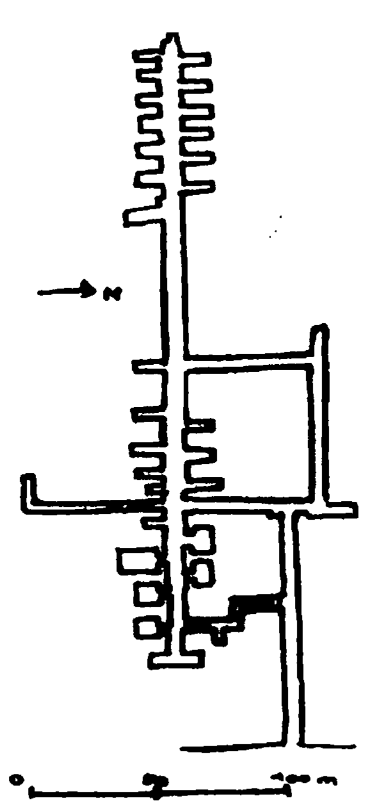
ولا يُستبعد أبدًا أن "أبيس" كان يقوم بمهمة وسيط وحى. فقد عُثر فى سقارة، على شارة أحد المنجمين الذى يذكر أنه يفسر الأحلام "بأمر من الإله": فلا بد إذًا أن الأمر يتعلق هنا بالثور "أبيس"، حيث مُثِّل فوق الشارة بعلاماته المميزة (لوحة ٣٢)(٥).

وبصفته قريبًا من أوزيريس، كان "أبيس" يتميز مثله بمظهر مزدوج: من ناحية، ارتباطه بعالم الموتى، ومن جهة أخرى، اندماجه مع خصوبة الأرض، وخصب الرجال والحيوانات. ولا شك أن هذا المظهر الأخير يرجع إلى فجر التاريخ المصرى: فمنذ الأسرات الأولى، كان الملك يمثل فى شكل ثور يُجسد المقدرة المخصبة؛ وفى الحين ذاته القوة الكاسرة. ووفقًا لما ذكر "ديودور": أن هذه المقدرة تفصح عن أن الثور "أبيس" الجديد، عندما كان يمكث فى "ثيلوبوليس"، قبل ذهابه إلى منف، كانت النساء يتقدمن نحوه ويرفعن أثوابهن عاليًا، على أمل أن يحملن قريبًا(٦). وخلاف ذلك، فإن ارتباط الملك مع الثور "أبيس" يرجع إلى أزمنة موغلة فى القدم. وبذا، فبداية من الأسرات الأولى، عندما كان الملك يُحيي عيدًا ما، كان يرافق خلال عدوه الثور. وهذا ما يمكن رؤيته فوق ختم خاص بالملك "دن". ولقد تكرر هذا المشهد من خلال الكثير من الصور والأشكال والرسوم؛ وتمثال: فوق المقصورة الحمراء الخاصة بالملكة "حتشبسوت" فى الكرنك (لوحة ٧٠).

ولقد ظهرت سمات "أبيس" المقدسة على أمه. وعُرف أن مولده كان بمثابة معجزة: "يقول المصريون إن برقًا هبط من السماء فوقها (البقرة). وخُصبت بوساطة هذا البرق؛ وبالتالى أصبحت أمًا لأبيس"(٧). والجدير بالذكر، أنها كانت موضع عناية ورعاية خاصتين حتى لحظة دفنها، بل وخلاله: حيث تُدفن فى جبانة خاصة بها: "جبانة البقرات أمهات أبيس"، فى شمال سقارة.

وعندما يموت الثور، كان يُدفن فى "السيرابيوم". وهو ناووس فسيح المدى، تم اكتشافه فى سقارة من جانب "ماربيت"، فى عام ١٨٥٠ (شكل ١٢٠). كما تضم سقارة الكثير من جبانات الثيران أبيس. وخلال الحقبة الأولى الواقعة ما بين عهد أمنحتب الثالث والعام الثلاثين من حكم رمسيس الثانى، كانت المقابر فردية. ثم، فيما

بعد، وحتى العام الثانى والخمسين من حكم بسمتيك الأول (٦١٢ ق.م. -)، أصبحت تُجمع معًا فى دهليز تحت الأرض (حاليًا، لم يمكن الوصول إليها). وبداية من (٦١٢ ق.م.) أُعد نفق أكبر مساحة بحيث يكون عموديًا بالنسبة للسابق. واستُعمل حتى أواخر العصر البطلمى. ولقد حظى معظم الثيران التى دُفنت فى هذه الجبانة الأخيرة، بداية من حكم "أمازيس"، على توابيت رائعة أحادية الحجر، قد يصل وزن كل منها إلى سبعين طنًا. فى حين أن التوابيت فى الماضى، كانت تُصنع من الخشب؛ وأقل حجمًا (لوحة ٧١). وعادة، كانت التوابيت الحجرية توضع بداخل حجرات محفورة على جانبى دهاليز ضخمة وتغطى جدرانها بطبقة جيرية مصقولة.



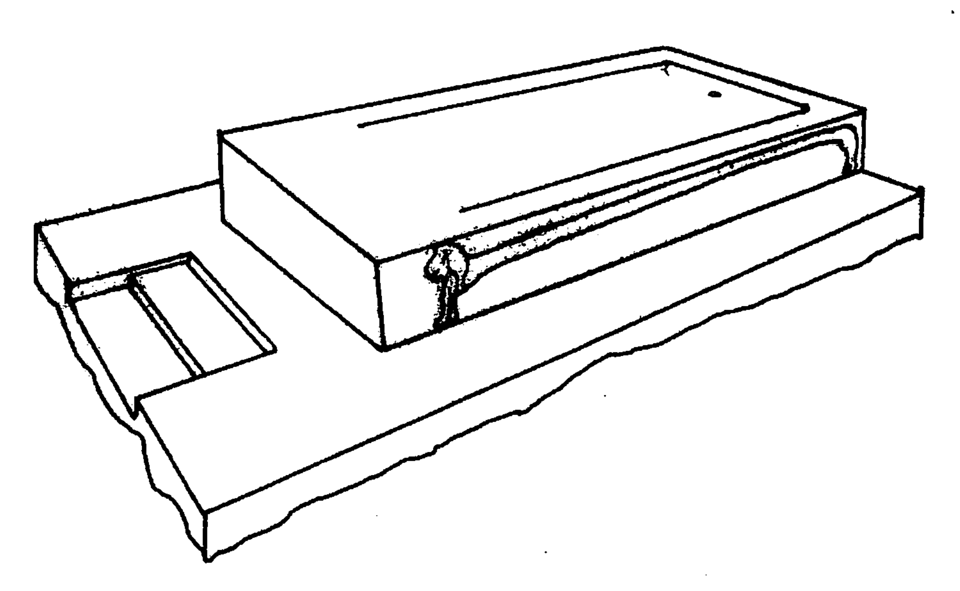
١٢٠- خريطة للسرابيوم (جبانة الثيران أبيس) فى سقارة - استخدمت من الأسرة السادسة والعشرين حتى العصر الرومانى.

وبعد وضع التوابيت بلحدها، كان يتم إقفال هذه الحجرات، وختمها. وربما كانت تُوضع لوحة عند المدخل، بأمر الملك، احتفاء بذكرى وفاة ودفن الثور. وقد تُهدى لوحات أخرى من جانب بعض الأفراد الذين ساهموا فى الجنازة؛ وتثبَّت فوق جدران ممر دخول السيرابيوم. وحاليًا: فُتحت جميع الحجرات، وجُردت الجدران من كسوتها، وسُلبت ونُهبت كل التوابيت. أما عن اللوحات، فقد حُفظت فى مختلف المتاحف (لوحة ٣٢).

لقد صُور بهاء "أبيس" بكل الأساليب؛ ولكن، فى معظم الأحيان، فى صورة ثور سائر فى طريقه. وأحيانًا، قد يُمثل مسجيًا فوق الزلاجة التى تنقله إلى الجبانة. وفى بعض الأحيان، قد يُرى فى مظهر إنسان واقف؛ ذى رأس ثور. وبفضل تلك اللوحات، عُرف مدى امتداد عمر الأبيس؛ الذى قد يصل إلى عشرين عامًا، كما هى الحال لأحد هذه الثيران الذى مات إبان الأسرة الثانية والعشرين. وبداية من الأسرة السادسة والعشرين، كانت كل لوحة من اللوحات تتضمن ثلاثة تواريخ: تاريخ مولد الحيوان، وذلك الخاص بتنصيبه، ثم المتعلق بموته. وبالإضافة لذلك، كان يُسجل أيضًا المدى الدقيق لحياته: بالأيام، والأشهر والسنوات.

حتى الأسرة السادسة والعشرين، لم تكن الثيران تُحنط بطريقة حسنة. ولم تكن التوابيت الأكثر قدمًا؛ التى اكتُشفت، بدون أى إتلاف، تحوى سوى بقايا من العظام المحطمة. ومع ذلك، فإن بعض الأوانى الكانوبية، التى ترجع إلى الفترة الواقعة ما بين الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، تُقر وتُثبت ممارسة نزع أحشاء المومياء بداية من تلك الحقبة[٨]. وقد يُعتقد، أنه، كما كانت الحال خلال الدولة القديمة، بالنسبة للمومياوات البشرية: كانت معروفة تمامًا ممارسة استخراج الأحشاء. ولكن، ربما لم تكن قد رُكزت وضُبطت الأساليب التى تسمح بحفظ الجسم كاملاً مكتملاً. وعلينا قطعًا، أن نُقر، بأن تحنيط حيوانات بمثل هذا الحجم الهائل كان يقتضى وقتًا طويلاً، ويصعب ضبطه تمامًا.

وما زلنا نستطيع الآن، أن نرى، بساحة معبد "بتاح" الموائد الرائعة، الخاصة بتحنيط الأبيس. وقد نُحتت بأحجار أحادية من المرمر (شكل ١٢١)، وزُينت جوانبها بسيقان ورؤوس أسود تعتليها، مثل الأسرة الجنازية، التى تُرى دائمًا من خلال صور ورسوم زخرفة المقابر البشرية، والتى قد تتراءى أحيانًا مُقطعة ومُجزأة إلى حد ما. وهناك أيضًا موائد أخرى، أصغر حجمًا، ربما أنها كانت مخصصة لمعالجة الأحشاء. ولاشك مطلقًا أن تحنيط الثيران؛ كان أكثر صعوبة مما هو عليه بالنسبة للبشر. وقد يرجع ذلك قطعًا إلى كميات الماء والدهون التى يجب استخراجها من جسم الحيوان، والتى ربما قد تتطلب، فترة أطول بكثير لنقعه فى "حمام" النترون، على عكس الإنسان.



١٢١– مائدة التحنيط الخاصة بالعجل أبيس – منحوتة من الحجر الجيرى، من الأسرة السادسة والعشرين.

بدءًا من الأسـرة السـادسـة والعـشـرين، حظت الثـيران على تحنيط أكـثـر دقـة وصـواب. ولكن، لم يكن فى الإمكان أبدًا عـمل بحث علمى حـديث بخـصـوص بقـايا الأبيس. وعلى أية حال، توجد بعض التقارير عن تنقيبات "مارييت" الذى عبر عن أحوال حـفظها المتـدهورة. وبالإضـافـة لذلك، وباستـثناء مـقـبرتين لأبيس ترجـعـان إلى عـهـد رمسيس الثانى، وأخرى لـ"حور مـحب"، فإن بقية المقابر التى عُرفت حـاليًا، قد سلُبت ونُهبت بقسوة وعنف؛ أما الباقية فقد أُضرت وخُربت.

ففى واقع الأمر، أن الثيران كانت قد زودت تزويدًا فـخمًا بالمصوغات والتمائم. وها هو "مـارييت" يصف اكـتشـافـه لأبيس مـات إبان حكم "حور مـحب": "... " تبينت بداية رأس ثور. وأسـفلها، تراءت كتلة سـوداء اللون، لتكون بمثـابة مسند لها. فـعملت بداية على تـحـريك رأس الثـور التى لم تكن ملتـصـقـة بأى شىء. ولاحظت أنـها سلُخت تمامًا من جلدها. بعد ذلك، أخذت أتفحص الكتلة السوداء، فوجدت أنها مكسوة تمامًا بقماش فـائق الرقة والنعومة؛ ولم أجد تحتـها سـوى كومـة بسيطة من القـار أو الزفت العطرى، خُلط بقطع صغيرة من الذهب؛ وبعض العظام الضـخمة، والصـغيرة؛ قد حُطم معظمها".

وفى الحين ذاته، نجد أن إحدى البرديات المحفوظة فى "فيينا"، حيث كُتب جزء منها بالهيراطيقية، والآخر بالديموطيقية، وأُرخت بأواخر العصر البطلمى، تقدم بعض المعلومات المحددة عن الأسلوب المُتبع(٩). فيلاحظ، بداية أن الحيوان الميت يجب أن يوضع فوق مائدة تحنيط؛ أو فى واقع الأمر منضدة تقطيع وتجزأ (شبيهة جداً بموائد التشريح الحالية)، فى قاعة مخصصة للعمليات الأولية، وتتضمن هذه الأخيرة عملية استخراج نواة العين – فإن فص العين، كان يُستبدل، بعد ذلك، بعينين صناعيتين من قماش كتانى – ثم، يتم استخراج المخ؛ وكذلك بصفة خاصة الأمعاء. وكانت هذه العملية الأخيرة، تتم بعد شق الجانب الأيسر، كما هى الحال بالنسبة للآدميين؛ حتى إذا لم تكن القناة الشرجية، سوف تُستأصل.

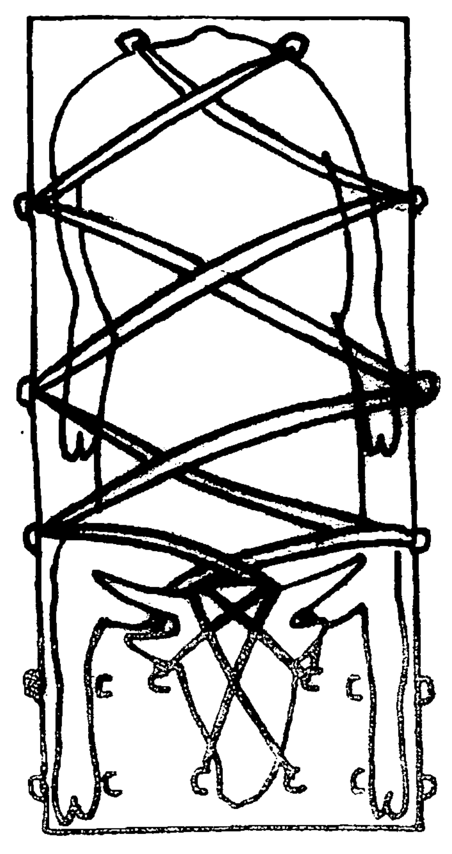
وعند استخراج الأمعاء، كانت تُحنط وتوضع فى إناءين. والقلب أيضًا، بعد رفعه، يُحنط ويرجع إلى موضعه. أما تجويف الصدر والبطن، فكان عندئذ، يُملأ بأكياس صغيرة تحوى خليطًا من نشارة الخشب والنترون. ويبدو أن مجموع تلك العمليات كان يُفترض استمراره طوال اثنين وخمسين يومًا. وأخيراً، فإن الجسد الذى لم يتبق منه سوى الجلد والعظم، كان يُنقل إلى قاعة "الربط بالضمادات"؛ حيث أُعد سرير من الرمال مغطى بحصيرة من البردى. وهنا، تتدخل مجموعة كاملة من المستخدمين. فها هو "المشرف على السر" الذى كان يقوم بدور "أنوبيس"؛ بمساعدة كاهن، كان مسئولاً عن تحنيط الرأس. وفى ذات الحين، كان أربعة من "الكهنة المرتلين"، يؤدون أيضًا دور المحنطين. وجلس جميعهم حول الحيوان عند مستوى كل من قوائمه.

قبل بدء عملية ربط الضمادات لكل من أجزاء الحيوان، كان يتم تكليسه بواسطة الزيت. وكذلك، يُوضع فى التجويف الفموى خليط من عسل النحل، والمُر والصبر، وراتنج الربتين. كما تذكر البردية ممارسة ما، قد تبدو لنا غير عادية، ألا وهى: خلع سنتين، يُحتمل أنهما قاطعتان؛ وتوضع مكانهما سنتان صناعيتان. ولا ريب أن هذه العملية ترمز إلى تجدد وإحياء الأبيس؛ محاكاة لسقوط الأسنان اللبنية، وإحلالها بأسنان دائمة(١٠). وعن الربط باللفائف، الذى يُجرى بعد ذلك، كان على ما يُعتقد يستمر ستة عشر يومًا. وبالقطع، كان يتطلب كمية هائلة من القماش. وتُحدد البردية

مؤكدة: أن اللفائف قد يصل طولها إلى مائة أو مائتى ذراع (حوالى خمسين أو مائة متر). أما عرضها، فحوالى إصبع وثلاثة أرباع أو أربعة أصابع (ما بين ثلاثة سنتيمترات إلى ثمانية). وبالنسبة لقوائمه، فقد ثُنيت. وعن القائمتين الخلفيتين، فقد أُبعدتا عن الجذع، وخُلعت حوافره، لتحل مكانها أخرى صناعية، يُحتمل أنها ذهبية (إلماحًا إلى أغطية الأصابع الذهبية التى كان يلبسها الفراعنة وكبار القوم). وقد يُغطى الرأس بقناع من معجون المرمر الذهبى، وعيون صناعية من العجائن الزجاجية. كما يمكن تثبيت قرص من الخشب المُذهب ما بين القرنين.

وهكذا، فقد أُعدت المومياء. وتبدو وهى مثبتة بكل قوة فوق لوحة خشبية بواسطة لفائف تمر من خلال بعض المسامير المنثنية المُوتدة باللوحة الخشبية (شكل ١٢٢). ولم يكن يتبقى سوى إنزال هذا الكيان، بواسطة عدة حبال لكى يستقر فى جوف التابوت.

كان سياق وتسلسل الجنازات يتماثل بالطقوس البشرية: وكانت تؤدى أيضًا مراسم "فتح الفم"، قبل وضع التابوت فى اللحد. ومن المعروف أيضًا أن الناحبات كُن يساهمن فى مناسبة الدفن؛ وبوجه خاص، امرأتان شابتان، يُفترض أنهما تمثلان الربتين إيزيس ونفتيس. وتقدم بعض البرديات اليونانية المستمدة من سيرابيوم منف، فى القرن الثانى، قصة هاتين الأختين التوأمتين (Taous et Thous) وهما يتيمتا



١٢٢– مومياء أبيس من الظهر – نقلاً عن كتاب فوس: شعائر تحنيط أبيس، شكل ٩ .

الأب؛ وتخلت عنهما أمهما. وقد تم إيواؤهما فى السيرابيوم، لكى تقوما بدور الإلهتين(١١). وفوق إحدى اللوحات، يُصرح الأمير "بسمتيك" بن أمازيس (القرن السادس) بأنه قد التزم بالحداد عند وفاة الأبيس. بل وصام طوال أربعة أيام؛ ولم يتناول سوى الخبز والماء وبعض الخضراوات خلال السبعين يومًا التى تمر، ما بين بداية عملية التحنيط ودفن الأبيس. ثم ها هو نص منقوش فوق لوحة أخرى بالسيرابيوم، يتعلق بموت ثور فى العام الثالث والعشرين من حكم "أمازيس" (الأسرة السادسة والعشرين – ٥٤٧ ق.م):

> "[.. ..] لقد تمت جميع المراسم من أجله فى دار التطهير [.. ..] ونُحت تابوت كبير من الحجر [.. ..]. وصُنع من أجله كفن من قماش "سرى"، جُلب من المدينة المقدسة "سايس"، لتوفير حمايته. ومصوغاته صُنعت من الذهب وكافة أنواع الأحجار النفيسة [.. ..] إن جلال هذا الإله (أبيس) قد صعد إلى السماء فى العام الثالث والعشرين، فى اليوم السادس من سابع شهر [.. ..]. وكان مدى حياة هذا الإله: ثمانى عشرة سنة وستة أشهر".

وعن تكلفة الدفن الخاصة بـ"أبيس"، فقد كانت باهظة للغاية. وكان الملك يقدم، غالبًا بعض المعونة والمساهمة. وهذا ما تذكره الكتابات؛ كما هى الحال بمراسم "كانوب" ومنف خلال حكم بطلميوس الثالث، وبطلميوس الخامس. وخلال العصر المتأخر؛ فربما أن الضرورة كانت تُحتم على عدة معابد المساهمة فى هذه التكاليف.

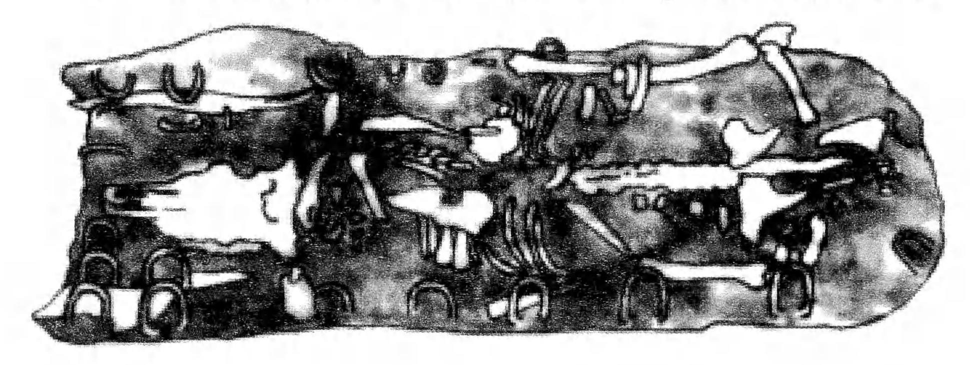
بعد موته، يتحول "أبيس" إلى أوزيريس، من خلال مراسم: "أوزيريس–أبيس" أو: أوزورابيس". ومن خلال هذا المنطلق؛ قد يمثل فى شكل إنسان له رأس ثور. ومع ذلك، فبوساطة اسمه الهلينى "سيرابيس"، اتخذ تمامًا المظهر الإنسانى لإله يونانى، على نمط "زيوس" أو "أسكليبيوس". ولقد أوضحت الصلة الوثيقة ما بين "أوزيريس" و"سيرابيس"، و"أبيس" بمعبد "دوش" (فى واحة الخارجة)، فى أوائل الحقبة الإمبريالية؛ حيث تبين النقوش البارزة أوزيريس؛ وهو يوجه إهداء تكريس الصرح إلى "سيرابيس"؛ أما النذور، فهى تمثل الثور أبيس.

وهناك ثيران أخرى قد اعتُبرت أيضًا كصورة حية لأحد الآلهة، ومن هذاالمنطلق، لقيت العناية والرعاية اللازمتين. وهكذا كان الأمر بالنسبة لـ"بوشيس" الذى جسد "البا" الخاصة بالإله "مونتو" فى هيرمونثيس"، جنوب طيبة. وكان، فى ذات الحين، بمثابة التجلى الجسدى للإله لـ"رع" و"أوزيريس". وكما هى الحال بالنسبة لـ"أبيس"، كان يتم اختياره وفقًا لمعايير تشكيلية محددة: فيجب أن ينتمى إلى نوع ذى قرون قصيرة؛ وحدبه على نفس مستوى الحارك (ما بين العنق والصهوة). وأن يكون لونه أبيض؛ ورأسه سوداء اللون. وعلى غرار أبيس، كانت الثيران البوشيس تُحنط هى الأخرى. ثم تُدفن بداخل سراديب سفلية؛ تم اكتشافها فى عام ١٩٢٦ بـ"أرمنت" (هيرمونثيس)، على مقربة من معبد "مونتو". وترجع هذه الجبانة إلى الأسرة الثلاثين. ويتماثل تخطيطها بالدهليز الهائل الخاص بـ"أبيس" في سقارة. فهى تتضمن خمسًا وثلاثين مقبرة؛ بدت أعمال سلبها ونهبها أقل مما حدث فى السيرابيوم. وُزعت تلك المقابر على جانب الديماس (دهليز).

ولقد قدمت تلك المقابر الكثير من المعلومات عن تحنيط الثور. فقد عُرف أن الأحشاء لم تكن تستخرج من خلال شق بجانب البطن. بل بالأحرى، تُعالج عن طريق المجرى الشرجى. فهذا ما تؤكده الأدوات التى عُثر عليها ضمن الأثاث الجنازى: بعض المعدات والأوانى ذات الأنابيب البرونزية؛ التى تسمح بحقن مواد مذيبة.

وعادة كانت الثيران تقدم راقدة، منثنية القوائم أسفل الجسم. وتثبت فوق لوحة خشبية ضخمة مثبتة تمامًا بواسطة أشرطة من القماش التى تمر من خلال كلاَّبات معدنية مُوتدة فى اللوحة. وغالبًا، يغطى رأس الحيوان بقناع ذهبى به عينان مرصعتان. وقد تُوج بقرص تعتليه ريشتان عاليتان مثبتتان بين القرنين. وهذه بالضبط، الصورة ذاتها التى تشاهد فوق اللوحات المستمدة من الجبانة (لوحة ٣٤). وتبين إحداها "أغسطس"، وهو يقدم "قربان الحقل" للثور: إنها تسمح بملاحظة المسافة الشاسعة ما بين الدعاية الرسمية، والواقع الفعلى؛ حيث يُعرف أن هذا الإمبراطور المقبل، خلال وجوده بمصر قد رفض زيارة الثور "أبيس"؛

وقال: إنه "يعبد الآلهة وليس الثيران"(١٢). وهناك لوحة أخرى، تبين الإمبراطور "ديوكلتيان" وهو يقدم قربانًا لـ"بوخيس"، فى عام ٢٨٨ م. ولا شك أن هذا التاريخ يُعبر عن طول مدى ممارسة هذه العبادة. وكما هى الحال فى سقارة، بالنسبة لمقابر البقرات أمهات "أبيس"؛ تطابقت فى "أرمنت" مقابر البقرات أمهات "بوخيس" (شكل ١٢٣).



١٢٣– هيكل عظمى لبقرة أم "بوخيس" – جبانة أرمنت، المقبرة رقم ١٤ .

لقد أُقر بالسمات المقدسة التى يتمتع بها الثور "منيفيس" فى هليوبوليس. حيث كان يعتبر التجلى الحر لـ"رع". وبصفته هذه، كان يصور بقرص الشمس وأوراوس بين قرنيه. وهنا يتعلق الأمر بثور أسود اللون تمامًا، وقد تناثرت عدة سنابل فوق جسده وعلى ذيله. وربما أنه، على غرار أبيس، يقوم بدور وسيط الوحى. ولقد عُثر على مقبرتين اثنتين فقط للثور "منيفيس"، بجوار أحد المعابد المندثرة فى هليوبوليس. إنهما بمثابة سراديب دفن مكسوة ببلاطات؛ وترجعان إلى عصر الرعامسة. وكانتا لا تزالان تحويان بعض الأوانى الكانوبية. ولكن، بم يُعثر على بقايا هذه الثيران؟ ومع ذلك، فمن المحتمل أن أساليب التحنيط ولف الأربطة التى كانت تؤدى من أجلها، قد تطورت بشكل مماثل لتلك المتبعة للثور "أبيس".

عامة، لم نُحط علمًا إلا بالقدر اليسير من المعلومات عن ثور آخر. إنه (Pakaou) الصورة الحية للإله "حور آختى"، فى هربيط بشرق الدلتا (على بعد حوالى عشرين كيلو مترًا شمال شرق الزقازيق). وهناك عُثر على جبانة بداخل ساحة مُسورة بسياج من

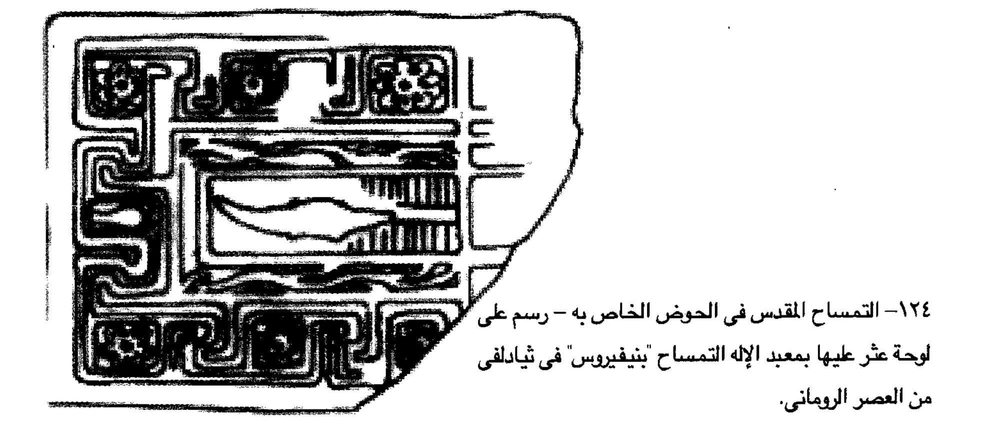
قوالب الطين اللبن. وقد تضمنت العديد من التوابيت المُعدة من أجل استيعاب مومياوات الثيران المقدسة؛ التى قد ترجع بالنسبة لأقدمها عهداً، إلى الأسرة السادسة والعشرين.

التماسيح المقدسة

كُرست الكثير من مواقع العبادة من أجل "سوبك"، الإله التمساح. ولا شك أن التمساح، ضمن الحيوانات التى عاشت فى مصر خلال العصر التاريخى، كان الأكثر إثارةٍ للرعب والخوف. ولكن المصريين لم يُجمعوا معًا، بخصوصه على رأى موحد. ففى بعض الأحيان، كان يبدو كقوة نافعة خيِّرة، ترتبط بالشمس والمياه المخصبة (هكذا كان شأن الآلهة التماسيح بالفيوم). وفى أحوال أخرى، يتراءى كمخلوق مرعب رهيب، قد يتطابق، تقريبًا بـ"ست" عدو الآلهة، وقوة الخواء والفوضى. ومن خلال التراتيل الشعائرية، يُشار إليه باعتباره: الإله "اللطيف المُحيًّا، المفعم حبًا، الجميل المظهر، المتألق الألوان". وضمن أسمائه العديدة فى الفيوم خلال العصر اليونانى-الرومانى اسم: "بنيفيروس - Pnéféros" ويعنى: "الوسيم الخِلقة".

وبدءًا من الدولة الوسطى، كُرست له أماكن عبادة فى الدلتا والفيوم. وفى الدولة الحديثة، خُصص له معبد مهم فى "سومنو" على مقربة من "هرمونثيس"، جنوب الأقصر (لوحة ٢٧). وخلال العصر البطلمى، كان معبده الرئيسى، على مقربة من ذاك القائم فى "كروكوديلوبوليس" عاصمة الفيوم، التى تحمل اسمه، هو معبد "كوم أمبو". ويلاحظ أن مبناه الذى بدأ فى القرن الثانى قبل الميلاد، قد بقى حتى القرن الثالث الميلادى. وربما، فى معظم المعابد الكبرى المكرسة لـ"سوبك"، كان يوجد تمساح، يكون بمثابة "صورة حية" للإله. وفى "ثيادلفى" خلال العصرين اليونانى الرومانى، صورت اللوحات، هذا الحيوان محدداً فوق ناووس صغير. وأمامه وقف أحد الكهنة مقدمًا لقربان، أو مؤديًا حركة تعبد وابتهال. ثم لوحة أخرى تبينه وهو يسبح فى حوضه (شكل ١٢٤).

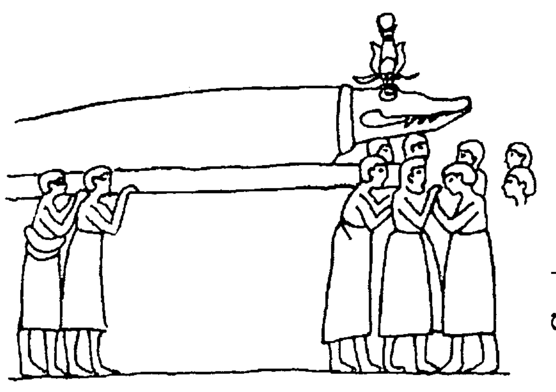
وكذلك، تشير إحدى الكتابات اليونانية، بتمثال من الجرانيت للإله التمساح بيتيسوخوس (Petesouchos) المستمدة من "كروكوديلوبوليس" ومؤرخة بـ١٦ أبريل، عام



١٢٤– التمساح المقدس فى الحوض الخاص به – رسم على لوحة عثر عليها بمعبد الإله التمساح "بنيفيروس" فى ثيادلفى من العصر الرومانى.

(٥٨ ق.م). إلى اليوم الذى تجلى فيه الإله؛ أى ٢١ يونيه عام (٦٠ ق.م). أو بالأحرى، اليوم الذى أُقر فيه بالحيوان الحى بين أمثاله: باعتباره تجسيداً للإله (لوحة ٧٢)[١٥].

وخلاف ذلك، ففى بعض معابد الفيوم، يبدو أن صورة الإله قد تمثلت فى شكل مومياء تمساح. وفى كارانيس (Karanis) بالمعبد الشمالى، تُرى الكوات العميقة التى كانت تتخذ كحاوية للمومياء الممددة فوق محفتها. وفى "ثيادلفى"؛ بخلاف الكوات المماثلة لتلك القائمة فى كارانيس (Karanis) تتراءى المحفة التى تحمل فوقه المومياء خلال الموكب. كما يقدم أحد المشاهد الجدارية بهذا المعبد منظراً للموكب ذاته: حيث يُرى التمساح متدثراً بكفن أبيض اللون؛ عارى الرأس التى تُوجت بالتاج الأوزيرى (شكل ١٢٥). وفيما عدا ذلك، كانت بعض المعابد تتضمن تربية التماسيح. وأكيد أن سمات القداسة بهذه الجيوانات لم تكن أمراً مشكوكاً فيه أبداً: فمن بينها، كان يجب اختيار الصورة الحية للإله. إن هذه التماسيح، قد استُؤنست إلى حد ما، واعتُبرت بالنسبة للرحالة الأجانب المارين بمصر بمثابة أعجوبة فعلية. وتذكر إحدى كتابات "سترابون"، أنهم كانوا يحضرون معهم بعض القرابين: مثل الحلوى والفطائر، ونبيذ العسل، حيث يقوم الكهنة بدسها فى خطم الحيوان. كما يقول "هيرودوت"، إن الكهنة كانوا يُزينون تمساحهم المقدس بالأساور والأقراط.



١٢٥- مومياء لتمساح محمولة فى موكب - رسم حائطى بمعبد الإله التمساح "بنيفيروس" فى ثيادلفى (الفيوم).

لقد عُثر على الكثير من جبانات التماسيح على مدى امتداد الوادى؛ فى "كوم أمبو"، و"إسنا"، و"جبلين"، و"طهنا"، و"والحيبة"، و"ليتوبوليس"، .. إلخ. وكانت بعض المومياوات فى حال طيبة للغاية، حيث احتفظ الحيوان بمظهره المميز. وربما أنها كانت مكتملة تمامًا، بل وبها بعض البيض؛ وأيضًا، أعداد كبيرة من الأجنة بنفس الغلاف. ولكن، على عكس ذلك، بدت غيرها فى حالة تحت المتوسطة. وأحيانًا قد تكون مجرد مومياوات مزورة. أو أكياس لا تحوى سوى بعض العظام المتناثرة بين كمية من القش؛ والهيكل عبارة عن أفرع نخيل. وظاهريًا، تبدو تلك المومياوات غالبًا فى حال جيدة، وقد زُودت بالضمادات والتغليف. ونجد أن الكثير من التغليفات، خاصة تلك المستمدة من جبانة التماسيح فى تبتينيس قد دُمرت من أجل استعادة البرديات الرومانية التى استُعملت لصناعتها. وربما أن التباين فى أنواع المومياوات قد لا يختلف كثيرًا عما يُلاحظ فى حال مومياوات القطط.

الكبش

اعتُبر الكبش بمثابة أقنوم لآمون، فى طيبة. ولكننا لا نملك حججًا قاطعة تؤكد وجود حيوان حى يجسد الإله. ولكن، عوضًا عن ذلك، فى "مندس" بالدلتا، صُور الإله المحلى، من خلال سمات حيوان يسمى "بانب جدت" أى "الكبش، إله مندس".

ويبدو أن هذا الجوهر الإلهى، الذى يفتقر إلى اسم علم، ولكنه كان يُعد بمثابة "البا" الخاصة بأوزيريس، بل والكثير من الآلهة الآخرين (رع، شو، جب)، قد أمكن مطابقته، سواء بالكبش أو التيس. أى بالتحديد: بحيوان تُعزى إليه، بصفة خاصة مقدرة وقوة مُخصبة.

ولقد ماثله الإغريق بـ"بان". ويقول أحد النصوص: إن الإله بتاح قد تمثل فى شكل كبش مندس. لكى يتلاقى جسديًا بالملكة، ومن منطلق هذا اللقاء، وُلد الملك: "رمسيس الثالث".

ويُحتمل أن اختيار الحيوان الممثل للإله، كان يتم وفقًا لمعايير محددة. ولكن، لم نُحط بها علمًا. وفى ذات الحين، تقدم إحدى الكتابات التى ترجع إلى عصر بطلميوس، الكثير من المعلومات عن "تجلى" هذا الأقنوم الحديث، وكذلك عن تنصيبه[١٦]. وفى هذه المناسبة، كان الكهنة الوافدون من جميع أنحاء مصر يتجمعون معًا. وبعد إتمام التثبيت للصورة الجديدة، وفقًا لما جاء بالكتابات، وعند انتهاء إعداد ساحته الفسيحة المُسورة، تبدأ مرحلة تنصيبه؛ ويُقام احتفال رسمى كبير.

وخُصص لهذا الحيوان مقر خاص، عُرف باسم "قصر الكباش": حيث تؤكد لوحة "مندس" أنه قد أُسس بأمر من الملك. ولا شك أن الأمر كان يتعلق بحظيرة ضخمة وساحة واسعة مُسورة متاخمة لها. وخلاف ذلك، نُحاط علمًا بأن الملك يتعهد بالتكفل بغذاء هذا الحيوان. وإلا فإن: "أى نقص فى مؤونته، يستتبعه عدد لا نهائى من المصائب والكوارث التى سوف تحل على البشر". ولكن، إذا أُرضى الحيوان، فسوف يتحقق الثراء والازدهار فى كل أنحاء البلد.

وكما هى الحال بالنسبة لـ"أبيس"؛ عندما يموت الحيوان، يتطلب الأمر البحث عن خليفة له. وعامة، نحن لا نعلم شيئًا عن طقوس شعائر الكباش (أو التيوس)؛ ولا عن كيفية تحنيطها. ومع ذلك، فإننا نعرف مكان جباناتها؛ حيث عُثر على توابيتها الحجرية؛ متراصة بجوار بعضها بعضا. ولكن، لسوء الحظ بدا معظمها مفتقرًا لأى نقوش أو كتابات. ولم نجد سوى بعض العظام المتناثرة هنا وهناك.

وهــناك كـبـاش أخـــرى حيــة، قـد مـثلت أحـد الآلهـة؛ وكـان ذلك، خـاصــة فى "إلفنتـين"، حـيـث يرتبط الكبش بالإله "خنوم" (شكل ١٢٦). وفى هذه الحــال أيضـًـا، ساهـم الحـيـوان فى مـجـال التناسل والتكاثر، فإن "خنوم" يُعد بمثابة إله خـلاق يصنع البشر فـوق مـخرطتـه؛ وكـذلك: "يضـع الخـصـوبة فى بطون النسـاء". ويحـتـمل أن كبش "إلفنتين" هذا؛ مثل حـيوان مندس، كان ينعم بسـاحـة فسـيحـة المدى مُسـورة ويحظى بمعاملة خاصة.



١٢٦- الإله خنوم برأس كبش - نقش غـائر من الأسرة الثامنة عشرة - حاليًا بالمتحف البريطانى.

ومع ذلك، فإن مـومياوات "إلفنتين" التى قام بدراسـتـها "ل. لواريه" و"س. جايار"، عبرت إلى حد ما، عن أن هذه الحيوانات لم تكن تتمتع بصحة جيدة. وقد يرجع ذلك إلى أحوال الحياة غير المناسبة(١٧)، التى كانت تعيشها. ولقد بدت الحيوانات، سواء ممددة على جنبها، أو فى وضع القرفصاء؛ وانثنت قوائمها أسفل جسمها. وقد حظت بتغليف بديع وجميل، ذُهب جزؤه الأمامى؛ وتضمن صدرية مزركشة، وعيونًا مُرصعة، وقرصًا مثبتًا ما بين القرنين (لوحة ٣٥).

الصقور المقدسة

كان الإله الصقر حورس، وهو من أكثر آلهة مصر قدماً، يحظى في العديد من المعابد بممثل حي؛ قد يبدو القانون والنظام الخاص به مغايراً عن ذاك المتعلق بالحيوانات المقدسة الأخرى. ولا ريب أن وضع المعبد البطلمي في "إدفو"، هو الأكثر وضوحاً، في هذا الصدد. ومع ذلك، فإننا لا نعلم الحقبة التي تم خلالها تعيين صقر حي؛ ولا نعرف أيضاً، عما إذا كان سابقاً لبناء هذا المعبد. وقد يرجع الاختلاف الأساسي بينه وبين الحيوانات المقدسة الأخرى إلى أن هذا الطائر كان يُبدل بآخر؛ في خلال سنة واحدة فقط.

ولدينا معلومات كافية عن أحوال اختيار وتنصيب "حورس" الحي الجديد[١٩]. فمرة كل عام، كان تمثال الإله، يُنقل بواسطة الحمالين من المعبد الرئيسي إلى "معبد الصقر الحي"؛ الذي يُحتمل أنه كان يقع بجوار مدخل الساحة المقدسة بإدفو. وعندئذ، كانت تقدم له الطيور "المشابهة لرع، من خلال ألوانها". والتي كانت تُربى بداخل حظيرة طيور. ومن بينها، كان سيُختار الطائر الذي سوف يجسد "البا" الخاصة به طوال سنة كاملة. وربما، قد نتخيل أن هذا الاختيار كان يتم بوساطة حركة التمثال الذي يتوقف أمام أحد الطيور[٢٠]. وهنا، كان الإله يقدم "روحه الحية" إلى جموع المؤمنين المحتشدة. وفي هذه اللحظة، ربما كانت تُعلن أسماء الحيوان الملكية. ثم يتم تنصيبه من خلال احتفال ضخم، طوال عدة أيام.

بعد ذلك، يُنقل الطائر إلى المعبد الكبير. وهناك، كانت تؤدى عدة طقوس متباينة: لكي تُستدعى نحوه حماية ورعاية آلهة إدفو؛ خاصة "حتحور"؛ وكذلك، حتى تُضفي عليه خصائص الملكية. وعن المرحلة الأخيرة بهذه المراسم، كانت تُقدم للطائر (وأيضاً لتمثال الإله الذي يتشابه به، على مدى الشعيرة كلها): مأدبة قرابين، تتبعها عملية تبخير. وبداية من هذه اللحظة، يحق للطائر أن يقيم في معبد الصقر. وتبين بعض الكتابات بالمعبد الرئيسي، أن الأمر يتعلق هنا؛ بأرض مُسوَّرة، ينتصب بداخلها بيت الطائر. ويتضمن قاعة فسيحة الأرجاء، بباب ذي مصراعين، ومقصورة بالجهة الخلفية. ولا يعلم

أحد شيئًا عن نمط الحياة التى كان يعيشها بداخله الصقر الإلهى. وكذلك، لم نُحط علمًا بما سيصبح عليه، بعد قيامه بوظيفته طوال عام كامل. ويُعتقد، أنه، عندئذ يرجع إلى حظيرة الطيور الجماعية. وعلى ما يبدو، أن الطيور التى كانت تُربى فى هذا المكان لم تكن جميعها صقوراً، فقد كان هناك أيضًا عدد من الكواسر الأخرى، مثل أبو الخطاف (الحدأة)، أو النسور: التى تستطيع القيام بالدور ذاته.

ويُحتمل أيضًا، أن أحد الصقور الذى اعتُبر كصورة حية للإله، كان يُرعى فى معابد أخرى غير معبد إدفو. وذلك، بصفة خاصة فى أتريب وفيلة. وفى هذا الصدد، يحيطنا "سترابون" علمًا، أن أحد الطيور الجوارح فى فيلة (لا يبدو فى شكل صقر)، قد عُبد طوال حياته. وأن خليفته، فى نهاية الأمر، قد جُلب من "إثيوبيا"[٢١]. ولقد مُثل الصقر حورس متوجًا فعلاً، فوق الجدران الداخلية للصرح الأول، بمعبد إيزيس فى فيلة[٢٢].

الأسد

يقول "ديودور": مثلما يمثل الثور الحى الإله فى منف وهليوبوليس، والكبش (أو التيس) فى مندس، أو التمساح فى الفيوم. وُجد فى "ليونتوبوليس" أيضًا الأسد الحى[٢٣]. وهذا الأسد، هو، فى واقع الأمر الإله "ماحس" وقد صُور فوق بعض اللوحات، وقد اعتلى رأسه قرص يعبر عن سماته الشمسية. وفوق إحدى هذه اللوحات: يُرى أحد الملوك البطالمة، وهو يقدم بعض القرابين للأسد الممثل فى وضع السير الظاهرى فوق قاعدة؛ وقد اعتلته عبارة: "الأسد الحى"[٢٤]. ثم نقش أيضًا نص يونانى، فى أسفل اللوحة يشير إلى: "المأوى المقدس لمقبرة الأسود". أو بمعنى أدق: "جبانة السباع الإلهية" التى لا بد أنها تقع فى "ليونتوبوليس".

الفصل السابع

حيوانات أضفيت عليها صفة التقديس

قطعًا، إن وجود الحيوانات المقدسة، مثل الثور أبيس، أو منيفيس، أو بوخيس؛ أو الكبش "بانب جدت" وهى الأكثر شهرة، لم يسمح، حتى من خلال ممارسات مستمرة بداية من حكم أمنحتب الثالث، وحتى أواخر الوثنية بأن يفسر الرقم المثير للعجب والدهشة للمومياوات الحيوانية التى اكتُشفت فى جميع أنحاء مصر !! وها هى الأجسام المُحنطة إلى حد ما، لقطط وكلاب وحيوانات النمس، وفئران الزبابة، والتماسيح، والصقريات من جميع الأنواع، والجُعول والقردة (أساسًا: البابون والذيالة)، والأسماك، وأيضًا السباع، بل وأفراس النهر أيضًا قد أُسجيت بداخل جبانات بأماكن متعددة؛ بداية من إلفنتين وحتى ساحل البحر المتوسط !

نرى إذن، أن المصريين كانت لديهم طائفة ثانية من الحيوانات التى زُعم أنها مقدسة. وقطعًا، إنها تتميز بقيمة متغايرة عن تلك التى أُضفيت على الحيوانات المتفردة التى لا نظير لها. وبذا، فإن "سترابون" فى كتابه: "الجغرافيا"، قد وضح هذا التمييز، ومع ذلك، فإنه لم يُدرك مدى عمقه. فقال: إن سكان منف يُبجلون أفروديت. وهناك تُربى وتُطعم بقرة مقدسة مثل الثور أبيس فى منف، والثور منيفيس فى هليوبوليس. وتعتبر هذه الحيوانات بمثابة آلهة. أما عن التى تُطعم فى أماكن أخرى (بمواقع متعددة، فى الدلتا وخارجها، تُغذى الكثير من البقرات والثيران)، فهى لا تُعد كآلهة .. بل إنها مقدسة فحسب".

إن تلك الحيوانات التى أُضفيت عليها القداسة، بخلاف الحيوانات المؤلهة، لم تكن، فى الواقع تحظى بأى قيمة إلا بعد موتها. فإنها، على مدى حياتها كلها، كانت لا تتميز عن بعضها بعضًا. وأيضًا لم تكن على صلة مباشرة بالآلهة.

ظهور وتطور الحيوانات التى أُضفى عليها التقديس

وفقًا لبعض الأدلة النادرة المنعزلة فحسب، يبدو أن بعض الحيوانات كانت موضع إجلال وتبجيل، منذ الدولة الحديثة. ولقد قدمت قرية الحرفيين بدير المدينة، فى مواجهة طيبة، العديد من اللوحات التى ترجع إلى عصر الرعامسة؛ وتمثل بعض العمال وهم يتعبدون فى آلهة متباينة، حيوانية الشكل. ويُلاحظ أن هذه الأخيرة، تُصاحب حيوانًا ما أو عدداً من الحيوانات التى تمثلها. وأكثرها عدداً تمثل ثعابين، إجلالاً للربة "مرت سجر"(٢)، التى تحظى بالتوقير والإجلال من جانب العمال فى نطاق معبد يقع على مقربة من الجبانة، على الطريق الذى يربط ما بين القرية ووادى الملكات. إنه لا يعدو أن يكون سوى نُصب صغير حيث تمثل المشاهد على جدرانها: حوالى عشرة ثعابين، بل ثمانية عشر ثعبانًا مصاحبة لصورة الإلهة (لوحة ٢٩).

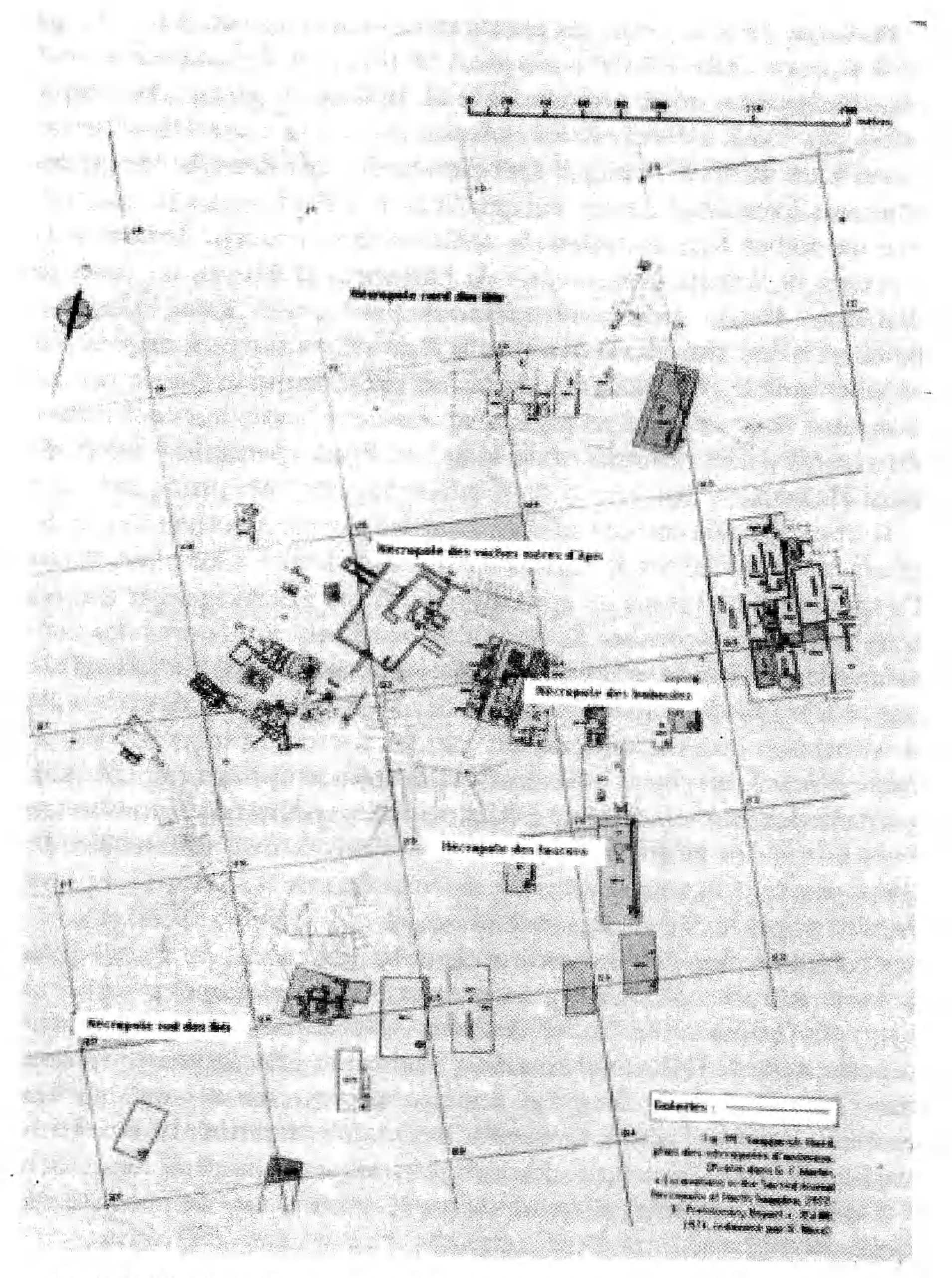
ويُحتمل أن بعض الاهتمامات الخاصة قد وُجهت إلى عدة أنواع من الزواحف التى تعيش على مقربة من القرية. وقد تكون هذه المظاهر على قدر من الأهمية؛ فإنها لا تعبر تمامًا عن المصير المتنقل غير الثابت لتلك الحيوانات. وهناك أمثلة قليلة على ذلك، ولكن، باستثناء تلك الخاصة بالحيوانات المتفردة الشأن. وها هى إحدى الأوانى(٣)، المجهولة المصدر؛ عليها كتابات هيراطيقية؛ وترجع إلى أواخر الأسرة العشرين: وتبين أن أحد الكتبة الذى يُدعى "حورى" قد وجد "أبيسًا" ميتًا فى قناة رمسيس الأول، فقام بلحده. وربما، أن هذه الحالة، بالنسبة لمعلوماتنا الحالية، تبدو منعزلة. وبذا، كان الأمر يستدعى الانتظار حتى نهاية عصر الانتقال الثالث(٤) لكى نتعرف على أمثلة أخرى تعبر عن إضفاء القداسة على الحيوان.

وهكذا، عُرف، فى مدينة تل بسطة بالدلتا، أن الإلهة "باستت" كانت تُبجل وتُوقر. وخلال الأسرة الثانية والعشرين، تشكلت فى هيئة القطة، واشتهرت بها. كما نجد أن جبانة السنوريات، التى تحدث عنها "هيرودوت"(٥)، ونقب بها "إدوارد نافيل"(٦)، تقع بغرب هذه المدينة. حيث قدمت الكثير من التماثيل الصغيرة البرونزية الصنع؛ تصور، خاصة الربة فى هيئة حيوانية، بوضع الراحة والاسترخاء، وهى تُرضع صغارها.

وعن هذه القرابين، فمما يثير العجب والدهشة، أنه لم يُعثر على مومياوات قطط .. ولكن، مجرد كم كبير من العظام بها آثار حرق . وما زال هذا الأمر، حتى يومنا هذا، بدون أى تفسير !. بل أن الكثير من الأوانى التى حوت بداخلها بقايا غير مُعدة أو مُجهزة لتلك السنوريات، قد زادت من الغموض والإبهام!. خاصة أن "هيرودوت" قد ذكر بالفعل، أن هذه الحيوانات كانت تُحنط !

ربما قد يبدو ذلك بمثابة الدلائل عما أصبح، فى نظر الجميع، بداية من الأسرة السادسة والعشرين كعُرف ومأثور مصريين. وبذا، فخلال الأسرة الصاوية، التى اتسمت بالفخامة والأبهة خلال العصر المتأخر: استقبلت الجبانات المخصصة لتلقى مومياوات الحيوانات التى أُضفيت عليها القداسة، مثل تلك القائمة فى "تونا الجبل": طائر الإبيس. أما فى الدلتا، فقد أفصحت الكثير من المواقع، عن صناديق حفظ برونزية، وتوابيت صغيرة تحوى مومياء ما. وفى "نوقراتيس": ثعابين وسحالى تكريماً لآمون. أو صقر حورس فى بوتو. وهكذا، فإن هذا الاتجاه الذى كان قد استهله الملوك الصاويون، قد اتسع مداه تدريجياً. وبذا، فإن العصر المتأخر قد تميز بهذه الظاهرة. وخلال الأسرة السابعة والعشرين، وملوكها الفرس، أُنشئت جبانة هائلة للقطط. حيث امتدت حوالى كيلو متر طولاً، فى نطاق كهف أرتميدوس، على مقربة من بنى حسن.

ومع ذلك، يبدو واضحًا أن أواخر الملوك المصريين، خلال الأسرة الثلاثين، هم الذين، أسبغوا الأهمية على هذه الظاهرة التى نلمسها. ففى تلك الفترة ذاتها تبين أن العديد من سراديب الدفن، التى قدمت لنا الآلاف من المومياوات؛ قد بدأت نشاطها الفعلى (شكل ١٢٧). وها هو أحد النصوص النادرة الذى تناول هذا الموضوع؛ وكان قد اكتُشف فى مدينة أتريب يُحيطنا علمًا بالمزيد من المعلومات عن موقف المصريين فى هذا المجال. وقد نُقش فوق تمثال المدعو "جد حر المنقذ" (لوحة ٥٢)، رئيس حرس أبواب "حورس خنتى ختى". وهو يتحدث عن نبذ الممارسات الجنازية المتعلقة بصقريات الإله، عند غزو الفرس[٧]، الثانى لمصر؛ ثم استعادتها ثانيًا بعد جلاء هؤلاء الغزاة.



١٢٧- خريطة توضيحية لمنطقة شمال سقارة تبين طبوغرافية جبانات الحيوانات. من عمل جمعية الاستكشافات المصرية.

وخلال عصر البطالمة، بلغت الحركة أقصى ذروتها. فها هو عدد كبير من أنواع الحيوانات المصرية أصلاً، قد حُنطت. وكذلك الأمر بالنسبة للأخرى النادرة، مثل الأسد في "ليونتوبوليس؛ وفي الدلتا، مدينة الإله "ماحس"؛ وفي سقارة: حيث عُثر، حديثًا على مومياء أسد مُسن، ضمن مومياوات قطط فائقة العدد، بمقبرة المدعوة "مايا"، مُرضعة الملك "توت عنخ آمون"[٨]. كما يبدو المثال المتعلق بقرد البابون موضحًا للغاية. فعلى ما يبدو أن هذا النوع من الحيوانات كان بالفعل قد اختفى من مصر. ولكن ربما أن هذا البابون، كان قد استُورد، أو رُبى في الأسر.

خلال عصر البطالمة وُجدت أعداد كبيرة من الجبانات والأماكن، حيث مثلت الحيوانات الإله المحلى. وقطعًا، تأثر الإغريق تأثرًا واضحًا. ولذا، فقد غيروا أسماء بعض البلاد إلى اسم الحيوان المرتبط بإله المكان: فنجد، على سبيل المثال أن "نخن" القديمة، حيث عُبد الإله حورس، قد أصبحت "هراكونبوليس". أما إسنا، فقد خُلع عليها اسم سمكة قشر البياض التى تُمثل الإلهة "نيت"، وأصبحت "لاتوبوليس". ثم هناك أيضًا: "سينوبوليس" مدينة الكلب؛ و"كروكوديلوبوليس" فى الفيوم، حيث كان يُعبد وسؤله "سوبك" الإله التمساح. وكذلك، "ليونتوبوليس" فى الدلتا، أى مدينة الأسد !

حياة الحيوانات التي أُضفيت عليها صفة القداسة

فى واقع الأمر، لا يمكن التحدث عن اختيار خاص يرتبط بالحيوانات التى تُضفى عليها صفة القداسة. خاصة، أنها لا تتماثل بالحيوانات المؤلهة، التى تُتوج، وتُساهم فى المراسم. ولكن، كان يمكن تخصيص أى حيوان، من فصيلة ما، فى بلد معين، لكى يمثل إله المكان. وبالتالى، يجد له مكانًا، بعد موته، فى جبانة مثل هذا البلد. وكأدلة على ذلك، يوجد الكثير من القطط إجلالاً لـ"باستت" فى تل بسطة؛ أو لـ"باخت" فى كهف أرتميدوس. وكذلك، هناك طيور "الأبيس" تبجيلاً لـ"تحوت" فى سقارة؛ وكذلك لـ"أنوبيس" فى سينوبوليس. كما توجد تماسيح "سوبك" فى كوم أمبو أو فى معظم أنحاء الفيوم؛ وكذلك أسماك "نيت" فى إسنا. بل هناك أيضًا بعض الحيوانات النادرة،

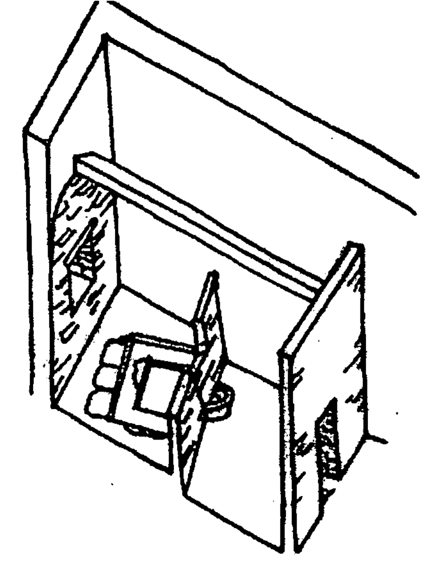
مثل: الورل (نوع من الزواحف) (لوحة ٣٨) حيث حُنطت إكرامًا وإجلالاً لـ"أتوم" فى "اللشت"(٩). وربما، فى مدينة أخرى خلاف "تل بسطة" لا يُصور قط ما أى اهتمام دينى. وبذا، فها هو "هيرودوت" قد بين قائلا: "بالنسبة لبعض المصريين، يُعتبر الحيوان مقدسًا؛ ولكنه ليس كذلك فى أماكن أخرى. بل بالعكس، إنه يُعامل كعدو(١٠).

بالقطع، كانت هذه الحيوانات ترجع إلى مصادر كثيرة محتملة، قد يصعُب تحديدها تمامًا بمجرد وجود مومياواتها فقط. ولا شك أنه كانت هناك بعض الوحوش الكاسرة التى يجب صيدها. فهكذا هى الحال بالنسبة لبعض التماسيح التى اكتُشفت فى كوم أمبو(١١): حيث بدت عليها فى لحظة اكتشافها، آثار الضربات التى تلقتها. وهكذا الأمر أيضًا بالنسبة للأسماك، التى كانت تُصاد كميات هائلة منها، ثم توجد كذلك بعض الحيوانات المفترسة التى قد يُعثر عليها ميتة فيتم أخذها، كما حدث بالنسبة لأحد الـ"أبيس" فى عصر الرعامسة.

ومن بينها، وُجد أيضًا العديد من الحيوانات الآتية من بعض مجالات التربية، حيث أُحطنا ببعض مظاهر حياتها اليومية. عمومًا، إننا لم نعلم قط حتى الآن، إلا إذا اكتشفنا فى يوم ما، أحد النصوص التى قد تذكر أن شخصًا ما قد أراد إجلال وتبجيل إله مدينته، فقدم له المومياء التى أعدها وجهزها. لحيوانه الأليف ! ويتراءى أن جزءًا كبيراً من المومياوات التى وصلت إلينا، كان مصدرها مواقع التربية التى قد تكون هائلة ضخمة. وأحيانًا، لا تبعد كثيراً عن سراديب الدفن؛ كما هى الحال فى سقارة.

ولا بد أن كلاً من هذه الحيوانات، كان يحظى بالمكان المناسب لمتطلباته. ففى تونا الجبل، بمصر الوسطى، كانت القردة الذيالة، التى تُربى بها (تلاشى هذا النوع منذ زمن بعيد من البلد)، على ما يبدو تنعم ببستان تصطف فى أنحائه أشجار نخيل الدوم(١٢): الشجرة المقدسة لـ"تحوت". وعن أسود ليونتوبوليس، فكانت تحظى بغذاء مُرفَّه وفخم؛ هذا إذا صدقنا ما قاله "إلين – Eline"(١٣)، فى هذا الشأن: "إنها تنعم بمعابد ومساحات كبيرة تتجول بها. كما توجد حجرات مواجهة لبعضها بعضًا.

ونوافذ بعضها تفتح على الشرق، وأخرى على الغرب، لتغدوا الحياة بالنسبة لها أكثر بهجة وسروراً . ومن أجل الحفاظ على صحتها، هُيئت لها أماكن للتمرين، وأخرى قريبة للنزال. وعادة، يكون غريمها عجلاً حسن التغذية". أما عن الإبيس، فهى من الأنواع التى حظينا عنها بأكثر المعلومات أهمية. وكان لها، فى تونا الجبل(١٤) بحيرة تقع خلف معبد تحوت. وكانت هذه البحيرة وضفافها بمثابة موقع لصنع الأعشاش؛ تمامًا، مثل بحيرة أبو صير. حيث كانت تُربى الطيور التى وجدت مُحنطة فى سقارة. ووفقًا للأرشيف الذى تركه أحد الكهنة الذى عمل خلال القرن الحادى عشر، ويدعى حور من سمنود، كانت توجد جزيرة صغيرة تضم مقصورة مواليد(١٥). ويُحتمل أن هذا التعبير يومئ إلى واقع كان يعرفه المصريون فى تلك الفترة، أى: الاستعانة بالحضانات الصناعية(١٦). ولقد أُقر هذا الأسلوب تماماً، من خلال اكتشاف حديث فى مدينة ماضى (شكل ١٢٨)(١٧). فعلى مقربة من معبد الإلهين التمساحين، كانت هناك مساحتان مخصصتان لحضانة بيض الزواحف؛ بل وكذلك بعض الفسقيات من أجل استقبال مواليدها الجديد !



١٢٨- بناء مخصص كحضانة وتربية التماسيح - فى نرموثيس (الفيوم)، من حفائر البعثة الإيطالية عام ١٩٩٩ .

وكذلك الأسماك والثعابين، تمت تربيتها فى الأسر، ببعض المدن. وها هو "إلين" يذكر بالنسبة للأولى المثال الخاص بتل بسطة(١٨): حيث كانت أسماك قشر البياض تُربى فى أحد الأحواض. كما حدد قائلا: إن ثعابين الناشر، كانت تُربى فى مختلف مدن مصر(١٩).

وتجدر الإشارة، فى هذا المجال إلى أنه غير مسموح تمامًا بدخول أى حيوان إلى قدس الأقداس بمعبد الإله الذى يمثله. وربما أنه قد يُربى على مقربة من مكان العبادة؛ ولكن هذا الأخير كان مخصصًا فقط للتمثال الإلهى، أو فى أحوال نادرة . لحيوان مقدس مُحنط. وفى الفيوم وثيادلفى[٢٠]، توجد بعض الأمثلة على ذلك. حيث يصور أحد الرسوم الملونة بالمعبد: مومياء تمساح، مُسجاة فوق محفة؛ وقد حملها خلال أحد المواكب بعض الكهنة (شكل ١٢٥). وهذه المومياء كانت تجسد صورة الإله "بنيفيروس" الطقسية. وفى موقع مدينة ماضى[٢١]: يوجد معبد صغير يرجع إلى العصر البطلمى؛ ومكرس لزوجين من التماسيح. وقد تضمن بداخل قدس الأقداس، ناووسًا خاصًا باستقبال تمساحين مُحنطين . وليس تماثيلهما .

ولقد تحدث الكُتاب الكلاسيكيون عن الأماكن التى كانت تُربى بها الحيوانات؛ التى تميزت، فى بعض الأحوال بالفخامة والأبهة. أما المؤرخون المسيحيون، مثل "كلمنت السكندرى"[٢٢]، فقد وصفوا بعض المعابد، التى كانت تُعبد بها عدة حيوانات. ولكن، ربما أن هدفهم الوحيد من وراء هذا القول هو الإفاضة فى تقليل شأن ديانة وثنية يتمنون اندثارها !

كانت الحيوانات التى أضفيت عليها القداسة تُربى فى أماكن متفاوتة ومتباينة المساحات. كما تعيش حياة متغايرة وفقًا لأنواعها. وهكذا، فإن الأسد كان يتحتم حجزه فى الأسر .. لدواعى توافر الأمان للأهالى. أما عن الطيور؛ خاصة الإبيس، التى كانت هائلة العدد، فإنها كانت تنعم بحرية شبه كاملة. وفى مثل هذه الأحوال، كانت الضرورة تقتضى أن تكون ساحات التربية والتدجين، بنفس مواقع الإنتاج. وبالتالى، يتيح ذلك استمرار وجود مستعمرة كاملة. وكذلك، فتبعًا لدرجة الأسر، أو نُدرة النوع، كانت رعاية هذه الحيوانات تتفاوت إلى حد ما .

لقد اكتُشفت مقابر القردة بداخل سرداب دفن أُعد من أجلها فى سقارة. وقدمت الكثير من المعلومات عن موطن الحيوانات، مثل القرد الذيالة، وكذلك قردة "ماجوتس" (نوع من القرود الماكاك "الآسيوية"[٢٣]): فأحدها قد جُلب من الجنوب؛ والآخر من

الإسكندرية، حيث يُحتمل أنه أُحضر إليها عن طريق إحدى السفن؛ وثالث، وُلد فى معبد بتاح تحت شجرة معروفة، تُميز عن بعضها بعضاً وهى على قيد الحياة بواسطة اسم علم. وحقيقة أن هذا التقليد كان يطبق بالنسبة لحيوانات أخرى، ولكن فى حالة حيوانات المرافقة، أو التدجين: مثل البهائم والبقريات. وبالفعل، قدمت سراديب الدفن فى سقارة، عدداً من هذه الأسماء، على غرار: تاشرى سوبك (Tasheresobek) أو جد إن باستيو إف عنخ (Djedenbastetiouefankh)[٢٤].

وربما قد تتكفل المعابد بتربية الحيوانات. وفى هذا الصدد، فقد أُحطنا بعدة أدلة من جانب بعض الكتّاب الكلاسيكيين. فها هو "سترابون"، يُركز على نوع الكلبيات: "وتأتى بعد ذلك المقاطعة الـ"سينوبوليت – Cynopolite" ومدينة سينوبوليس، حيث يُبجل "أنوبيس". ويُلاحظ أن شعيرة خاصة وهبة معينة من الطعام المقدس، قد نُظمت من أجل جميع الكلاب"[٢٥]. ونجد أن "ديودور الصقلى"، يبدو أكثر تحديداً: "يقوم الحراس الذين يرعون الحيوانات، بتقطيع قطع من اللحم من أجل الثور. ثم ينادونها بصوت عالٍ؛ ويقذفونها لها وهى مُحلقة حيث تلتقطها. أما بالنسبة للقطط والنمس، يقطعون أجزاء من الخبز فى كمية من اللبن، ثم يُصفرون وهم يقدمونه إليها. وأحياناً، يقطعون أسماك النيل، ويعطونها لها لأكلها نيئة. وهكذا، يُعدون الطعام المناسب لكل نوع من الحيوانات[٢٦]". ثم، ها هو "إلين – Eline" الذى لم يحضر أبداً إلى مصر، يتحدث بكل تركيز عن الطعام الذى يُقدم لأسود مدينة ليونتوبوليس: "تقدم إليها لحوم البقر يومياً، فيتم بسطها، وتشفيتها من العظم والعروق، وتُوزع فى عدة أماكن. وهنا تلتهمها الأسود بمصاحبة بعض الأغنيات[٢٧]".

وقطعاً، هناك العديد من المصادر المصرية البحتة، خاصة هذا المشهد الذى يصور إطعام طيور الإبيس فوق أحد جدران القبر التذكارى للإسكندر، فى كوم ماضى بالفيوم (شكل ١٢٩)[٢٨].



١٢٩- إطعام طائر إبيس المقدس - رسم على قبر تنكارى للإسكندر فى منطقة نرموثيس (الفيوم) العصر البطلمى.

كانت الحيوانات التى أُضفيت عليها القداسة، مثل الحيوانات المقدسة محاطة بعدد من العاملين المكلفين بإطعامها والعناية بمكان تدجينها. وقد ذكر "ديودور" قائلاً: "إن الحراس الذين يقومون برعاية الحيوانات والعناية بها، لم يحاولوا أبداً إخفاء أو ستر الخدمات التى أُوكلت إليهم، أو يخجلون من الظهور بين الناس. بل إنهم كانوا يفخرون بعملهم هذا. فهم مقتنعون تماماً بأنهم مُكلفون بأهم تكريم يقدم للآلهة. ولذلك، كانوا يجوبون المدن وأراضيها وقد تحلوا بشارات مميزة. وعندما يتبين المارة(٣٠)، من بعيد، نوع الحيوانات التى كُلفوا بها، فإنهم يُعانقونهم ويُعبرون عن إكرامهم لهم".

ولسوء الحظ أن فئة العاملين فى هذا المجال لم تحظ بالتوثيق الكافى، ولكنها عامة، تخضع للمعابد. وتُعد من الوظائف المرؤوسة. وخلاف ذلك، كان يجب ألا تكون كثيرة العدد. ففى الواقع، لم تكن أعداد الحيوانات التى يتم تدجينها معًا ضخمة العدد. أو ربما كانت هذه الأخيرة تنعم ببعض الحرية والانطلاق. وبالتالى، لم يكن الأمر يتطلب عمالاً كثيرين.

كان الإنفاق يتحقق بواسطة المعابد، من خلال عائد الأراضى (Tropheion) التى كان يمكن أن تتناقل، بوجه خاص لهذا الغرض(٣١). وهنا، يقول "ديودور": "لكل نوع

من الحيوانات التى تحظى بالتبجيل والتكريم، تُكرس مساحة من الأرض. وهذه الأخيرة يمكن أن تُدر عائداً يكفى لإعالته وإطعامه". ويبدو أن هذه الممارسة قد تطورت، أساساً، خلال العصر البطلمى(٣٢). وكان هناك بعض المصادر التى يقدمها العديد من الأفراد. وهذا ما تُفصح لنا عنه إحدى اللوحات التى ترجع إلى العام الرابع عشر من حكم الملك "نخاو". فها هو شخص يُدعى "نس حور - Neshor" قد منح حقلاً زراعياً لـ"إبيون - Ibion" هرموبوليس المعروف باسم البقلية (Baqlieh) فى الدلتا(٣٣).

قطعاً، إن الأمثلة التى رأيناها، تبين لنا مدى الاهتمام الموجه لهذه الحيوانات التى أضفيت عليها القداسة؛ بالرغم من أن هذه الحيوانات جميعها لا تتمتع بأى قيمة دينية. فهى على عكس الحيوانات المؤلهة المتفردة، التى وقع عليها اختيار أحد الآلهة، أو تميزت بعلامات خاصة مما جعلها تتميز عن نظيراتها، وتؤدى من أجلها شعائر التتويج، وتسهم فى بعض الاحتفالات بصحبة تمثال الإله. إن هذه الحيوانات المتفردة التى لا مثيل لها، كانت تقوم، خلال حياتها بدور ما فى حين أن الحيوانات الأخرى لا تكتسب أهمية وقيمة إلا عند موتها !

موت الحيوانات التى أُضفيت عليها صفة القداسة

كانت الحيوانات المؤلهة تموت بطريقة طبيعية. وربما قد يكون الأمر كذلك، بالنسبة للحيوانات الأخرى التى أُضفيت عليها صفة القداسة، خاصة إذا صدقنا أقوال الكُتاب الكلاسيكيين. فها هو "هيرودوت"، منذ وقت مبكر، خلال القرن الخامس، يقول: "إذا قتل شخص ما أحداً من هذه الحيوانات، إرادياً وعن قصد، فإن عقوبته الموت. أما إذا كان ذلك لا إرادياً وبدون عمد، فعليه أن يدفع غرامة؛ يحددها الكهنة. أما الذى يُنهى حياة أى إبيس أو نسر، عن قصد، أو بدون قصد، فيتحتم قتله(٣٥)". أما "ديودور"، فى القرن الأول، فقد غالى فى أقواله. ولكنه حدد بقوله: "إن العقوبة هى الموت، لكل من يقتل قطاً أو إبيساً. وهو يحكى: أن أحد الأفراد الرومان قد هاجمه الناس فى بيته لأنه، دون عمد، قد قتل قطاً(٣٦)".

فى وقت ما، عندما هاجم الجوع والقحط المصريين؛ كان يُقال: "إن الكثيرين منهم كانوا يلتهمون بعضهم بعضاً لشدة تضورهم جوعًا ! ومع ذلك، فلم يستنزل أحد منهم على نفسه عقوبة النيل من أحد الحيوانات ذات القداسة أو يمسها بسوء"(٣٧) !

وربما أن البعض كانوا يعتقدون أن هذه الحيوانات، كانت لا تُمس بأى أذى، وتُترك لتموت موتًا طبيعيًا. وكذلك، فإن أى حيوان من هذه الحيوانات التى أُضفى عليها التقديس، وُجد ميتًا، وسواء كان من ضمن أحد مواقع التربية؛ ولكنه يتطابق بالحيوان الممثل لإله المدينة، كان من اللازم تحنيطه قبل دفنه فى الجبانة ! وقد يتعلق الأمر فى هذا المجال ببعض الحيوانات المُدجنة التى جلبها صاحبها من مكان ما، أو حيوانات وحشية ماتت فى جنبات الطبيعة. فيتم، بكل ورع وتعبد التقاطها من الأرض، ودفنها ! وعمومًا، ها هو دليل نادر، فائق القدم، معروف تمامًا. فها هى بعض الكتابات الديموطيقية، تصف هذه الواقعة: حيث اكتشف أحد الرجال جثة صقر فى أبيدوس. وأخذه فوراً، لإعداده وتجهيزه فى أحد أماكن التحنيط؛ ثم وضعه بداخل تابوت ومعه لوحة صغيرة(٣٨). ولا شك أن الدراسات الحديثة تسمح بتكملة تلك المعلومات. فإن حالة بعض مومياوات الإبيس التى اكتُشف فى تونا الجبل، تبين أن هذه الطيور، كانت قد نقصت تمامًا، قبل العثور عليها والتقاطها(٣٩).

ومع ذلك، فها هما العالمان "ل. لوريه"، و"ج. جايارد"(٤٠)، قد أجريا فى أوائل القرن العشرين بعض التحليلات التى ساعدتنا لأجل المزيد من التفهم لسياق العمليات المتعلقة بجزء كبير من الحيوانات المكتسبة للقداسة. فقد اكتشفا بعض الحيوانات التى تبدو عليها آثار ضربات، أو بتر وتشويه، تمت عن قصد؛ أو حتى بعض الحيوانات التى نفقت وهى لا تزال وليدة، أو أعداد كبيرة جداً من البيض فى حالة فقس. ومع ذلك، فإن هذين العالمين لم يذكرا أبدًا احتمال موت هذه الحيوانات موتًا عنيفًا، وعن قصد، رجوعًا إلى إثباتات الكُتاب الكلاسيكيين.

ولكن، قد يكفى مجرد النظر بإمعان ودقة إلى بعض مومياواتها، ليتبين أن جزءًا كبيراً من هذه الحيوانات التى أُضفيت عليها صفة القداسة قد قُتلت. ولن نقدم هنا

سوى بضعة أمثلة على ذلك: فقد أفصح موقع كوم أمبو عن بعض مومياوات التماسيح: وقد بُتر خطمها بترًا واضحًا بواسطة أداة قاطعة[٤١]. ولا ريب أن مثل هذا البتر والتشويه، لحيوان زاحف وهو فى قيد الحياة، لا بد أن يعوقا العقرة التى كان سيُحدثها بمهاجمته ! وربما قد تبدو هذه المعالجة مثيرة للعجب والدهشة، فى مدينة تؤدى بها طقوس دينية !. وكذلك، لوحظ أن بعض الطيور الكواسر المُحنطة، التى اكتُشفت فى كوم أمبو، وتونا الجبل والجيزة[٤٢]؛ قد بينت أنها تلقت ضربات أدت على ما يبدو إلى موتها. وبالفعل، تبدت بكل وضوح الكثير من الكسور بالأجنحة والسيقان. وفى أسيوط[٤٣]، اكتُشف عدد من مومياوات الكلاب: تبين إصابتها بكسور فى الفقرات، وفى الحنجرة، وأولى حلقات قصبة الحلق، مما يؤكد أن هذه الحيوانات قد خُنقت ! وقد أظهرت مومياء عجل صغير محفوظة حاليًا فى متحف اللوفر[٤٤]، بعض الشجَّات والشروخ بالمخ، لا بد أنها استتبعت موت هذا الحيوان الذى لا يزيد عمره على عشرة أو خمسة عشرة شهرًا !

بكل تأكيد أن الحيوان الذى حظى بأوفى الدراسات هو القط[٤٥]. وذلك، من منطلق المومياوات المحفوظة فى المتاحف؛ وكذلك خاصة، التى اكتُشفت فى المواقع. ولقد عمل "ل. جنسبرج" على دراسة بعض المومياوات المستمدة من جبانة بوباستيون (Bubasteion) فى سقارة؛ خاصة العينات التى تبدو، إلى حد ما حديثة العمر: حيث تبين أن فقراتها العُنقية قد خُلعت تمامًا من مكانها[٤٦]. ثم تابع هذه الدراسة "ر. ليشتنبرج": الذى صور بالأشعة أكثر من ثلاثمائة مومياء لقطط، فى ذاك الموقع نفسه. وغالبًا، كانت الجماجم قد شُجت وكُسرت، مما يدل على تلقيها لضربة عنيفة على الرأس. وأحيانًا، بدت فقرات العنق مخلوعة تمامًا. مما يُثبت أن الحيوان قد مات مخنوقًا[٤٧] !

ولقد أوضحت مختلف التحليلات عن عينات ونماذج صغيرة السن إلى حد ما. إذًا، فإن القطط التى كانت تُربى فى الأسر، كان لديها أمل فى حياة أطول من تلك الخاصة بنظيراتها التى بقيت على وحشيتها. وقد أُجريت بحوث ودراسات على

المومياوات الثلاث والخمسين من القطط المحفوظة فى المتحف البريطانى، والتى من المؤكد أنها قد استُمدت من دندرة وأبيدوس(٤٨). وتبين من خلالها أن القطط، قد ماتت، أساسًا، فى عمرين محددين. فإن عشرين منها قد لاقت حتفها فيما بين شهر من العمر وأربعة. ثم سبع عشرة غادرت الحياة وقد تراوحت أعمارها ما بين تسعة أشهر أو اثنتى عشرة. ولكن اثنتين فقط، وصلنا إلى سن تزيد على سنتين، فى حين، أن الأمل فى مدى حياة القطط قد يبلغ اثنتى عشرة سنة. ويرى كل من "ب. ل. أرميتاج" و"ج. كلوتون بروك" اللذين قاما بهذه الأبحاث، أن اختيار هذه الأعمار ليس من منطلق المصادفة. فإن الشريحة الأولى تتطابق باللحظة التى يكون خلالها جسم الحيوان صالحًا للتحنيط. أما عن الشريحة الثانية، فهى ترتبط بالوقت غير المناسب للإنجاب .. فتُقتل. ولقد أفصح الكشف بالأشعة أن كل هذه السنوريات كانت فى صحة جيدة، قبل موتها، وأن بعضها قد مات خنقًا !

ولقد تمت دراسة مشابهة من جانب "لـ. جنسبرج" على بقايا الثلاث وعشرين قطًا التى اكتُشفت فى "البلاط" بواحة الداخلة. ومن خلال هذا المثال، أثبتت ثلاث درجات من العمر؛ وقد بين ذلك، أن كل القطط لم يزد عمره على عام أو اثنين(٤٩). وأكدت الدراسة التى أجراها "ر. ليشتنبرج" على مومياوات القطط بـ"بوباستيون" سقارة، أن الأمر يتعلق بحيوانات لم تُكمل فترة نموها، أو أنها تعتبر " ما تحت البلوغ"؛ حيث بدت غضاريفها الخاصة بالترابط على وشك الاختفاء.

عامة، لم تمثل الحيوانات دائمًا دلائل واضحة عن قتلها. ومع ذلك، قد يُعتقد أن الكثير منها قد أُغرق. وكذلك، العديد من الأسماك قد اختفت، بعد إخراجها من المياه. كما أكدت دراسة عدد ضخم من المومياوات، فكرة الموت استتباعًا للعنف. وضمن الآلاف من التماسيح التى عُثر عليها فى جميع أنحاء مصر(٥٠)، وُجدت كميات من البيض، والصغار التى كانت قد فرخت لتوها من بيضها؛ بالإضافة إلى عينات متباينة الأعمار؛ وليست بالغة فقط. وربما أن هذا العدد الهائل من البيض يدعونا إلى الاعتقاد، بأن ذلك كان نتيجة لحملات جمع كبيرة. ولا ريب أن هذه الأخيرة كانت

تشكل خطراً كبيراً على القائمين بها. فإن التماسيح الأمهات كانت تقوم على حراسة بيضها؛ بل وعلى صغارها، على مدى عدة أسابيع، بعد تفريخها لحمايتها من اللصوص الآخرين. ولا يُستبعد أن التماسيح البالغة كانت تُقتل خلال هذه الحملات.

على ما يبدو، كان الأمر كذلك بالنسبة للإبيس[٥١]: حيث وجدت كميات ضخمة من البيض، بالإضافة أيضاً إلى أعداد هائلة من الصغار ضمن المومياوات.

وفى أبيدوس، لُوحظ أن بيض الجوارح، قد اختلط مع ذاك الخاص بالإبيس. ومن خلال دراستها[٥٢]، ميز كل من "ل. لوريه" و"ج. جايار" ضمن الصقريات، عدداً كبيراً من الصغار لاقوا نفس المصير السيئ الذى لاقاه الكبار.

وأخيراً، فإن نقص البحوث والفحوصات، بوجه عام، على المومياوات التى اكتُشفت منذ قرنين، لا يسمح لنا أن نمد الخلاصات إلى جميع المواقع، وكل الأنواع.

طوال زمن مديد، لم يتم حسم فكرة القتل عن عمد وقصد. وبدت الدراسات قليلة للغاية. كما أن أدلة وإثباتات الكُتاب الكلاسيكيين، تراءت غير قابلة للنزاع. ومع ذلك، فإن الإقرار بوقوع مثل هذه النهاية، ليس أمراً عبثياً أو غير معقول، بالنسبة فقط للحيوانات التى أُضفيت عليها القداسة. فإن هذه الحيوانات، لم تحظ، خلال حياتها بأى طقوس أو شعائر، تجعلها بمثابة أداة مناوية ما بين الآلهة والبشر. وفى واقع الأمر، أن الشعيرة الأولى التى عرفها قط ما، أو إبيس، أو تمساح، هى شعيرة التحنيط.. فبداية من هذه اللحظة، كان يمكن الاستعانة بمومياتها وتقديمها للإله المرتبط بالحيوان.

تحنيط الحيوانات التى أُضفيت عليها صفة القداسة

فى هذا الموضوع، نجد أنفسنا نصطدم بالمشكلة ذاتها؛ أى نقص المعطيات المحددة الدقيقة. وفى هذا الشأن يبدو الكُتاب الكلاسيكيون صامتين إلى حد ما. وهكذا، فإن الإلماحات القليلة التى يُبدونها بخصوصه، لا تتناول التفاصيل أبداً.

وفى واقع الأمر، فإن "هيرودوت"، لم يُضف، فعلاً سوى عمليات التحنيط للبشر. وليس هناك سوى هذه التوضيحات المهمة التى تتعلق بالبهائم، حيث يقول: "إنهم يدفنون الثيران والبقرات التى نفقت لتوها، بهذا الأسلوب: يُلقون بالإناث فى النهر، ثم يدفنون الذكور فى أطراف مدن كل منها؛ بحيث يبدو أحد القرنين، أو الاثنين معًا، منبثقين من الأرض .. ليُشير إلى وجودها.

وعندما تفسد الجثة وتتعفن، ويحين الوقت المحدد، تحضر إحدى السفن بكل من مدن الجزيرة المعروفة باسم «بروسوبتيس – Prosoptis» ويقومون بإخراج العظام، ويحملونها معهم، ويدفنونها كلها فى مكان واحد[٥٣]. ويضيف "هيرودوت": "بالنسبة للحيوانات التى تنتمى إلى نوع آخر من البهائم، فإنها حالما تنفق، يتم دفنها، مثل الثيران بالأسلوب ذاته".

وسوف نرى لاحقًا، أن هذا التقرير يُعد صائبًا بالنسبة للحيوانات التى مُنحت لها القداسة.

وفيما يتعلق بالقطط، تبدو التفسيرات أكثر إيجازًا: "تؤخذ القطط النافقة إلى أماكن مقدسة. وهناك، تستقبلها المقبرة؛ بعد أن تكون قد حُنطت، فى تل بسطة[٥٤]".

ويبدو هذا التدليل على قدر واضح من الأهمية، خاصة أننا عرفنا، فيما سبق: أن عظام القطط التى عُثر عليها فى هذه المنطقة بالدلتا، عليها بعض آثار حرق أجسامها.

ولكن، يُلاحظ أن ما قدمه "ديودور" من تفاصيل، يبدو أكثر أهمية: "عندما ينفق أحد الحيوانات المذكورة، كانوا يُدثرونه فى قماش من الكتان الرقيق الناعم. ويقومون بضرب صدورهم بأيديهم، وهم يئنون ويتأوُّهون. ثم ينقلونه من أجل تحنيطه. وحالما تتم معالجته بواسطة راتنج الصنوبر والخلاصات العطرية، اللازمة لحفظ الجسم إلى أبعد مدى يقومون بدفنه فى صناديق مقدسة[٥٥]".

ونرى أن "بلوتارخ" يقدم مبررًا لقلة المعلومات التى فى حوزتنا، بالرغم من أن ذلك، ربما يتعلق خاصة بالحيوانات المؤلهة. فيقول: "كان إضفاء صفة القداسة على بعض الحيوانات المُكرمة، يظل فى طى الكتمان؛ ويتم فى مواعيد غير محددة، وفقًا

للأحوال والظروف. وعادة، لا تعلم العامة من الناس بذلك؛ إلا فى حالة إحياء جناز أحد الأبيس[٥٦]. ومع ذلك، فإن الدراسة المباشرة للمومياوات الحيوانية، وبيئتها (مقابر، وتوابيت)، تسمح بتخفيف حدة نُدرة المعلومات التى تقدمها النصوص الكلاسيكية.

يُلاحظ، أن جميع الحيوانات لم تكن تحظى بأداء متماثل. فإن الاختيار كان يتم وفقًا للائحتها وحجمها. ولكن، فى كل الأحوال، لم يوجد هنا تحنيط يرتقى إلى مستوى ذاك المخصص لبعض الحيوانات المؤلهة، وخاصة الثور أبيس. بل قد يبدو أحيانًا، أن بعض الحيوانات لم تلق أى معالجة، مثل حشرات الجُعل أو فأر الزباب: كانت تجفف فحسب، وتوضع بداخل توابيت صغيرة.

وحتى بالنسبة للحيوانات الأكثر ضخامة، فإنها لم تلق تحنيطًا بكل معنى الكلمة. وكان الأمر يكفى مجرد جمع عظامها وحفظها كما ذكر "هيرودوت" ! وبذا، فإن الثيران، فى هذه الحال، وكذلك العجول، والتيوس، والكباش، وكذلك البقر الوحشى الضخم؛ التى لم تكن متفردة ومؤلهة؛ وحفظت أعداد ضخمة من أجسامها، مثل بهائم سقارة، لم يمكن تحنيطها: وإلا أُنفقت على ذلك ثروات هائلة كما هى الحال بالنسبة لـ"أبيس" !

وأساسًا، كان الأمر يلزم مجرد تكوين شكل ما، يبدو، ظاهريًا وكأنه مومياء! فهذا أكثر ما يهم. وفى أسيوط[٥٧]، عُثر على عدة عظام لعجل صغير، وقد دُثرت بطبقات متتالية من الأغطية القماش. وبشمال سقارة[٥٨]، أفصحت عدة آبار عن الكثير من المومياوات التى لم تكن تحوى سوى بقايا عظمية؛ وقد ربطت بكل عناية؛ وغُطى بعضها بالقار. وعن المومياوات القليلة الخاصة بحيوان فرس النهر التى اكتُشفت فى "أنتيوبوليس" و"ماتمار"، فلم تكن، سوى عدة أربطة، تُخفى بعض العظام !

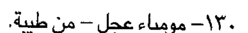
وفى سقارة[٥٩]، اكتُشفت عدة نماذج تتعلق بالإبيس؛ واعتُبر ذلك أمرًا مثيرًا للعجب والدهشة. وكذلك عُثر على عدد من الأوانى التى تحوى عظام هذا الطائر، فى الموقع والمكان اللذين توضع به المومياوات. وفى مثل هذه الحال، لا شك أن الأمر كان يتعلق

بتزوير وخداع، ارتكبه بعض المُحنطين قليلى الدقة. حيث فُضِح أمرهم فى أرشيفات حور السمنودى. وضمن الكثير من النصوص والتقارير التى وصلت إلينا، ذكر الكثير منها وجود عدة أعمال اختلاسات وخيانة واجب الوظيفة؛ وعمليات التفتيش والفحص من أجل تصويبها، خاصة، عندما يكون الأمر متعلقًا باكتشاف أوان مليئة بعظام الإبيس، ولا يبدو مطلقًا أنها جُهزت وعُولجت !

وتستوجب الضرورة الإيماء إلى أن المومياوات، لم تكن تستوعب دائمًا جسم الحيوان كاملاً. وهكذا، فإن الكرات (جمع كرة) التى شُكلت من ضمادات وأفرع البردى فى إسنا[٦٠]، وأيضًا التوابيت الصغيرة المجهزة فى سمات سمكة، وفى طيبة[٦١]، لم تكن أولاهما تتكون إلا من بعض حراشف قشر البياض وعدد من أسماك البنى بالأخريات. وأيضًا، بدت مومياوات الأبيس فى أبيدوس وقد أُعدت من عدة مكونات[٦٢]. وأحيانًا، لم يكن يوجد سوى ربطات من الريش، وجناح ما أو منقار فحسب ! ومن هذا المنطلق، لم تكن الرأس سوى حشو من بعض قطع القماش !

عامة، تبدو الأمثلة كثيرة للغاية. ولم تكن تتعلق ببعض نماذج تنتمى إلى أنواع نادرة تمت تجزئتها لكى تُصنع منها الكثير من المومياوات؛ مأخوذة من جسم واحد فقط. ولكن تمثل، بوجه عام، الحيوانات الأكثر شيوعًا فى الجبانات المصرية (شكل ١٣٠، ١٣١). وتجدر الإشارة إلى أن مومياوات القطط فى "كهف أرتميدوس" لم تكن تحوى فى الواقع، بمعظم الأحيان سوى الجزء الأمامى من الحيوان حتى القطنية الرابعة أو الخامسة . ولا يُعرف ماذا كان يتم بالنسبة لبقية الأجسام[٦٣] ! وكان من العسير تمامًا دراسة هذه المومياوات. فإن معظمها قد أُحرق، أو طُحن فى إحدى الطواحين، لكى يُصنع منها سماد من أجل البلاد الأوربية. وسواء كانت المومياوات تتكون من حيوان كامل أم جزء منه فقط، فإن ذلك، على ما يبدو لم يكن يغير من قيمتها. وقد يُظن أن بعض هذه البقايا، ترجع إلى بعض الحيوانات التى عُثر عليها نافقة بشكل طبيعى تمامًا. فتم تجهيزها وإعدادها، وكأنها الحيوان مكتملا .





١٣٠- مومياء عجل - من طيبة.

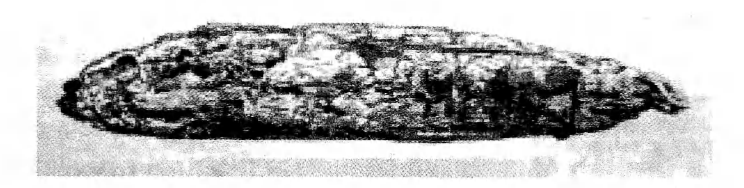




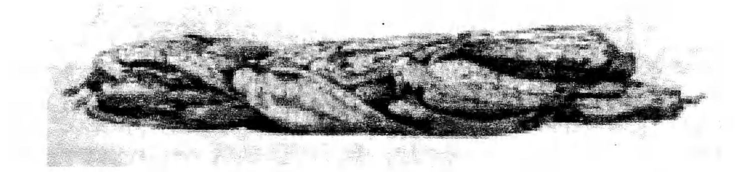
١٣١- مومياء عجل - من أسيوط.

وكذلك، غالبًا ما يُعثر على بقايا العديد من الحيوانات ملفوفة بنفس الضمادات (شكل ١٣٢،١٣٣). وهنا، قد يتعلق الأمر بحيوانات من نوع واحد. ولكن، مما يثير العجب، فهناك أيضًا: أنواع مختلفة! وفى إسنا[٦٤]، على سبيل المثال، كانت مومياوات التماسيح، من خلال مظهرها الخارجى المتطابق، تضم، سواء كان تمساحًا واحدًا كبير الحجم، أو العديد من التماسيح التى فُرخت حديثًا. وكذلك، هناك بعض حشرات الجُعل التى عُثر عليها فى أبيدوس، وقد جُمعت معًا فى هيئة كتل مُدمجة، وتم إعدادها فى شكل ربطات محزومة بخيوط، وكأنها مومياوات[٦٥].

وفى تونا الجبل[٦٦]، جُمعت فئران الزبابة مع بعض الكواسر، فى هيئة كتل مدمجة، وُثقت بواسطة القير. ويلاحظ أن هذا النوع من القوارض، كُرس، مثل الصقر، للإله حورس. وفى سقارة[٦٧]، كانت الفئران الزبابة المرتبطة بحورس، تُعد، مع إيبيس - تحوت من الآلهة المتشاركة غالبًا معًا. وهناك كذلك أمثلة أخرى، قد يبدو توضيحها أكثر صعوبة. وفى سقارة[٦٨]، أيضًا، لم تكن مومياء أحد التيوس تتضمن بقاياه فحسب، ومنها الجمجمة؛ بل بالإضافة لذلك، أعدادًا كبيرة من عظام أحد التماسيح ضخمة الحجم (شكل ١٣٤).



١٣٢– مجموعة من الجوارح محنطة وملفوفة معًا– من الجيزة.



١٣٣– نفس المجموعة السابقة (شكل ١٣٢) بعد فك الأربطة.



١٣٤– لفافة تحتوى على بقايا محنطة على كل من تيس وتمساح – من سقارة.

قطعًا، كانت هناك مفاجآت أخرى تنتظر من يظنون أن الحيوان المرتبط بأحد الآلهة، هو الذى حُفظ. ففى الواقع أن الجبانات التى كشفت عن عدة جوارح مُكرسة لحورس، كما هى الحال فى كوم أمبو(٦٩)، كان من المتوقع ألا تحوى سوى طيور من نوع الشاهين. ولكن، بالرغم من ذلك، فقد وُجد بها كل أنواع النسور، والصقور؛

والحدأة، والباز، والعُقاب، والسقاوة، بخلاف بقية من الجوارح الليلية. وكذلك هى الحال فى أسيوط[٧٠]؛ حيث كان الإله "وبواوات" يُمثل من خلال مختلف أنواع الكلبيات، ومنها كلاب متباينة السلالات؛ وحيوانات ابن آوى، وثعالب (شكل ١٣٥). ولا شك أن موقع سقارة قد قدم بعض التشكيلات المهمة، مثل: التيوس والكباش[٧١]، ممثلة لكبش منديس. ثم قردة المغرب، والقردة الذيالة، والقردة القردوحيات الخاصة بالإله تحوت[٧٢].



١٣٥- مومياء ثعلب - من أسيوط.

وربما أن مثل تلك الأمثلة ضمن الكثير غيرها، قد يمكن تبريرها، إذا تقبلنا هذه الفكرة: أن المصريين قد نظموا نمطًا من التصنيف للأنواع التى تعيش فى بلدهم. وبالتالى، لم يكن الأمر مستغربًا أو شاذًا، إذا استعانوا بالطيور المائية طويلة الساق، بدلاً من الأبيس لتمجيد وإجلال تحوت[٧٣].

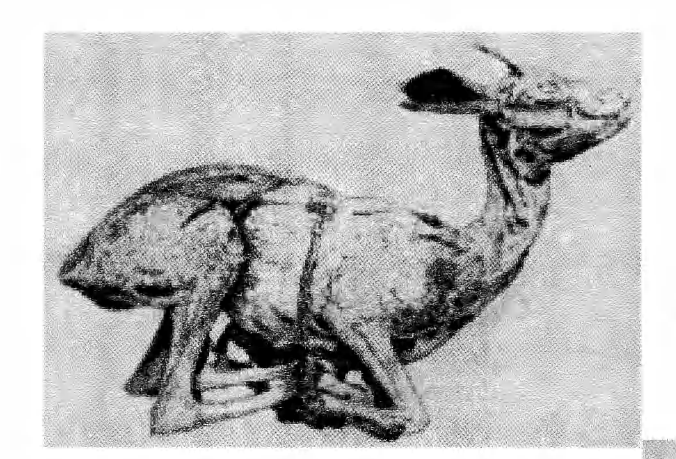
وقد تطلب التحنيط التقليدى الاستعانة ببعض المواد[٧٤]، التى تتوافر فى معظم الأحيان. فبداية، نجد: النترون، وخليطًا من كلورات السلفات، والكابونات، وبيكاربونات الصوديوم: يُضاف إليها بعض الملوثات، ومنها الرمال. وعادة توضع الأجسام فى النترون بحالته الصلبة، فى هيئة بلورات أو مسحوق معبأ فى أكياس صغيرة. وقد يُستعمل[٧٥]، القير أيضًا ولكن بحيث تختلط به دائمًا، مواد مختلفة مثل راتنج الصنوبر وصمغ النحل. وبكل ذلك، تُضمخ الأجسام، حتى تحفظ من التعفن والفساد. وغالبًا ما تُستعمل أيضًا بعض المواد والخلاصات الأخرى، مثل المُر والصبر، أو زيت راتنج الأرز.

وحتى تكون هذه المواد أكثر فاعلية، خاصة عندما يتعلق الأمر بحيوانات ضخمة الحجم، مثل التماسيح البالغة، وأسماك قشر البياض أو الغزلان، ربما يُجرى شق على

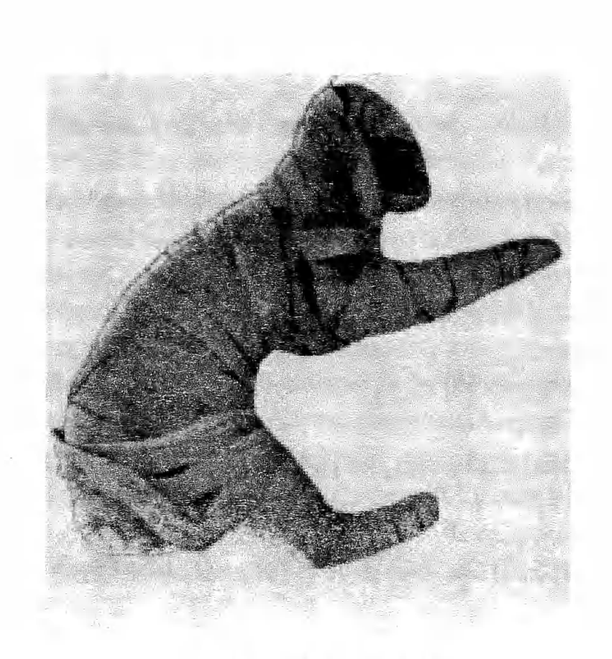
أحد الجانبين من أجل الإسراع بعملية التجفيف؛ ومع ذلك، يُعمل على التخلص من أحشاء الحيوان.

هيئة الأجسام ووضع الأنسجة

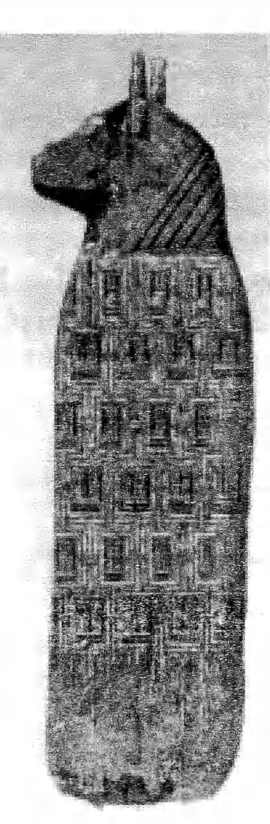
كانت أجسام الحيوانات، خلال التحنيط، تبدو عامة، وفقًا لكل نوع، في وضع واحد محدد. وفي ذات الحين، كان هناك وضع آخر، ولكنه كان نادرًا ما يتم في مكان بعينه. ولا شك أن الوضع كان يُعد، قبل أن يعمل تصلب ما بعد الموت على إعاقة تهيئة الأعضاء، بشكل صائب. وهذا ما يبرره، أحيانًا وجود بعض العوائق والموانع. وكان الهدف الأساسي هو تيسير وضع الأنسجة، والأقمشة أو الضمادات، فوق الأجسام. فبالنسبة للغزلان كانت قوائمها تُثنى أسفل الجسد، بحيث تكون القائمتان الأماميتان متجهتين إلى الخلف. أما القائمتان الخلفيتان، فتكونان نحو الأمام (شكل ١٣٦). وغالبًا ما كانت الكلبيات تُجهز في شكل فروة اليدين، حيث لا تظهر سوى الرأس. ولذلك، كانت القوائم الأمامية تُمد بطول امتداد الصدر. أما الخلفية، فتُثنى. وعن الذيل، فهو يُوجَّه نحو مقدمة الجسم. وتكون الرأس منتصبة (شكل ١٣٧). وربما أن القطط، كانت تتخذ المظهر ذاته، الدارج عادة (شكل ١٤٣). ولكن، أحيانًا، قد تترك الأرجل عمودية وقائمة بالنسبة للجذع، ثم تُلف، على حدة بالضمادات؛ وكذلك الأمر بالنسبة للذيل؛ فيتحقق بذلك، للحيوان مظهر طبيعي (شكل ١٣٨). وعن قردة البابون، فكانت ركبتاها تُثنى على البطن، وتُضم الذراعان بشكل متصالب فوق الصدر. وبالنسبة للتماسيح، كان هناك شيء من التباين في وضع الأرجل؛ فإما أن تكون ممتدة فوق الجسم، أو تتصالب على البطن. والثعابين قد تتخذ وضعًا مستقيمًا أو ملتويًا. وها هو مثال أخير: الإبيس. فهو، على غرار الكواسر، قد يُجهز في هيئة فروة اليدين: بحيث تُمد رجلاه، بطول الجسم، نحو الخلف؛ أو قد تُثنى؛ فلا تنبثق سوى الرأس. وغالبًا، ما كانت الرأس توجه على عظام قفص الصدر؛ وبذا يلتقي المنقار بالأرجل. وهكذا، تتخذ المومياء شكل القلب البشري المنمنم المزخرف: وفقًا لما ذكره كل من "إلين"، و"هورابولون"(شكل ١٣٩)[٧٦].



١٣٦- مومياء غزال - من كوم أمبو.

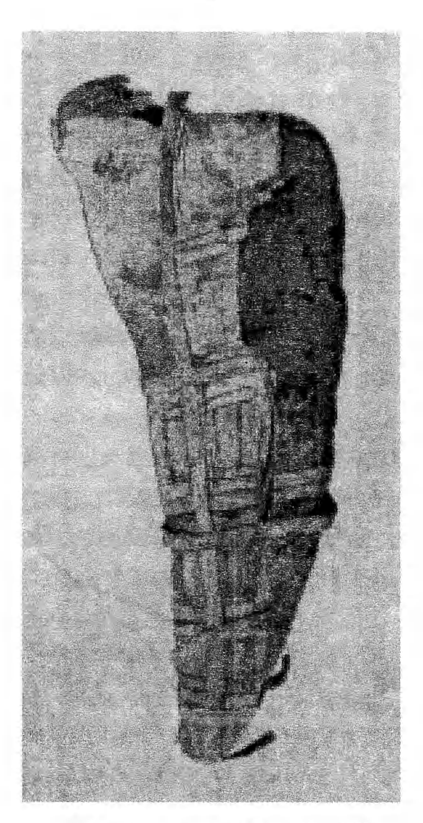


١٣٧- مومياء كلب - من طيبة



١٣٨- مـومـيـاء قط - من سـبـيـوس أرتميدوس (إسطبل عنتر).

فى حالة الحفاظ على العظام فقط؛ كانت توضع، عادة كيفما كان؛ ولكن باستثناء الرأس؛ وقد تتضمن أحيانًا عدة أجزاء مستمدة من حيوانات أخرى مختلفة الأنواع. وفى مثل هذه الحال، يتم تصنيع شكل ما، بواسطة عدة أفرع من نبات البردى المتصالبة أو المُجمعة بواسطة أربطة. بعد ذلك، تُدس بعض الخرق من أجل صياغة جسم مماثل لشكل الحيوان. ثم يُكسى كل ذلك بنسيج .. لكى يُضفى عليه مظهر مومياء حقيقية.



١٣٩- مومياء للطائر إبيس - من الروضة.

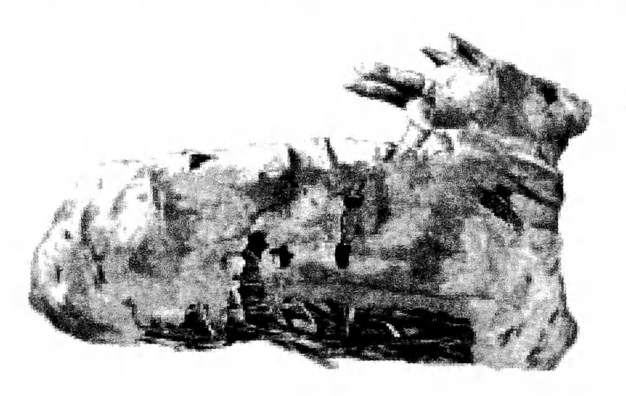
وغالبًا ما يُستعان بأربطة من أجل تثبيت وحفظ أجسام بعض الحيوانات؛ فهى تعمل خاصة على منع ارتخاء الأعضاء؛ بوجه خاص فى حالة الغزلان أو الأغنام. وهناك بعض العناصر اللازمة للتثبيت والتدعيم: لكى توفر وتحقق دوام الوضع الذى اختاره المحنط: ويتعلق ذلك أساسًا بالتماسيح والثعابين. فهى تثبت ما بين فرعين رفيعين أو أكثر من أشجار النخيل أو البردى. والجدير بالذكر أن بعض الكلبيات التى اكتُشفت بموقع "الدير"، بدت مُدعمة ومثبتة بواسطة عدة عيدان فى "الجريد": وذلك، لتقوية الارتباط ما بين الرأس والجزع (لوحة ٣٧)[٧٧].

عن المرحلة التالية، فهى تكمل فاعلية الحفظ والوقاية. فيتم تغطية الأجسام: سواء بعدة طبقات من النسيج، السهل الاستعمال عادة، أو من الضمادات التى تستدعى المزيد من الوقت، والدقة؛ ولكنها، على أية حال تسمح بتغطية كل جزء بالأجسام تغطية دقيقة للغاية.

إن الحلول البسيطة ذات الفائدة، التى نجحت فى البداية. سرعان ما تعقدت شيئًا فشيًا. وبذا، فقد استدعى الأمر تدخل بعض المتخصصين للمومياوات التى تتطلب المزيد من الدقة والإتقان. وفى معظم الأحيان، كان المحنطون لا يكتفون بمجرد طبقة واحدة واقية. بل لقد ضاعفوها؛ وثلثوها. ولم يترددوا عن مناوبة كل من القماش والضمادات فى إثر بعضها بعضًا.

غالبًا كان القماش من الكتان الأبيض اللون. ولا شك أنه تحول إلى الاصفرار، بالتأثير المزدوج من جراء التقادم ومواد التحنيط. وفى ذات الحين، كانت تخلط ضمادات سمراء اللون عادة بالبيضاء: لتكوين بعض الأفكار الهندسية الفنية، التى اتسمت بالتعقيد ولا صلة لها مطلقًا بحفظ ووقاية الأجسام. وهكذا، اكتشف "بلزونى" عدة مومياوات قطط فى "ذراع أبو النجا" بطيبة، وقد غُطيت بأقمشة بيضاء وحمراء[٧٨] !

وربما قد يُستعان بكفن واحد فقط. وكمثال على ذلك: الغزلان التى اكتُشفت فى كوم أمبو، حيث اكتُفى بتدثيرها بطبقة واحدة فقط. وفى ذات الحين، يُلاحظ أن عددًا من هذه الحيوانات ذاتها، التى تم تجهيزها وإعدادها فى "كوم مرح" (تونا الجبل) قد حفظت بعدة طبقات من القماش الخشن الملمس (شكل ١٤٠)[٧٩]. أما الكلبيات المستمدة من أسيوط، فقد لُفت بشريط لمرات عديدة حول أجسامها[٨٠]. فلا شك أن القماش فقط، كان يوحى بفكرة ظهور جلد جديد. ومما يدعم هذا الاعتقاد: تلك التفاصيل التحليلية التى أضيفت إليها: عيون، أسنان، حواجب، خطم، أذنين ... إلخ.



١٤٠- مومياء لغزال - من كوم مرح.

أحيانًا، كانت الضمادات تُستعمل بمفردها. فهذا ما وضحته بالفعل فقرة عن التمثال الشافى الخاص بـ"المنقد - جد حر". وكان هذا الشخص، فى بداية العصر البطلمى قد تولى مهمة إعداد وتجهيز الصقور فى أتريب[٨١]. وكانت هذه الضمادات تستعمل غالبًا من أجل الحيوانات صغيرة الحجم، مثل فئران الزيالة التى اكتُشفت فى طيبة[٨٢]. ولكن، فى هذه الحالة، لجأ المحنطون، بعد لفها إلى تغطيتها بطبقة من القير والذهب. وكذلك كان الأمر بالنسبة لأسماك على غرار البنى (**Barbus Bynni**) التى عُثر عليها فى المدينة ذاتها؛ وأيضًا قشر البياض فى إسنا (شكل ١٤١)[٨٣].



١٤١- مومياء سمكة قشر بياض - من إسنا.

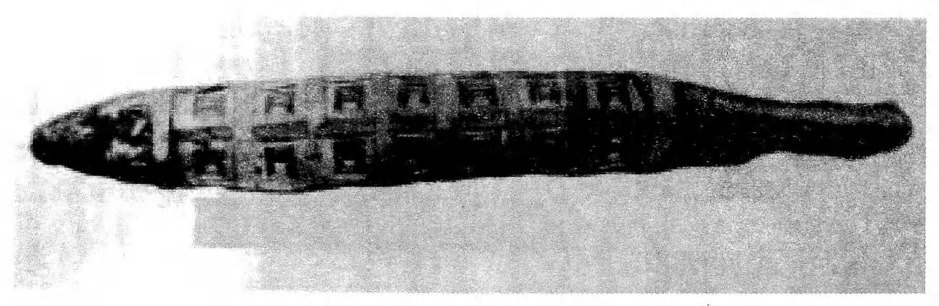
لقد بينت التحاليل التى أُجريت على المومياوات عن الاستعمال المشترك للكفن والضمادات معًا. وها هو مثال مُعبر إلى حد ما: مومياء تيس اكتُشفت فى سقارة[٨٤]، بغرب الرواق الجنوبى للأبيس؛ وترجع إلى الفترة اليونانية الرومانية. ففوق مجموعة العظام تتابعت عدة أغطية من القماش قد يصل سمكها أحيانًا إلى سبعة سنتيمترات. ثم لف المحنطون ضمادات لا يقل عرضها عن خمسة أو ستة سنتيمترات، حول الجسم، فى الاتجاه المستعرض. وتكونت الطبقة الأخرى من قماش عليه علامات لخطوط زخرفية ملونة باللون الأزرق (شكل ١٣٤).

وهناك مثال ذو أهمية خاصة تقدمه مومياوات القطط المستخرجة من بوباستيون فى سقارة. وقد قام "ل. جنسبرج"، بدراسة إحداها؛ وقال: "عند نزع ضمادات إحدى هذه المومياوات، تُشاهد أولاً طبقة لف أولى بالضمادات الكتانية، تغطى الجسم كاملاً. ويتبين أن هذه الضمادة الأولى يصل طولها إلى أربعة أمتار ونصف المتر، أما عرضها فهو سنتيمتران. وأسفل هذه الضمادة يوجد قماش أكثر عرضًا (حوالى ٤٥ سم)؛

ويبلغ طوله ما بين (٨٠-٩٠) سم، تدثر بقية المومياء وكأنها كفن. وتحت هذا الكفن، توجد لفات ثانية من الضمادات الرقيقة الناعمة تغطى كفنًا ثانيًا. بعدئذ، تظهر بقايا الحيوان !

ويُلاحظ أن جميع الحيوانات التى أُضفيت عليها صفة القداسة؛ حتى أكثرها نُدرة، ومهما كانت المعالجة التى تمت لها مسبقًا؛ قد لُفت بضمادات. ولكن، على ما يبدو أن العناية التى تؤدى بخصوص وضع الأنسجة، والتلاعب بالألوان، لم يُتخذا من أجل المومياوات التى كانت ستوضع بداخل توابيت خشبية أو حجرية.

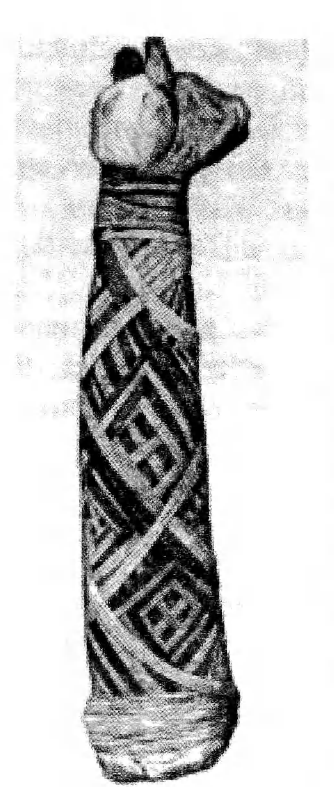
وفى ذات الحين، وُجدت مومياوات طيور فائقة الإتقان؛ ووضعت فى حاويات خزفية مختومة. وفى جبانة الإبيس بأبيدوس وحدها، اكتُشف(٨٦)، حوالى ستين أو سبعين نوعًا من الأغلفة. ولا ريب أن تعاقب وتوالى الأونى، التى استُعملت بشكل هندسى، هو الذى يحدد نوعية المومياء (الأشكال ١٣٧، ١٤٢، و١٤٣). ومع ذلك، لم يكن هذا كافيًا؛ ولذلك كان المحنطون يضعون بعض الأفكار والمواضيع من أجل إضفاء لمسة حيوية على الحيوان: وكانت تُرسم مباشرة على الحاوية أو الدعامة.



١٤٢- مومياء تمساح ملفوفة بعناية - من كوم أمبو.

فها هى بعض التماسيح، التى ربما قد استُمدت من الفيوم: قد زُودت فى القرن الأول برأس من الجص، قُلدت(٨٧)، عليها كل قسمات الوجه. كما وجدت أعداد أخرى من هذه الزواحف، فى كوم أمبو وقد مُثلت بهيئة فائقة التأثير: "عندما يوجه الضوء،

بواسطة شمعة إلى رؤوس التماسيح، التى تتراءى عادة عند مدخل المقبرة المظلمة، يُذهل المرء من النظرات المتوهجة المُشعة من عينى هذه السحالى الضخمة !. وتسبب ذلك عملية عينية ما. حيث تُجزأ فى إناء من الزجاج الرقيق قرنية عين مستطيلة الشكل. وبالواجهة المقعرة من هذا المنظر يتم تمشيط قرنية عين مستديرة الشكل باللون الأصفر الذهبى. وفى وسط القرنية تُرسم باللون الأسود قزحية عينى التمساح ويتم تثبيت هذه العين المصطنعة، فائقة التوهج بواسطة بعض القير وعدة ضمادات أمام المحجر، الذى أصبح خاويًا. وهكذا يبدو الحيوان، وقد تراءت عليه معالم حيوية لا مثيل لها[٨٨]".


١٤٣- مومياء قط - من سبيوس أرتميدوس (إسطبل عنتر).

فوق القناع المصنوع من الجص المرسوم باللون الأسود، ويغطى رؤوس الكلبيات المسجاة فى طيبة .. رُسمت العينان والفم والأذنان[٨٩]. وعلى مومياوات العجول التى اكتُشفت فى أسيوط. شُكلت آذان وقرون مصطنعة؛ وكذلك الأمر بالنسبة للفم، وفتحات الأنف والعيون بواسطة ضمادات رقيقة صفراء وسوداء اللون (شكل ١٣٠:١٣١)، وقد أحاطت عدة ضمادات بقاعدة القرون وقمة الجبهة. وعلى غرار الكثير من أمثالها التى استُحضرت من آبار شمال سقارة، صُور مثلث من القماش الأبيض اللون فى وسط الجبهة، تعبيراً عن انتسابها إلى الثور أبيس[٩٠].

وقُدمت بعض الزخارف التى تبدو أحيانًا مركبة ومعقدة إلى حد ما: مثل صور الآلهة التى أُبدعت بواسطة أقمشة متعددة الألوان. وقد حظيت مومياوات إيبيس تونا الجبل وسقارة بمثل صور وأشكال كل من تحوت وإيزيس ونفرتوم، وإيمحتب وقردة البابون.

وبما أن التيجان، المعتادة غالبًا للمومياوات المتفردة المتميزة قد مُنحت أيضًا لبعض الحيوانات التى أُضفيت عليها صفة القداسة. ففى أبيدوس، مثلاً، تُوجت بتاجى "الآتف"، والـ"حمهم"[٩١]، مومياوات الأبيس التى جُهزت لكى تتشابه بمومياوات بشرية صغيرة، ولكن برأس طائر.

ولم يتبق بعد ذلك سوى وضع المومياوات؛ أو على الأقل جزء كبير منها، بداخل أحواض توفر لها الحماية الفعلية. والتى سُميت عادة بـ:"التوابيت".

توابيت للحيوانات

تنوعت إلى أقصى حد التوابيت المخصصة للحيوانات التى أُضفيت عليها صفة القداسة. فقد اكتسبت أشكالاً متباينة ومختلفة عن بعضها بعضًا. واستُعملت لصناعتها كل أنواع المواد. ولكن، لم تكن الحيوانات جميعها تحظى بمثل هذه الوقاية والحماية. فإنها عادة الأنواع ذاتها، التى كان يجب أن تكتفى بغلاف من القماش .. فقط لا غير ! أى تحديداً، الحيوانات المكتسبة للقداسة، هائلة الحجم، التى قد تكون صناعة توابيتها باهظة التكاليف للغاية. وفى هذا المجال يمكننا ذكر كل من: الغزلان، المستمدة من كوم أمبو وكوم مرح أو تونا الجبل، وأيضًا التماسيح، خاصة ضخمة الحجم، التى استغنت مسبقًا عن النقوش والضمادات؛ وهناك كذلك البقريات والماعز والأغنام التى لم تُحفظ سوى عظامها وغُطيت بالأقمشة؛ ثم كذلك بعض الكلبيات.

وبالنسبة لأنواع أخرى، ربما كانت بالمعالجة، تبعًا لتنوع الجبانات. ولذا، كانت أسماك قشر البياض بإسنا، تعالج دائمًا بأسلوب بسيط للغاية. أما عن سمكة "اللامعة" بطيبة، فقد تمتعت بتوابيت خشبية فى هيئة سمكية !

وفى هذا المجال، نادراً ما كانت تتراءى التوابيت الحجرية. لأنها مخصصة بالأحرى، للحيوانات المؤلهة. ومع ذلك، فهناك أمثلة أُقر بها تمامًا عن استعمالها لبعض الحيوانات التى أُضفيت عليها القداسة. ولكنها، تبدو، عامة، أقل قيمة وقدراً. فهى لا

تعدو أن تكون سوى أحواض بسيطة، كما هى الحال فى "أنتيوبوليس"[٩٢]: حيث وُضعت بها عدة كلاب بداخل توابيت صغيرة جيرية الصنع، جُصصت بأسلوب جيد؛ بأواخر العصر البطلمى، أو فى تونا الجبل[٩٣]، حيث عُثر على أحواض مصنوعة من الحجر الجيرى، مُخصصة للعديد من الإبيس، وعليها بعض الكتابات الديموطيقية. ولقد أفصح بوياستيون سقارة عن تابوت فائق البساطة من الحجر الجيرى، استوعب بداخله مومياء قط؛ على ما يبدو أنها حظيت بعناية خاصة[٩٤].

كما توجد توابيت حيوانية الشكل. ولا شك أن أكثر الأمثلة إثارة للدهشة والعجب، هى الخاصة بحشرة الجُعل. ولقد بينت كل من مواقع اللشت وسقارة خاصة عن أنماط رائعة منها. إنها عبارة عن أحواض صغيرة الحجم، ترجع إلى العصر اليونانى، بها فتحة جانبية - ذات لويحة تنزلق بداخل عدة حزوز - ويعتليها شكل منحوت لمدحرج كرة الروث هذا[٩٥] !

ويعرض متحف اللوفر تمثالاً جيريًا لأحد الإبيس، فى وضع الاسترخاء، وهو فى الواقع بمثابة تابوت. كما أُحصيت أمثلة أخرى فى نطاق جبانة تونا الجبل[٩٦]؛ يحوى كل منها مومياء لطائر.

انتشرت التوابيت الخشبية انتشارًا واضحًا. بل وتنوعت وتباينت إلى أقصى مدى. وتبدو غالبًا فى شكل حاويات بسيطة النمط. وقد غُطت جوانبها بمشاهد مرسومة بالألوان. ولكن، يتراءى أن الكثير منها يعد بمثابة قطعة نحت بديعة فعلاً. إن الحوض الخاص باحتواء المومياء، إما أن يعتليه شكل للحيوان؛ وإما أن يكون تمثالاً له، به جزء غائر، يضم المومياء.

استُعمل النمط الأول خاصة، من أجل قردة البابون فى تونا الجبل[٩٧]. وفى الرواق (C) على مقربة من مقبرة كاهن كبير يُدعى "عنخ حور"، تراصت فوق أرض الحجرات بصفوف من الصناديق الخشبية. وبالموقع ذاته، ولكن بداخل الرواق (A) عُولجت أعداد من الأبيس بالأسلوب ذاته، قطعًا، خلال العصر الرومانى. وكانت الصناديق مُزينة برسوم ملونة، تمثل خاصة، أحد المتعبدين وهو راكع أمام الطائر؛

بالإضافة لبعض الصلوات والابتهالات. وبالنسبة للقردة الزيالة بشمال سقارة، فقد حُفظت هى الأخرى بداخل صناديق، تم وضعها، بعد ذلك فى مقابرها[٩٨]. وكانت بعض الصناديق الأخرى، تحوى مومياوات طيور جوارح فى شمال سقارة أو الجيزة، وعدة كلبيات فى سقارة؛ أو قطط فى طيبة.

وفى أحوال نادرة، بسقارة وتونا الجبل، حظيت بعض قردة البابون بنواويس؛ لتكون بمثابة مأواها الأخير. ربما قد تكون هذه النواويس مجرد استبدال فحسب. إلا إذا كانت تلك القردة ذات قيمة ومكانة خاصتين؛ لا يمكننا تحديدها من خلال معلوماتنا الحالية[٩٩].

غالبًا، كانت التوابيت تبدو حيوانية الشكل تمامًا. فإن الأسماك، مثل سمك البنى (Barbus Bynni) أو "اللامعة"[١٠٠]، التى تعرف بزعنفتها الذيلية الكبيرة، كانت توضع، خلال الفترة اليونانية والرومانية، بداخل علب مطلية بمعجون المرمر ومزينة بالرسوم الملونة، لتبدو فى هيئة سمكة (لوحة ٣٨). ويتم إدخال المومياء من خلال فتحة سفلية صغيرة جانبية. أو أحيانًا، قد يكون النقش مكونًا من قوقعتين مثبتتين معًا. وكذلك كان الأمر أيضًا بالنسبة لتوابيت أسماك القنوم التى اكتُشفت فى "برماشا"[١٠١]: وكانت، بالإضافة لذلك، تزود بتاج.

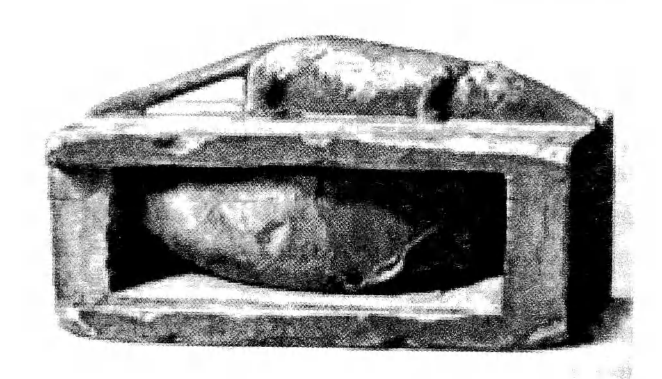
إن الأمثلة الأكثر شهرة، كما سبق أن نوهنا، هى المتعلقة بالقطط. وكان القط يمثل فوق قاعدة، بحيث توضع المومياء بداخل جسم التمثال. وفى هذا المجال، بدت التنوعات كثيرة العدد[١٠٢]. ويُلاحظ أن الرأس كانت تلقى عناية خاصة؛ وغالبًا ما تُذهَّب (قدمت منطقة طيبة عينات رائعة منها). وقزحيات العيون كانت تُنحت من بللورات صخرية، وتُوضع فوق سطح ذهبى. أما حدقة العين، فتبدع من حجر زجاجى أسود اللون؛ وعن الجفون، فمن البرونز. وأحيانًا قد تعتلى رأس برونزية الجزء العلوى من التابوت. ولقد عُثر على مثل هذه الأمثلة فى سقارة.

عامة، كان المبدأ يتلخص فى: استهلال العمل من كتلة خشبية واحدة، نُحتت وفقًا لشكل الحيوان. ثم يتم نشرها رأسيًا إلى نصفين، ويجرى تجويفهما، بحيث يتيسر

إدخال المومياء بهما؛ الصغيرة الحجم عامة. ثم يتم بعد ذلك، رسم جوانب التابوت كله: وبالتالى يساعد ذلك على إخفاء الفتحة. وأخيراً، تُضاف بعض التفاصيل، من أجل إضفاء السمات الخاصة للحيوان.

ويتبين، أن بعض القردة، والطيور الجوارح، والإبيس قد حصلت على تابوت حيوانى الشكل: ويُلاحظ أن نوعيته، كما هو الحال بالنسبة للأسماك والقطط، كانت تتباين وتختلف للغاية.

هناك عدة أنواع أخرى، تمثل الجُعل وفئران الزبابة، أو السحالى والعظايات، تتسم بصغر حجمها الفائق؛ ولذا، كان من الصعب استيعاب مومياواتها بداخل جسم محدب ومُقبب. ولذلك كانت تُهيأ من أجلها توابيت متطابقة معها. وهكذا، يُرى تمثال للحيوان معتلياً قاعدة ما، تحتوى على مومياءه المحفوظة (شكل ١٤٤).



١٤٤- تابوت فأر الزَّباب يحتوى على مومياءه.

كان أسلوب الدفن الأكثر انتشاراً فى مصر، هو الاستعانة بجرار من الطين المحروق، ذات غطاء. وكانت طريقة الحماية هذه تتميز بالبساطة وقلة التكلفة. وكانت الحاويات متباينة ومتعددة الأحجام. ولذا، تستطيع استقبال حيوان واحد أو أكثر. ولكن بحيث لا يكون كبير الحجم؛ على غرار: الجوارح، والثعابين، والعظايات، وفئران الزبابة، والقطط والكلاب. ومع ذلك، نجد أن هذا النمط من التوابيت قد خُصص، أساساً للإبيس فى مدينة حو (ديوسبولس بارفا)، وأبيدوس، وتونا الجبل، وكانوب؛ وفى الباويطى فى "واحة البحرية" وقطعاً، فى سقارة.

وكانت الفخاريات تُصنع غالبًا فى هيئة مجموعات. وتبدو خشنة المظهر، فما عدا بعض الاستثناءات[١٠٣]. وفى شمال سقارة، يُلاحظ أن الرواقين، اللذين لم يُفصحا بعد عن جزء من تشعباتهما، كانا مكتظين من الأرض إلى السقف، بالكثير من الجرار المتراصة فوق بعضها بعض. ولقد أثارت هذه التراكمات دائمًا اهتمامًا كبيرًا من جانب الكثيرين. فها هو "جيفرى سان هيلار" قد لاحظها وبينها خلال الحملة على مصر. فقال: "إنها أقبية بالغة العمق. مُلئت تمامًا بجرار الإبيس، حيث كُدست، بوضعها أفقيًا، على غرار زجاجات النبيذ فى أقبيتنا بفرنسا. وبالطبقة الأولى، بدت، فى المقدمة فتحتها. أما الطبقة الثانية، فقد تراءى قاعها. وهكذا وهَلُم جرا؛ وحتى يصل مستوى الجرار إلى ذروة سقف القبو"[١٠٤]. ويُحتمل أن أكثر من مليون طائر إبيس قد وُضعت بتلك الأماكن[١٠٥].

احتفظ الكثير من مجموعات الآثار المصرية، بجميع أنحاء العالم بمُذخرات (صناديق الذخائر والبقايا المقدسة)، مصنوعة من البرونز، ويعتليها شكل حيوان ما. ولكن، لسوء الحظ، غالبًا ما تكون مجهولة المصدر. ويتبين أن هذا المعدن لم يكن يستعمل إلا لتشكيل أنواع صغيرة الحجم؛ باستثناء الصقر، والقط. إنها فئران الذبابة، والنمس، والثعابين والعظايات والسحالى، والأسماك. وكانت بعد تحنيطها، توضع فى قاعدة هذه المُذخرات، التى تُختم، وأحيانًا تُزود بحلقة. وربما أن هذا الوصف الأخير يُثبت أن هذه المُذخرات كانت تتعلق، أكيدًا، بجوار مذبح ما أو مكان مقدس. فقد عُثر على الكثير منها فى الجبانات، وكذلك بأماكن أداء الطقوس.

ولقد عُثر على بعض المُذخرات الخاصة بصقريات فى "بوتو"[١٠٦]، بالدلتا: فوفقًا لما ذكره "هيرودوت"، أن الصقور كانت تُجلب هناك ويتم دفنها. وتبدو بعض هذه العلب وقد اعتلاها شكل لأحد الطيور الكواس، قد يكون متقنًا بشكل أو بآخر: خاصة بالنسبة لهيئة الريش أو القائمتين. ويعتلى رأسه تاج "البسشنت". أما الجسم المُحنط فكان يُحفظ بداخل الحاوية.

وقد اكتُشفت القطط المصنوعة من البرونز، خاصة فى "تل بسطة"[١٠٧]. وأكثرها شهرة وذيوع صيت، تمثل "باستت" فى هيئة إحدى السنوريات، جالسة. وعادة، تُجرى فتحة الحاويات البرونزية الأكبر حجمًا، أسفل شكل الحيوان: لإدخال مومياء قط صغير. وأحيانًا، يمكن أن تعتلى التماثيل الأقل حجمًا؛ التى قد تكون اثنين فوق مخر واحد، إحدى الحاويات اللازمة لإيواء المومياء.

لا شك أن استعمال البرونز يتميز عن المواد الأخرى: فبالإضافة إلى نوعية الأشكال الإلهية فى هيئة حيوانية، فإنه كان يُتيح أيضًا عرض المُذخرات فى نطاق الأماكن المقدسة، وكذلك الجبانات. فإن هذا المعدن كان يوفر أحوالاً للحفظ أكثر جودة.

الجبانات[١٠٨]

كان إعداد المومياوات يتم بوساطة عدة متخصصين، ومُحنطين، بداخل ورش تقع على مقربة من أماكن الجبانات. ولسوء الحظ، فإننا لم نُحط علمًا إلا بالقليل جداً من هذه الورش. فإحداها توجد فى تونا الجبل، حيث أقيمت بجوار الدرج المؤدى إلى الرواق (C). وكانت أقلاعه تتضمن: نمطًا من الأسِرة الحجرية، مستطيلة الشكل؛ يوجد فى نهايتها مزراب مستدير الشكل، ليكون بمثابة مصب لانسياب السائل المستعمل فى عملية التحنيط. وهناك أيضًا بعض الأوانى والأوعية مليئة بالقير. وكانت لا تزال باقية بالقاعة فى لحظة التنقيب[١٠٩].

بعد ذلك، كانت المومياوات توضع فى سراديب دفن تحت الأرض. وهناك، ووفقًا لتباين أنواعها، كانت تُكدس، بشكل أو بآخر فوق بعضها بعضًا. وعامة، لم يكن هناك فرق بين أى مومياء وأخرى. ولكن قردة البابون كانت تُستثنى من ذلك. ولقد تعددت وكثرت مثل هذه الجبانات فى مصر.

وتباينت واختلفت مساحة كل منها. فأحيانًا لا يمكن أن تضم سوى بضعة مومياوات. أما أكثرها شهرة، فكانت تحوى الآلاف المؤلفة. وبصفة منتظمة، كانت

تُجرى بعض الأعمال من أجل توسيعها حتى يتيسر بذلك إيواء مومياوات جديدة. وكان الأسلوب الأكثر شهرة وذيوع صيت، هو المتميز بشبكة من الأروقة. ويوجد فى كل من "دندرة"، و"أبيدوس"، و"تونا الجبل"[١١٠]، و"سقارة"، أو "أبو قير" (حيث اكتسح البحر سراديب الدفن الخاصة بالإبيس).

وكلما كان الأمر يستدعى دفن بعض المومياوات، كان يتم، بداية من ممر مركزى، حفر أروقة جديدة، أو حجرات. وكان هناك باب لدخول هذا الممر المحورى الذى يمتد ويتعمق بداخل الصخر. وأحيانًا قد تسمح بعض الكوات بدفن عدة مومياوات فى ممر المرور هذا. وغالبًا، كان اختيار الأروقة الجديدة، يرتبط بنوعية الصخر. ولذا وجدنا التخطيطات غير منتظمة !

ضمن الإمكانيات الأخرى، يمكن ذكر المنشآت القديمة، خاصة المقابر، بل وكذلك، أماكن أداء الطقوس. وعن احتلال المقابر، فقد أصبح، خلال الحقبات المتأخرة، ظاهرة، مألوفة وعادية. ولكن، لم تتراءَ إلا فى مصر العليا. ولقد أفصحت إحدى المقابر التى يُظن أنها ملكية فى "ذراع أبو النجا" بطيبة عن معلومات فى هذا الصدد، خاصة بالأبيس، والصقور التى وُضعت بها. وقد أحاطتنا بعض الكتابات علمًا، أن هذه الأماكن قد استُعين بها فى العصر البطلمى، أو بالتحديد فى القرن الثانى[١١١]. ثم ها هو مثال آخر شهير فى بوباستيون سقارة. فإن المقابر التى ترجع إلى الدولة الحديثة، وتقع بالجرف المنحدر، أسفل مكان عبادة "باستت"؛ وبصفة خاصة مقبرة المدعو "مايا" قد أُعيد استعمالها. بل وجُهزت من خلال بناء ممرات فيما بين المقابر وبعضها بعضًا. وذلك، لتوضع بها بعض مومياوات القطط[١١٢]. وبالإضافة لذلك، فقد جُهزت مستودعات، من أجل هذه السنوريات، بخارج الواجهة الجنوبية للجرف الصخرى[١١٣].

فى موقع "الدير"[١١٤]، بواحة الخارجة، وُضع العديد من الكلبيات فى مقابر بشرية ذات الأقبية المتعددة. وهى محفورة على عمق ضئيل. ويمكن الوصول إليها بواسطة إحدى الآبار (لوحة ٧٣). وعلى ما يبدو، أن هذه الجبانة التى تزجع إلى بداية العصر البطلمى، سرعان ما سُلبت ونُهبت. ثم، بعد ذلك بوقت وجيز، أُعيد استعمالها، بعد إصلاحها.

فيما يتعلق بالمعابد، تجدر الإشارة إلى معبد كوم مرح الذى شُيد فى عهد "أنتونين الورع" حيث تكدست مومياوات الغزلان فى إحدى الحجرات[١١٥]. وكذلك المعبد الكبير المكرس لآمون فى الكرنك. وفيه، أسفل الحجرات الخاصة بـ"سوكر"، اكتشف "ماربيت"[١١٦]، العديد من مومياوات التماسيح.

فى كثير من الأحوال، كانت المومياوات، هى الأخرى تُدفن. ففى كوم أمبو[١١٧]، حوت بعض الحفر والآبار، التى تقع بالجزء الرملى بشرق المعبد أعداداً من الإبيس والطيور الكواسر. وفى إسنا[١١٨]، عُثر على كميات ضخمة من أسماك قشر البياض المكرسة لـ"نيت". حيث دُفنت، على عمق طفيف، بالوادى الرملى الذى يمتد بغرب المدينة. أما فى أبيدوس[١١٩]، فقد اكتُشفت عدة جرار ضخمة، تستوعب خاصة عدداً من مومياوات الإبيس: حيث اكتُشفت، بمكان يقع ما بين معبد رمسيس الثانى وشونة الزبيب. أما الحالة المعروفة عن كل من بوباستيس (تل بسطة) فهى مثيرة للاهتمام حقًّا[١٢٠]. فبغرب هذه المدينة، وُجدت بقايا القطط وبعض التماثيل البرونزية الصغيرة، بداخل كوات، أُعدت جوانبها وأعماقها بواسطة قوالب الطوب والصلصال الصلب. وبخلاف هذا المثال الأخير، يلاحظ أن المواقع الأخرى التى تم حصرها، تقع غالبًا فى مصر العليا، حيث توفر التربة أحوالاً صالحة وجيدة للحفظ.

عامة، لم تكن الجبانات تُخصص دائمًا لنوع واحد فقط من الحيوانات. فقد كان يُسمح بجمع عدة حيوانات تكريمًا لإله واحد أو اثنين. وفى المواقع، التى عُبد بها "تحوت"، على غرار تونا الجبل أو هرموبوليس (البقلية) تشارك معًا النوعين الممثلين للإله، وهما القرد الذيال والإبيس. ثم هناك أماكن أخرى قد كشفت عن أبيس تحوت، وقد اختلطت بكواسر حورس؛ خاصة أن هذين الإلهين، كانا غالبًا ما يُعبدان معًا. وبذا، فقد أُحطنا علمًا ببعض الأشخاص الذين كانوا يشغلون فى ذات الحين وظيفة، كاهن كل من حورس وتحوت. ولقد تمت مشاركات متعددة خلال الحقبة المتقدمة والفترة اليونانية الرومانية؛ مثل: فأر الزباب وجوارح حورس؛ والنمس وفأر الزباب (الزبابة) الخاصة بـ"حورس مختنى إرتى".

فى بعض المواقع الكبرى، وُجدت، على مقربة من سراديب الدفن، عدة مقصورات جنازية، كُرست للإله الذى ارتبطت به الحيـوانات المُحنطة. وخلاف ذلك، فإن هذا الأخير، قد يتخذ، عامة هيئة حيوانية. وبذا، فإن الحيوان الذى أُلّه بعد موته، يستطيع أن يمثله. وبذا، ففى تونا الجبل، توجد مقصورة، شُيدت فى عهد بطلميوس الأول، خاصة بـ"تحوت؛ وكذلك بأوزيريس – إبيس وأوزيريس – البابون[١٢١]. وفى سقارة شمالاً، بجوار ناووس أمهات الإبيس، وجدت شبكات ضخمة من الأروقة: حيث تراكمت بها أعداد من الأبيس، والجوارح، والقردة. ولقد حظى كل نوع بمعبده الصغير. ونجد أن ذاك القائم بالأروقة الجنوبية المتعلقة بالإبيس قد كُرس لـ"تحوت العظيم، العظيم". بل وبداية من القرن الحادى عشر، لتحوت العظيم ثلاثًا (هرمس تريز ماجنا)[١٢٢].

قطعًا إننا لم نعرف سوى أمور قليلة جداً عما كان يحدث فى الفترة الوجيزة القائمة ما بين موت الحيوانات التى أُضفيت عليها صفة القداسة وبين إقامتها النهائية فى الجبانات. ولقد علمنا، بفضل صدرى خشبى فى هيئة مقصورة، كان يملكه الكاتب الملكى، المدعو "أمنمس"، وهو محفوظ حاليًا فى اللوفر: أن شعيرة فتح الفم كانت تُمارس. وكانت هذه الشعيرة تُرجع للحيوان، مثل البشر إمكانية الاستعانة بحواسه. وهكذا، يمكنه من الوصول إلى مرتبة أوزيريس[١٢٣].

أما عمليات الدفن، فكان يجب أن تتم فى تواريخ متباينة خلال العام، وفقًا لاختلاف الأمكنة. ولكن، بصفة عامة، يجب أن يتطابق ذلك مع أعياد الإله المعنى. وبالفعل قد بينت بعض الأوستراكا المستمدة من كوم أمبو[١٢٤]، التى ترجع إلى عهد بطلميوس الثانى عشر "نيوس ديونيسوس"، أن دفن الإبيس والكواسر كان يُنظم خلال الأسرار الأوزيرية. وعادة، كان يُجرى كل عام؛ ولكن قد تتغاير دوريتها.

ولقد علمنا أن بعض الجمعيات كانت مُكلفة بتوصيل الحيوانات إلى مأواها الأخير. وهكذا، ففى كوم أمبو، دائمًا، كانت إحدى الجمعيات متكفلة بالتماسيح[١٢٥].

ملايين القرابين

لقد رأينا، من خلال الممارسات التى اتُبعت من جانب المصريين: أن الحيوانات التى أُضفيت عليها صفة القداسة، حتى إذا كانت تعتبر أقل أهمية من الحيوانات المؤلهة، فهى، على غرارها، كانت تمثل تحديًا اقتصاديًا وعقائديًا بداية من الأسرة السادسة والعشرين. ولقد أكد الملوك الصاويون على اهتمامهم بالحيوانات المرتبطة بالقداسة.

قطعًا، لم يكن العاملون المرتبطون مباشرة بالحيوانات على درجة فائقة الأهمية. بالإضافة إلى أن الأمر لم يكن يتطلب أن يؤول أى كهنوت إلى حيوانات ينحصر دورها فى مجرد تمثيل الآلهة. ولكن، كان النظام المُتبع يُحتم عدة إسهامات من ناحية الكثير من الفئات الأخرى. وفى هذا الصدد، يمكن ذكر اسم كل من: الإداريين، والكتبة، ومربى الحيوانات التى سوف تُحنط (ailouroboskoi, ibiobosskoi-Kunoboskoi-) والفلاحين المرتبطين بالأراضى التى يقدم عائدها من أجل غذاء الحيوانات المكتسبة للقداسة، وكذلك، هناك المحنطون، والحرفيون الذين يوفرون المواد الأولية من أجل إعداد المومياوات والتوابيت. وأيضًا مجموعات الجبانة المكلفة بتوسيع مدى دهاليز الدفن. بالإضافة لذلك، إشراك الأهالى الذين يستطيعون المساهمة؛ ليس فقط بمجرد تقديم قرابين؛ ومنها المومياوات التى كانت، تمثل، بكل تأكيد أحد الأمثلة الرائعة؛ بل وكذلك بانتمائهم إلى مجموعات دينية تقوم بتنظيم وإعداد جنازات بعض الحيوانات.

اقتصاديًا، تكوّن رويدًا رويدًا نظام متماسك؛ بفضل المعابد، التى كانت تعمل بمساندة من جانب السلطات. وساعد ذلك حتمًا على إعاشة جزء كبير من الشعب(١٢٦). وتراءى النشاط الاقتصادى، خاصة فى المراكز الواضحة الأهمية؛ بمثابة انعكاس للنشاط الدينى القائم فى مصر. ويُعد العصر المتأخر، بمثابة فترة ازدياد التدين. ولا شك أن الورع تجاه الحيوانات، ليس سوى جزء من

الدفعة الهائلة التى تولدت فى كل أنحاء مصر. وحيث اعتُبرت طقوس الآلهة - الأطفال، بمثابة مثال آخر لها.

ومع ذلك، فإن المصريين لم يتركوا لنا أبداً أية نصوص عن القيمة التى قد أضفوها على أى حيوان. وكذلك، فإن الأمارات التى قد يمكن التقاطها من مختلف الدلالات التى وصلت إلينا، سواء كانت مصرية أم إغريقية، يجب توخى الحذر تجاهها. وذلك، حتى إذا كانت المهمة أقل صعوبة بالنسبة للحيوانات التى أضفيت عليها صفة القداسة .. عن الحيوانات المؤلهة. وربما أن ترجمة كلمة أو عبارة أو تعبير بالمصرية، إلى إحدى لغاتنا الغربية، قد يكون مُصغراً أو مُقللاً، أو لا يشمل القيم ذاتها. وهكذا، فإن كلمة :نثر" التى تُرجمت إلى: "إله"؛ لها معنى أكثر اتساعًا: " فإنها لا تتطابق، حصريًا بما نسميه نحن: "إله". بل أيضًا: بالعفاريت، والأشباح، وبالتشخيصات ذات المفهوم المجرد، وبالملك، والحيوانات، والمتوفين من عامة الشعب. إن الفكرة تتلخص فى: "أن خط الحدود بين الـ"نثر" وغيره، يمر من خلال الشعيرة. فإن "الإله" هو الذى كان، وما زال، ويمكن أن يستمر على شعائره[١٢٧]". ويُلاحظ أن الحيوانات التى أُكسبت صفة القداسة لا تغير قانونها قبل موتها. كما أن التحنيط وقراءة النصوص كانتا تعملان على شعائرية الحيوانات، التى تتحول إلى أوزيريس. إن كل حيوان يصبح: أوزيريس-إبيس، أو أوزيريس-بابون .. ويرتقى نطاق الألوهية.

فى ذات الحين، علينا ألا نتجاهل أبداً كلية الوجود الإلهى، لأن: "أى إله يمكنه أن يوجد فى صورة شعائرية من الحجر أو الخشب، فإنه يستطيع فى ذات الحين أن يدخل فى جسم حيوان ما. ومن خلال الطقوس الحيوانية، وأيضًا فى الأسماء والتجليات، سوف نجد أهلية وكفاءة الآلهة المصرية على توسيع مدى وجودها بشكل قد يكون لا نهائى ! وحيث تتجلى فى شكل إبيس أو تمساح، بل وفى هيئة كل طيور الإبيس وجميع التماسيح"[١٢٨].

ولا شك أن إمكانية تمثيل الإله هذه، هى التى دفعت إلى تحويل ملايين الحيوانات إلى مومياوات، لكى تكون بمثابة قرابين. وعند التحدث عن القرابين، يجب الإشارة

إلى هذه التماثيل الصغيرة البرونزية المتناهية العدد التى عُثر عليها فى المعابد، وفى الجبانات. وقد نُقشت على بعضها إحدى الكتابات، فوق القاعدة، التى تشير إلى اسم المانح، والإله؛ وكذلك التماس بسيط للغاية؛ مثل: التمتع بحياة مديدة. وبخلاف هذه البرونزيات، التماثيل الصغيرة البسيطة؛ فربما يستطيع، من يرغب، أن يقدم مومياء. وهكذا، ظهر الإدماج ما بين قربانين اثنين، كما علمنا آنفًا. وخلال الحقبة المتقدمة بأكملها، أقبل عليه الكثير من الورعين والعُباد.

ربما أن العثور، على تماثيل صغيرة وبعض المُذخرات البرونزية معًا، قد يدفعنا إلى الاعتقاد، فى أن هذين النوعين من القرابين يتقاربان فى القيمة. إذن، فمن هذا المنطلق، يمكننا اعتبار أن المومياوات كانت تتماثل إلى حد ما فى قيمتها مع تماثيل الإله الصغيرة؛ والذى يمثل أحيانًا فى شكل حيوانى. وربما أن هذا الاقتراح قد يدعمه هذا المثال البليغ، للمعبد (C) بمدينة ماضى[١٢٩]: حيث تُرى مومياوتان لتمساحين وقد احتلتا الناووس: فتبدوان إذًا، فى نفس قيمة تمثال الطقوس. عامة، نحن نجهل تمامًا، ما كان يسود على الاختيار ما بين تمثال صغير ومومياء.

قطعًا، إن الأفراد كانوا يستطيعون تقديم مومياوات، بخلاف المُذخرات البرونزية. أولاً، لوجود إهداءات فوق دعامات أخرى[١٣٠]. وخاصة لأن المُذخرات البرونزية، كانت، على ما يبدو غير معروفة فى مناطق جنوب منف.

على مدى عدة قرون، استطاع المؤمنون، أن يقدموا مومياوات، تمثل الإله الذى يرغبون تبجيله ويرجون منه شيئًا ما فى المقابل. وقطعًا، لم يكونوا ليضعوها بأنفسهم؛ لأن مهام الجبانات كانت تؤدى من جانب الخدم التابعين للمعبد.

لقد اكتُشفت ملايين المومياوات فى جميع جنبات مصر (بخلاف تلك التى اختفت). إنها تُعد وكأنها بمثابة عودة ثانية خلال الحقبة المتقدمة وإبان العصر اليونانى الرومانى كله إلى المكانة التى احتلتها العقيدة فى مشغوليات واهتمامات المصريين. بل، لقد اعتُبرت كرد فعل ضد مختلف الغزاة الذين توالوا وراء بعضهم بعضًا فوق عرش القطرين . ويتراءى أن الجبانات، كانت تتواءم مع أهمية المدن التى تحويها.

وربما أن الأمر لا يتعلق بمجرد دلالة فحسب، لورع وتدين خاصين، سادا هذه الفترات المتأخرة. بل بالأحرى، يجب اعتبار المومياوات الحيوانية كفرصة جديدة للمصريين، حتى للأقل حظًا منهم تتيح لهم تقديم قربان إكرامًا لأحد الآلهة. وربما أن تفسير هذا الازدياد، يرجع إلى تطور وتقدم تقنيات عمليات التحنيط، أو تبسيط تعقيداتها فى بعض الأحيان؛ وكذلك، على ما يبدو، إلى ضآلة تكاليفها. فها هو إذن، أمر متوازٍ، ربما قد اقتُرح بالنسبة لمعالجة المومياوات البشرية؛ الأكثر أهمية، فى الحين ذاته، وامتد إلى جميع طبقات الشعب حتى إلى المناطق النائية بمصر.

الفصل الثامن

حيوانات مُصنفة وغير مُصنفة

لقد أتاحت لنا الفصول السابقة الفرصة لمقابلة جزء من الحيوانات المصرية؛ أو حتى عدة حيوانات، كانت خلال العصر المتأخر، قد اختفت من مصر، أو أصبحت نادرة الوجود. ومع ذلك، فهناك عدة مشاكل تُطرح، عند التأمل مليًا للحيوانات، والآلهة والمومياوات الحيوانية التى تُكرس لهؤلاء الأخيرين. وفى بعض الأحيان، تبدو العلاقات ما بين إله ما وحيوان مُحنط، غير مؤكدة للوهلة الأولى؛ فهذه هى الحال بالنسبة لسمك القنوم المُكرس لحتحور. وفى حالات أخرى، يكون مؤكدًا من خلال الصور والأشكال، وجود مشاركة ما. ولكن، مع ذلك، لم تقدم أى مومياء إثباتًا لما بينته الوثائق المصورة، أو النصية. وفى هذا الصدد أيضًا، يجب محاولة تفهُّم هذا الغياب. وأخيرًا، توجد بعض الأمثلة غريبة الشأن لآلهة مصورة من خلال عدة حيوانات؛ لتكون بمثابة تركيبة منها. أما عن حيوان "ست"، فهو يعتبر من الأنواع التى لم تُطابق أبدًا.

عائلات من الحيوانات المُحنطة تكريمًا لإله واحد

لقد سبق أن عالجنا هذا الموضوع بالجزء المخصص بتحنيط الحيوانات. وحتى إذا كان عدد المومياوات التى تمت دراستها منذ حوالى قرن، لا يبدو كبيرًا للغاية بالنسبة لجميع الحيوانات المؤلهة وللعدد الذى لا يُحصى لمومياوات الحيوانات التى اتُخذت كقرابين وأُحطنا بها علمًا. ومع ذلك، فإن الحيوانات التى تم اختيارها لتمثيل إله ما، لم تكن الوحيدة التى حُنطت.

قطعًا، لقد كون المصريون نمطًا من التصنيف المختلف الأنواع. بل وجمعوا جزءًا كبيرًا من الحيوانات في هيئة عائلات. ولا شك أن عناصر هذه الحيوانات هي التي أتخمت بها سراديب الدفن في مصر. إذًا، فإن الوضع لا يتعلق بحيوانات غير مصنفة؛ بل بالعكس. ومع ذلك، فإن هذا المزج قد أثار دائمًا دهشة علماء المصريات الذين كانوا يحوزون على صور وأشكال إلهية ممثلة وفقًا لمعايير مقلوبة تمامًا. فعلى سبيل المثال، مُثل الإله "حورس" على هيئة رجلاً برأس صقر أو على هيئة الصقر شاهين. وكذلك الأمر بالنسبة لـ"سوبك"، فهو يُرى في شكل تمساح، أو بجسم بشرى زُود برأس هذا الحيوان. أما عن آمون طيبة، فغالبًا ما كان يتسم بالخصائص البشرية. ولكن، في بعض الأحيان قد يُقابل وهو في هيئة رجل برأس كبش أو في شكل كبش أو إوزة (شكل ١٤٥).



١٤٥- رأس كبش يمثل الإله آمون - أحد عناصر حلية من الذهب لعقد - من الأسرة الخامسة والعشرين - حاليًا بمتحف المتروبوليتان بنيويورك.

وفي معظم الأحيان، قد توجد في الجبانات حيوانات ممثلة لنوع محدد؛ بصحبة حيوانات أخرى مختلفة. ولذا، نجد أن الإبيس المقدس الممثل لتحوت؛ وهو أحد الأمثلة الشهيرة في مصر القديمة؛ كان يُدفن دائمًا بصحبة إبيس (Plegadis falcinellus).

ويستحيل تمامًا أن يكون المصريون قد أخطأوا في هذا الصدد. لأنهم يعيشون دائمًا بصحبة الطبيعة. وأيضًا، لا يحتمل أن هذا المزج والخلط، قد نتجا عن خداع أو غش ما. إذًا، فهناك افتراض أكثر أهمية، ألا وهو: الإقرار بأن فكرة شمل كل العائلة بتمثيل الحيوان المرتبط بالإله، قد بررته نُدرته وقلته الواضحتين. وربما أن المثال الخاص بالقرد البابون الذي كان قد تلاشى من مصر، يتجه نحو هذا الاتجاه: فإن نماذجه الوحيدة "التي يمكن الاستعانة بها"، كانت تعيش، بالفعل في الأسر. وأخرى، كان الأمر يلزم استيرادها من المناطق التي تعيش بها في حالة وحشية . ومع ذلك، فإن هذه

الحالة، لا تفسر أبداً وجود مختلف أنواع الطيور المائية طويلة السيقان، فى وسط الإبيس[٢]. حتى إذا كانت قليلة العدد. وكذلك لا يوضح وجود عدد من الكواسر الليلية، ضمن صقور حورس[٣]!!

قطعًا، إن التوضيح الأكثر احتمالاً، هو وجود نمط من التصنيف، عُرف بالتأكيد، قبل بداية العصر البطلمي. وها هو ترتيب ما قد ظهر فضلاً عن ذلك، من خلال الدراسة لعلم الحناشة، الذى يرجع إلى تلك الحقبة؛ أو ربما إلى الأسرة الثلاثين؛ حيث تصف الثعابين ولدغاتها. وبها، يلاحظ أن الزواحف رُتبت وفقًا لكل نوع منها. وبذا، فإن الزواحف ذات الأرجل بدت مغايرة تمامًا عن الحيات. كما أُومئ أيضًا إلى ثعابين تنتمى إلى عائلة معينة: "إنه ثعبان (**Le Sedeb**) الذى يرجع إلى عائلة الـ (**Mesou bedesh**) أو: "بالنسبة للثعبان النفاخ فهو حية"[٤].

يتبين أن الجبانات، من جراء استيعابها للكثير من الحيوانات المختلفة الأنواع، ولكن متقاربة جسمانيًا، تساعد على تفهم تلك الروابط. فها هى الغزلان الدوركا والإيزابيلا، قد وجدت معًا، وأحيانًا قد ترافقها عدة أنواع من البقر الوحشى[٥]. أما عن النوعين من قردة البابون؛ وهما (**Papio anubis** و **Papio Hamadryas**) فقد اختلطت أحيانًا بعدد من قردة المغرب والقردة الذيالة (شكل ١٤٦)[٦]. وبجانب القطط، قد يوجد عدد من القطط النمر[٧]. وبين الكلاب، لا يُستبعد أبداً العثور على عدد من حيوانات ابن آوى، والثعالب[٨]. وعلى ما يبدو، أن كل جوارح مصر قد حُنطت ووضعت فى الجبانات ذاتها، إجلالاً لحورس: الباز، والحدأة، والسقاوة، والعُقاب، والصقور والنسور. بالإضافة أيضًا إلى بعض نماذج الكواسر الليلية.



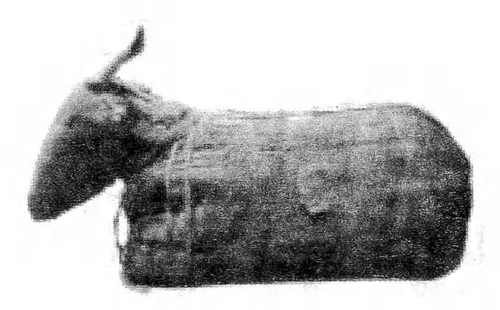
١٤٦- مومياء قرد - عثر عليه فى المقبرة رقم (٥٠) بوادى الملوك، ومن الظاهر أنه حيوان متعلق بمصاحبة الملك أمنحتب الثانى.

ولكن الأمر الأكثر إثارة للدهشة، أن الدراسات التى أُجريت على هذه الطيور، لم تُظهر أى نموذج للنسر شاهين. الذى يعتبر، عامة: "الممثل لحورس"[٩]! وفى "اللشت"، تضمنت الجرار التى اكتُشفت بشمال هرم أمنمحات الأول بعض العظايات والسحالى وحيوانات الورل (نوع من الزواحف). وأخيراً، يُلاحظ أن الكباش والتيوس قد جُمعت معاً. فبعد اختفاء أحد أجناس الأغنام، وهى الـ (**Ovis Longips palaeoaegypt**) التى تميزت بقرونها الملولبة، أمكن إحلالها بـ (**Ovis platyoura aegyptiaca**) أى الكبش ذى قرنى آمون (شكل ١٤٧)؛ أو كذلك، بتيس (شكل ١٤٨). ويبدو أن هذا الاختيار هو الذى ساد فى مدينة "مندس" بالدلتا[١١].

إن هذه الأمثلة، اللازمة لمعرفتنا بالعالم المصرى، وبصفة خاصة بديانته، لا تسمح لنا، بالرغم من ذلك، بتفهم نمط وكيفية تصنيف الأنواع، ومدى انتشار العائلات التى كُونت. ومن الصعب فعلاً، فهم واستيعاب تنظيم هذا الأسلوب بالنسبة للحيوانات التى لم تُحنط مطلقاً.



١٤٧– مومياء كبش – من سقارة.



١٤٨– مومياء تيس – من سقارة.

الحيوانات الغائبة عن
مجمع الآلهة المصرى أو الجبانات

مصر ليست ثرية بالحيوانات. ولكن كل ما تتضمنه منها، وما يعيش مع الإنسان، وما لا يعيش معه، يعتبرها المصريون مقدسة[١٢]. وقد يبدو هذا التأكيد من جانب "هيرودوت" مغالى فيه جداً؛ خاصة فى عصره؛ أى خلال الاحتلال الفارسى الأول. ربما، حينما كان جزءاً صغيراً فقط من الحيوانات، يحق لها التبجيل والإجلال. ومع ذلك، وبمرور الزمن، تزايدت أعداد الأنواع الحيوانية المعينة فى هذا المجال. وكذلك زادت إمكانية المشاركة للحيوان الممثل لإله ما، بفضل نمط من تصنيف لأنواع من الحيوانات الأخرى المنبثقة من العائلة ذاتها. ولقد سمح ذلك بممثلي جزء ضخم من حيوانات مصر .. بأن يُحنط.

ومع ذلك، يتراءى هنا الكثير من الاستثناءات؛ قد سمح لنا، وفقًا لمعلوماتنا الحالية، بأن نصنفهم، من خلال فئتين: الحيوانات التى لا تتسم بأى ارتباط أو صلة إلهية. ثم الأخرى التى قد تكون لها صلة بإله ما، ولكنها لم تُحنط أبداً، أو تُسجى فى أى جبانة.

الحيوانات التى لا ترتبط بأى صلة إلهية

إنها فائقة العدد؛ وتنتمى إلى كل العائلات. فضمن الثدييات، حيث لن نذكر سوى بضعة أمثلة، قد ينتابنا العجب، أن أنواع مثل الضبع، لم يحق لها هذا التقارب الإلهى. ويجب أن نذكر مشاهد تسمين الضباع فوق جدران كل من مصطبتى "كاجمنى" أو "مرروكا" (ينظر شكل ٣٥). إنها تؤكد أن هذا الحيوان كان ينعم، خلال الدولة القديمة، بقدر ما فى إطار حياة المصريين اليومية. وربما أن صنعته كآكل للرمم قد أضرته.

ولكن، ماذا عسانا نقول عن حيوانات مثل النمر والفهد، هذا الأخير المعروف باسم النمر الأرقط. ويُحتمل أن هذين الحيوانين السنوريين كان مقدراً لهما أن يلقيا مصيراً مشابهًا للقطط والأسود؛ خاصة أن سرعة أولهما وقوة ثانيهما، تُعدان كصفات مهمة. كما أنهما قد أثبتا وجودهما في مصر؛ ربما ليس على مقربة من الأماكن المأهولة بالسكان. ويُلاحظ أن الفهد كان قلما يمثل في إطار الفن المصري. ولكن، هناك منظر جميل للغاية لهذين السنوريين بمشاهد حملة بلاد بونت بالدير البحري[١٤]. وعن "الببر" أو النمر المرقط، فيُعرف خاصة بواسطة صور وأشكال لبعض الكهنة والملوك، وقد ارتدوا، في مناسبة أداء المراسم، جلداً لأحد هذه الحيوانات (شكل ٤٩)[١٥].

وكذلك الحال بالنسبة للحصان، فهو غائب أيضاً. فمن المؤكد أن وجوده في مصر كان قد تم منذ وقت وجيز: فلم يدخلها إلا خلال عصر الانتقال الثاني. ومع ذلك، فقد ارتبط ببعض الآلهة الأجنبية، مثل "عشتارت" الربة الفينيقية، التي تمركزت عبادتها، بوجه خاص في منف منذ بداية الدولة الحديثة. ولقد اعتُبرت كابنة لرع؛ فغالبًا ما صُورت وقد امتطت صهوة جواد، أو واقفة فوق عربة. وفي ذات الحين، خلال العصر المتأخر، كان الحصان يرتبط غالبًا بحورس. وهناك الكثير من الأشكال الصغيرة المصنوعة من الطين المحروق البطلمية والرومانية خاصة، مُبينة "حربوقراط" ممتطيًا جواده. بل لقد مثل أحد النقوش البارزة، حورس في هيئة رجل ذي رأس صقر، على حصانه، وهو يطعن بحربته أحد التماسيح الممثل لقوى الشر[١٦].

وربما، في هذا المجال، نجد أن بعض الثدييات الصغيرة قد نُسيت، فهكذا الأمر بالنسبة للعديد من القوارض، التي لا تلقى استحساناً كبيراً، لدورها القائم على تدمير المحاصيل. ولعلنا نتذكر أيضًا أحد آكلي الحشرات، الذي عُرف من خلال الكثير من التعاويذ المصنوعة من الخزف؛ وغاب من النصوص: إنه القنفذ !

ضمن الطيور، يُلاحظ أن كثيراً من أنواعها، لم يرتبط أبدًا بأي إله، مثل طائر البجع أو الهُدهُد. ومع ذلك، فقد تراءى هذا الأخير في الكثير من الرسوم الملونة، وإحداها في مقبرة "خنوم حتب الثالث" (الأسرة الثانية عشرة)، في بني حسن (شكل ٨١).

وكذلك الحال أيضاً بالنسبة للبومة، أو فرخ السمان؛ بالرغم من أنهما شُوهدا كثيراً ضمن الرموز الهيروغليفية الأكثر شيوعاً.

وضمن أعداد أنواع الأسماك، استطاع بعضها، نظراً لحجمها، أن يشتهر مثل قشر البياض. ولكن، فيما يتعلق بالفقهة أو التى اشتُهرت باسم السمكة – القمر، فإنها لم تلق تميزاً يُذكر، إلا بفضل مهارة وبراعة الرسامين؛ وذلك من خلال بعض زخارف عدة مقابر[١٧]. وبوجه خاص: مقبرة "تى" فى سقارة.

وربما أن القائمة كان يجب أن تكون أكثر تفصيلاً، وإسهاباً. وكان الأمر يلزم ذكر كل أنواع الحشرات. وكبداية، النحلة، التى صُورت مراراً وتكراراً لترمز إلى منطقة مصر السفلى باسم "نسو بيتى" الخاص بالملك.

يبدو أن المصريين قد أدمجوا مع الآلهة عدداً من الحيوانات فائقة الأهمية؛ ولكننا، لم نتفهم فى معظم الأحيان، الدافع أو السبب لتلك الارتباطات.

خلاف ذلك، توجد حالات مثيرة للدهشة والعجب، خاصة ببعض الحيوانات التى لم يُعرف ارتباطها بأى آلهة؛ ولكنها، بصفة استثنائية، حُنطت .. ولم نعرف دواعى وأسباب ذلك ! ففى دهشور، بأحد ممرات الهرم المنبعج الشكل الخاص بالملك "سنفرو": اكتُشف، أسفل كتلة حجرية، صندوق خشبى يحتوى على مومياء[١٨]. وبدت هذه الأخيرة سليمة تماماً لم يمسها ضرر. وهى سوداء اللون، وتتشابه بمومياء بشرية صغيرة، يبلغ طولها حوالى ثلاثين سنتيمتراً. وأسفل طبقة القير والضمادات، تراءت: بومة (أم قويق) (من النادر مقابلة هذا الحيوان، الذى يرتبط عادة بالجوارح الليلية) وخمسة هياكل وطاويط. ولا ريب أن هذه المجموعة، قد كُونت فى زمن متأخر جداً. وليس خلال الدولة القديمة . ولا يُفصح، حتى الآن عن أى تفسير. فإن هذين النوعين من الحيوانات لا يتطابقان بأى آلهة معروفة !

الحيوانات المرتبطة بأحد الآلهة، ولكن لا أثر لها بالجبانات

إن تحنيط هذه الحيوانات، ضئيلة العدد، لم تُقره أية أدلة أو براهين نصية؛ ولا أى اكتشافات أثرية. وغالباً أن الأمثلة الأكثر شهرة، فى هذا الصدد، تتعلق بحيوانات ذات صلة بـ"ست". فإن الحمار، والخنزير، أو الخنزير البرى لم يحق لها أبداً الدفن فى مقابر. وربما من السهل تفسير ذلك بنبذ "ست" واستبعاده، الذى اعتُبر، خاصة فى الحقبات المتأخرة. كإله قوى الشر والأذى !

أما عن الحمار (شكل ١٤٩)[١٩]، فإنه عُرف واستُخدم منذ أمد بعيد. فقد صورته بعض المشاهد بمصاطب الدولة القديمة، وهو يُسهم فى مجال الزراعة. فيقوم بدهس وتفكيك الحبوب، ويحمل حزم الغلال. فها هو إذن حيوان بالغ النفع فيما يتعلق بأوجه نشاط الحياة اليومية. ومع ذلك، يتراءى دوره فى النصوص الدينية، عامة، سيئاً ورديئاً. فهو أحد تجليات "ست"؛ خاصة إذا كان شعر جسمه أحمر اللون. وقد صُور أيضاً فى صورة قاتل أوزيريس: بالنصوص السحرية فى الحقبة المتقدمة.



١٤٩- قطيع من الحمير مساقة إلى الحقول - من سقارة - الأسرة الخامسة - حالياً بمتحف ليدن.

الخنزير هو الآخر كانت له صلة بالعالم المصرى، منذ أكثر الأزمنة قدماً[٢٠]. وهو قطعًا من حيوانات الجزارة. ولكن كان يمكن الاستعانة به كذلك، من أجل دهس الحبوب أو دهسها بداخل التربة. وبالرغم من كل ذلك، ووفقًا لما ذكره "هيرودوت"[٢١]، فهو يعتبر نجسًا وغير نقى. فإن "ست" يمكنه أن يتمثل فى هيئة خنزير كبير أسود اللون، يلتهم القمر، أحد عينى حورس. ويتبين أن دور الملتهم هذا، قد قارب ما بين أنثى الخنزير و"نوت" ربة السماء. ولقد اشتهر عن هذا الحيوان أنه يبتلع مواليده . فأصبح أنثى خنزير سماوية: تقوم بابتلاع النجوم كل صباح؛ لكى تلدها فى العالم بالمساء.

وعن الظبى[٢٢]، وهو ظبى أبيض اللون، وقد كان يعانى مثله مثل جميع الحيوانات المُكرسة لـ"ست" .. من شهرته السيئة. ونطاق معيشته، هى الصحراء؛ بالإضافة إلى أن عدم التوفيق فى استئناسه: قد هيأ أيضًا "لفقدانه الحظوة". وكان هذا الظبى يقدم أيضًا كأضحية إجلالاً للكثير من الآلهة: حورس، خونسو، باستت[٢٣]... إلخ. ولكن، لم تُعرف له أى مومياء (لوحة ٧٤).

ومع ذلك، فهناك أحد الحيوانات المُكرسة لـ"ست"، وهو فرس النهر، قد حظى بالتحنيط. وبالتالى، اكتُشفت بعض البقايا، قليلة الكمية حقًا، فى طيبة و"أنتيوبوليس"[٢٤]، و"ماتمار"[٢٥]، تبجيلاً لهذا الإله التيفونى[٢٦]، (التيفون: إعصار استوائى مدمر فى منطقة بحر الصين واليابان، ولقد أطلق الإغريق اسم تيفون على الإله ست). وفيما يتعلق بالمومياوات، فإن الأمر كان يتعلق ببعض العظام، عُثر على بعضها وهى لم تزل ملفوفة بقماش[٢٧].

وعلى ما يبدو، أن هذا الحيوان لم يُدرج أى من أمثاله فى عِداد الحيوانات المؤلهة. ولذا، لم يلق تحنيطًا فعليًا: باهظ التكاليف، بل وصعب للغاية بسبب ضخامة حجم الحيوان.

يبدو أن تكريم وتبجيل "ست"، فى صورة إحدى الحافريات، كان نادرًا؛ ومع ذلك، فإن بعض الوثائق تُعد قديمة جدًا. وفى مدينة "قاو" بشمال أخميم، عُثر على الجزء العلوى لإحدى اللوحات الجيرية، التى ترجع إلى الأسرة التاسعة عشرة[٢٨].

ومن خلالها، يُعرف أن أحد حكام مدينة "تشبوى" بالإقليم العاشر بمصر العليا، يوجه إجلاله وتكريمه لـ"ست"، رب هذا المكان، فى هيئة فرس النهر. ويبدا هذا الحيوان وكأنه واقف فوق قاعدة ما؛ ومن ورائه خلفية من النباتات. وفى هذا الإقليم، كان يُمنع تماماً قتل فرس النهر. أما فى دير المدينة، فإن الكثير من اللوحات وإحدى الشقفات تشير إلى "ست"(٢٩). وها هو أحد الآثار، التى ترجع إلى الأسرة التاسعة عشرة، تصور "نفر رنبت" وهو يعبر عن إجلاله للكبش آمون القائم فوق محراب ومتوج بالريشتين العاليتين وقرص الشمس؛ ويُبدى تبجيله أيضاً لـ"تاورت" فى هيئتها المُهجنة التقليدية وقد تبعها فرسا نهر آخران. ونجد أن أولهما هو "ست الوسيم"، والآخر "ست" ابن "نوت"، أى "ست" أيضاً.

أما عن سمك البلطى (Tilapia nilotica) فهو من الأسماك التى صورت فوق الكثير من الأشياء، وبصفة خاصة: لوحات مواد التجميل(٣٠). وقد عُرف أنه على صلة بحتحور؛ كما تعبر أيضاً عن فكرة مولد الشمس الجديد. ولا بد أن هذا النوع من الأسماك كان يجب أن يتمتع بمثل حظ القنوم وقشر البياض وغيرهما من الـ (Barbus). ولكن، لم تقدم لنا أى جبانة حتى الآن مومياوات لسمكة البلطى هذه !

وهناك عينة أخرى مهمة فى إطار الحيوانات المصرية، يبدو أنها قد تغيبت أيضاً. إنها أنثى الأرنب البرى ذات الصلة بالربة "أونوت". ولقد استُعين بهذا الحيوان من أجل كتابة اسم المقاطعة التى انحدرت منها هذه الإلهة أى الخامسة عشرة بمصر العليا. وفى هذا الصدد كذلك، لم نُحط علماً بأى أثر يتعلق بتربية إناث الأرانب البرية الحية أو بتحنيطها.

وها هو ضيف آخر من ضيوف "القطرين" على ما يتراءى، إنه غائب عن الجبانات. وبالرغم من ارتباطه بالكثير من الأرباب الإناث الحاميات الراعيات. ومنهن؛ "سرقت"، العقرب. أما عن عقرب الماء، فهى من الحشرات التى تعيش فى المياه الراكدة؛ فكان يمكنها أحياناً أن تحتل مكان العنكبوت، لتمثيل هذه الربة. ولم يُعثر أبداً على أثرها.

قطعًا، لا يعبر عدم العثور على آثار تلك الحيوانات الغائبة، عن أن هناك نقصًا في الاكتشافات. فها هو الأسد، الذي اشتهر وذاع صيته من خلال النصوص والكتابات .. لم تظهر له أي مومياء (لم يتبق منها سوى الهيكل)، إلا حديثًا جدًا، في مقبرة السيدة "مايا" بسقارة. وقد عُلم بوجود بقايا أسود مجزأة تمامًا في أماكن أخرى. أما عن الورل، الذي يتراءى أنه قد ينتمي لعائلة العظايات والسحالي، فلم يتم التعرف عليه، كما سبق أن نوهنا آنفًا، إلا في موقع "اللشت". وبدون هذا التنقيب، كان من المستحيل أن نتصور وجود مومياوات لهذا النوع من الزواحف !

موضوع الجنس

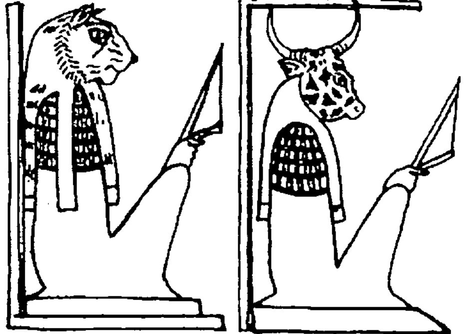
قد يتبادر إلى أذهاننا هذا التساؤل: هل كانت الحيوانات المُحنطة قد أُجرى لها ذلك وفقًا لجنس الآلهة التي ترتبط بها؟ ولا بد أن هذا السؤال يُطرح أساسًا بالنسبة للحيوانات المؤلهة. ولقد أُقر تمامًا أن الأبيس والمنيفيس: ثيران. كما أن جميع البهائم المرتبطة بثور منف، التي دُفنت في سيرابيوم سقارة، وتمت دراستها: كانت ذكورًا. وأحيانًا، قد يقع الاختيار[٣١]، أيضًا على ذكور البقر؛ ولكن تُستبعد البقرات تمامًا. ومع ذلك، كان يوجد سرداب دفن مخصص للبقرات أمهات أبيس "مكان راحة إيزيس أو الإبيس". بل ولقد بين "هيرودوت" قائلاً: "إن البقرات والثيران لم تعامل بنفس الأسلوب"[٣٢].

ولقد ذُكر التفريق ما بين الجنسين بإحدى فقرات كتابات "إلين" عن الغزلان؛ حيث قال: "كان أهالي "قِفْط" أنفسهم يعبدون إناث الغزلان. ويعتبرونها بمثابة مخلوقات إلهية. ولكنهم، في ذات الحين، يُضحون بالذكور. وهم يقولون إن الإناث، هي الحيوانات المرافقة لإيزيس"[٣٣]. ومع ذلك، فمن خلال الدراسات التي أُجريت على الكثير من المومياوات، كان الجنسان يختلطان معًا، بدون أي تمييز، فيما يتعلق بالغزلان المستمدة من جبانات كوم أمبو وكوم مرح[٣٤]. وكذلك الأمر أيضًا بالنسبة لقردة تونا الجبل[٣٥]، أو قطط سقارة[٣٦]، والبلاط[٣٧].

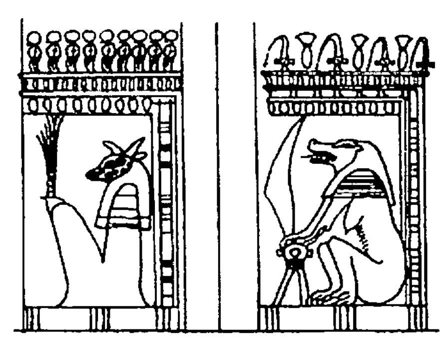
من الواضح إذًا، أن المصريين لم يُفضلوا جنسًا على حساب الآخر تبعًا للإله المُكرم: ما دام الأمر لا يتعلق بالممثل الأوحد للإله المعنى.

الحيوانات مركبة الشكل

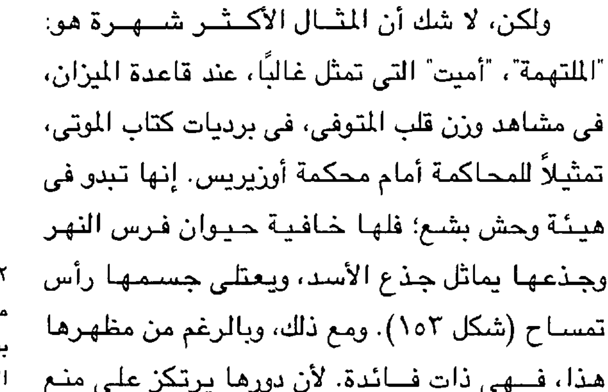
قد لا تكون هذه الفئة فائقة الأهمية؛ ولكنها، قطعًا الأكثر إثارة للدهشة والعجب. ومنذ وقت مبكر، كون المصريون عدة آلهة مركبة من أجزاء حيوانية تشريحية، مستعارة من أنواع مختلفة ومتباينة[٣٨]. ثم ملأوا بها نصوصهم الجنازية بوجه خاص[٣٩]، فتُمثل الجان الحارسون لأبواب العالم الآخر، فى "كتاب البوابات"، فى أجسام بشرية، قد تعتليها رأس بشرى، أو كبش، أو ابن آوى، أو قط، أو حتى ظبى (لوحة ٣٩ وشكل ١٥٠، ١٥١). ولكن، هناك نماذج أخرى من الآلهة، كُونت بواسطة عدة حيوانات متباينة، وذلك خاصة فى كتاب "الإمدوات". حيث نجد أشكال من الجان بجميع الأنواع. ومنها ثعابين لا يمكن تصورها أبدًا. فخلال الساعة الخامسة، يوجد أحد هذه الزواحف، مجنحًا وله ثلاثة رؤوس أما فى الساعة العاشرة، فهناك ثعبان، يُدعى "تشسوحرو – Tchesou-Herou" أُلحقت رأس بكل طرف من جسمه. وله أربع أرجل !! (شكل ١٥٢).



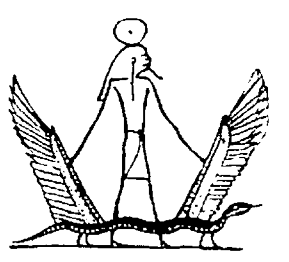
١٥٠– مردة حراس أبواب عالم الموتى – من مقبرة سن نجم بدير المدينة – الأسرة التاسعة عشرة.



١٥١– مردة حراس أبواب عالم الموتى – كتاب الموتى الخاص بالكاتب "آنى" – من طيبة – الأسرة التاسعة عشرة – حاليًا بالمتحف البريطانى.



ولكن، لا شك أن المثـال الأكـثـر شـهـرة هو: "الملتهمة"، "أميت" التى تمثل غالبًا، عند قاعدة الميزان، فى مشاهد وزن قلب المتوفى، فى برديات كتاب الموتى، تمثيلاً للمحاكمة أمام محكمة أوزيريس. إنها تبدو فى هيئة وحش بشع؛ فلها خافية حيوان فرس النهر وجذعها يماثل جذع الأسد، ويعتلى جسمها رأس تمساح (شكل ١٥٣). ومع ذلك، وبالرغم من مظهرها هذا، فهى ذات فائدة. لأن دورها يرتكز على منع الأفراد ذوى القلوب الدنسة غير النقية من دخول العالم الإلهى. عامة، لم تكن تؤدى أية طقوس لجميع هذه الآلهة الثانوية.



١٥٢- ثعبان له أجنحة وحوافر - منظر فى مقبرة الملك تحتمس الثالث بوادى الملوك بغرب الأقصر - من الأسرة الثامنة عشرة.

وما زالت هناك أشكال مُهجنة أخرى، أشهرها هو أبو الهول، وبوجه خاص، ذاك الذى نُحت خلال الأسرة الرابعة، خلال حكم الفرعون "خفرع" فوق هضبة الجيزة. وقد كُرس فى عصر الدولة الحديثة، إلى الإله "حرماخيس"[٤٠]. ومع ذلك، فإن الأمر لا يتعلق هنا بمجرد جمع ما بين إله ما وأحد الحيوانات؛ بل بالأحرى يرمز للملكية. وقد تبدو بعض أشكال أبى الهول بمثابة ثمرة مشاركات أخرى. وبذا، نستطيع أن نجد، ضمن الكثير غيره: أن جسم أسد ما قد اعتلاه رأس كبش. وبالأمام، ما بين قائمتيه، كرمز للحماية، صورة للملك واقفًا. وهكذا، فإن أمثال هذه الـ (Criosphinx) للإله آمون، كانت تُزين الممرات الخاصة بالطواف (الدروموس) بطيبة (لوحة ٢٢).



١٥٣- "عمميت" الملتهمة - من كتاب الموتى الخاص بالكاتب "آنى" - من الأسرة التاسعة عشرة - حاليًا بالمتحف البريطانى.

وها هو مثال آخر؛ للإله "توتو" "بالإغريقية "Tithoès"[٤١]، الذى ظهر فى زمن متأخر؛ بجسم ينتهى بذيل فى هيئة ثعبان؛ وله رأس بشرية، فوقها شعر مستعار وحَيَّة حامية، وتاج. وبهذا الرأس، قد تعلق رؤوس حيوانية أخرى، رمزًا لسلطاته المتعددة (شكل ١٥٤). إنه إله محارب، يستطيع بقوته، أن يُبعد الجان الذين يأتون بالأمراض والموت.

فيما بعد، ظهر شكل الإله ذى رأس التمساح، وذيل فى هيئة أوراوس منتصبة، ورأس بمنظر جُعل مُجنح؛ المنقوش فوق الرداء الكهنوتى المزخرف بشخوص بسقارة؛ والمحفوظ حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة. ومن الواضح أن الأمر يتعلق هنا، بإله ذى سمات شخصية[٤٢]. وتجدر الإشارة أيضًا إلى النموذج المتكرر إلى حد ما المصوِّر للإله ذى رأس الصقر وجسم تمساح: أحد مظاهر حورس (لوحة ٧٥).

هناك إذًا، عدة آلهة، يمكن أن تتراءى فى هيئة خيالية وخارقة للمألوف. وضمنها، يوجد ثلاثة آلهة كبرى، حظيت بطقوس مهمة، وهى: "تاورت"، و"أتوم"، و"ست".



١٥٤- الإله "توتو" على هيئة أبو الهول وبشكل مركب - نقش على لوحة من الحجر الجيرى - من العصر الرومانى - بمتحف ألارد بيرسون بأمستردام.

عامة، عُرفت "تاورت" كحيوان فرس نهر أنثى. ولكن، إذا حاولنا إمعان النظر عن قرب فى هذا الحيوان، الذى مثل شكله لمرات عديدة خلال العصر المتأخر؛ وبصفة خاصة، من خلال تمثال بديع الجمال؛ من حجر الأردواز يرجع إلى الأسرة السادسة والعشرين؛ اكتُشف فى الكرنك: يتبين فعلاً، أن بعض التفاصيل تجعل من ربة الخصوبة هذه كائنًا مُهجنًا (لوحة ٦٤). وحقيقة أن جسمها ورأسها يتطابقان بتلك الخاصة بالحافريات؛ ولكن ذيلها يماثل ذيل التمساح، أما قوائمها فهى تمثل الخاصة بأسد؛ يستند غالبًا على

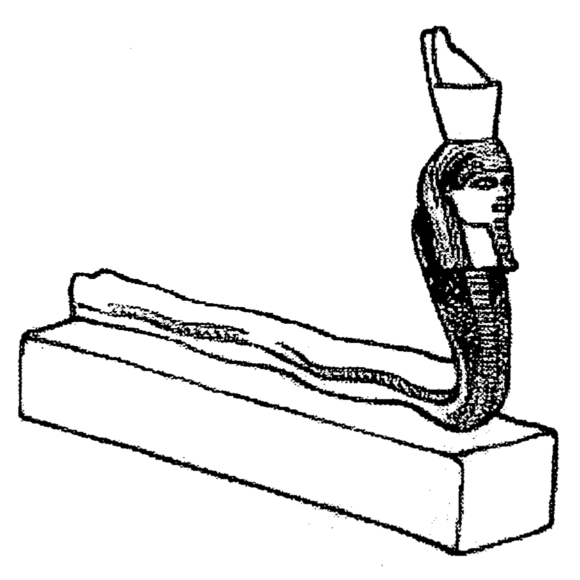
الرمز "سا"، علامة الحماية والرعاية. وأحيانًا، قد تبدو بيدى امرأة. ومما يثير السخرية، ملاحظة: أن المزج بين ثلاثة حيوانات عُرفت بضراوتها ووحشيتها، قد قدم، فى حالة ما، "المُلتهمة العظمى"؛ ثم، نسق بشكل مخالف تمامًا، إلهة تحمى النساء الحوامل والواضعات. ومع ذلك، فإن أفراس النهر قليلة العدد التى وُجدت عظامها ملفوفة بالأقمشة كانت تمثل "ست" وليس "تاورت" أبدًا.

وعلى العكس، فقد كُرست لها سمكة القنوم فى مدينة البهنسا (Oxyrhynchos)[٤٤]، حيث شُيد معبد ضخم تكريمًا للربة؛ بجميع أنحاء المقاطعة الـ (Oxyrhynchite). ولقد مُثلت هذه السمكة من خلال الكثير من التماثيل الصغيرة المصنوعة من البرونز، ويُحفظ حاليًا بمتحف الآثار المتوسطى بمرسيليا، نموذج بديع لها؛ وهو الوحيد الذى تميز بالإهداء المحفور عليه. ومن خلال هذه القطعة الأثرية، سهلة التطابق تمامًا بواسطة "أنفها" المقوسة، تُرى السمكة وقد اعتلى رأسها تاج حتحورى، تصدرت الحية الحامية مقدمته؛ وخلفًا، أُلحقت به حلقة. وقد استقرت السمكة فوق نمط من الزلاجات القائمة على زهرة لوتس. وهذه الأخيرة ذاتها تنبثق من قاعدة ما، نُقشت على جوانبها بعض الكتابات التى تشير إلى "تاورت" أى "العظيمة"، تُرجمت إلى اليونانية بـ"تاوريس". ولا شك أنه قد استُمد من مدينة "برماشا" بجنوب المقاطعة، حيث اكتُشفت نماذج كثيرة أخرى منه[٤٥].

وعن "أتوم" الإله الأول فى هليوبوليس، فهو، من ناحيته، قد صُور من خلال الأشكال البرونزية خلال العصر المتأخر، فى صورة حيوان غير مألوف. وعلى عكس معظم الأشكال الإلهية، حيث توضع رأس حيوانية فوق جسم بشرى؛ بدت صور الإله البدئى هذا، فى هيئة جسم سمكة القرموط يزداد استطالة بواسطة عنق كوبرا، ورأس بشرية متوجة بالبسشنت[٤٦].

ويتبين أن هذه القطع الأثرية الصغيرة، قد اتُخذت من مصادر كثيرة معروفة، مثل: مواقع سقارة[٤٧]، و"نوكراتيس"[٤٨]، و"سايس"[٤٩]. إنها تمثل ذاك الحيوان غير المألوف، ممددًا فوق قاعدة مجوفة، من أجل استقبال مومياء صغيرة الحجم: بكل تأكيد

خاصة بسمكة القرموط (شكل ١٥٥). ويبدو أن هذه السمكة تتطابق بأول إله انبثق من "النون"؛ أى المحيط الأزلى، الذى وُجد قبل الخلق. وربما لا يثير الدهشة وجود عنق الكوبرا على شكل الإله، لأن هذا الثعبان يمثل أيضًا الإله "أتوم".



١٥٥- تابوت لسمكة القرموط برأس أدمية ورقبة كوبرا - حيوان مركب متماثل بالإله أتوم - مصنوع من البرونز - من العصر المتأخر - مجموعة خاصة.

وبالنسبة للإله الثالث، فهو "تيفون" الإغريق؛ أى "ست". إنه فى هيئته الشهيرة، التى عُرفت منذ العصر الثينى، كان يبدو كحيوان خيالى. أو بالأحرى، كانبثاق لعدة تحولات من حيوان واقعى؛ خاصة الكلب السلوقى، والحمار، والأوكابى، وأيضًا خنزير الأرض(٥٠). ومع ذلك، فلم يستطع أحد هذه الاقتراحات أن يُحقق اليقين.

وبالرغم من أن "ست" قد لاقى تبجيلاً وإجلالاً خاصين خلال عصر الرعامسة، باعتباره إلهًا راعيًا وواقيًا للملكية (لوحة ٤٠)؛ فإن الخزى والعار قد أطبقا عليه خلال الحقبة المتقدمة. وذلك، باعتباره قاتلاً لأخيه أوزيريس. وربما أن ذلك كان بمثابة أحد المبررات، التى جعلت الحيوانات المُكرسة له لا تُحنط ! ولكن، باستثناء فرس النهر، بالمدن التى كان يُعبد فيها منذ القِدم.

لا شك أن هذه الأشكال المركبة تعطى لمحة عن مدى ثراء ديانة كانت تتطور تطورًا دائمًا. وذلك، منذ الأمثلة الأكثر قِدمًا التى ترجع إلى أوائل التاريخ، وحتى نهاية الوثنية.

ومن خـلال هذه التكوينات، يمكن أن نلمح مـحـاولات المصـريين، من أجل أن يعـتـرفـوا، على الأقل جزئيًا بالطبيعة المركبة لآلهتهم. ومع ذلك، فإن الصور التى عُرفت الآلهة من خـلالهـا، لا يمكن أن تعـبـر إلا عن القليل جـدًا من مظهـرهـم المتـعـدد. لأنهم "أثرياء بالتجليات".

ولذا .. وكـمـا قـال "إريك هورنـونج": إن الشكل المركب، الذى أثار رفـضًـا خـلال العـصـور الموغلة فى القِدم، ثم بعـد ذلك أيضًـا، ليس فى الواقع سـوى أحـد التكوينات الكثيرة المحتملة. إنه ليس الإله فى حد ذاته، بل هو بمثابة تفسير بصدده[٥١].

خاتمـــة

منذ زمن قريب، أصبحت الحيوانات موضوعًا تاريخيًا[١]. رغم أن بعض الحكايات الخارقة للمألوف مثل "الحيوان الخرافى – Gévoudan" – وهو المثال ذائع الصيت " – قد أثار الاهتمام منذ زمن بعيد[٢].

وفيما يتعلق بمصر القديمة، يتساءل المرء عن هذا الاختيار، الذى يبدو، للوهلة الأولى غريبًا، ألا وهو: إضفاء أشكال حيوانية على الآلهة ! وكذلك عن: اعتبار بعض الحيوانات مجسدة لهذه الآلهة، من خلال شكل حى. ولا شك أن دراسة القيم الرمزية المرتبطة بالحيوانات تُعد على درجة كبيرة من الأهمية؛ لدرجة أنها قد تسمح، إلى حد ما بدخول ما يمكن أن نسميه بالعالم العقلى والذهنى للمصريين فى العصور القديمة. كما أن إضفاء القيمة على وظيفة الأمومة، ومهمتها الغذائية، تتراءى من خلال إشراك الحيوانَ المُرضع والمغذى بكل معنى الكلمة، أى البقرة، مع سلسلة كاملة من "الربات الأمهات". وذلك، بداية من "حتحور"، إلى "إيزيس"، أو "نوت".

كما أن أهمية المعرفة والعلم، قد وُضحت من خلال اختيار حيوان عُرف عنه ذكاؤه وفطنته، مثل قرد البابون؛ من أجل تجسيد "تحوت"، الإله المخترع للكتابة، ورب المعرفة.

وكذلك، فإن العقيدة السلبية بكتاب الموتى، تعبر فى صورة معكوسة عن الاصطلاح الأدبى والأخلاقى عند المصريين خلال الدولة الحديثة. وأيضًا، فإن قائمة الحيوانات التى أضفوا عليها إمكانيات نوعية، قد ساعدت على ظهور القيم التى ارتبطوا بها، والخيرات والمنافع التى كانوا يعتزون بها؛ بل وكذلك الأخطار التى كانوا يخشونها أكثر من كل شيء. وغالبًا، كانت هذه المخاطر ترتبط بالبيئة. وهنا أيضًا، تقوم الحيوانات بدور مهم، على مستوى رمزى وملموس: وبذا، فليس من المصادفة أن

الثعبان هائل الضخامة، أبوفيس يمثل القوى الضارة غير المحددة دائمًا تحديدًا واضحًا؛ التى يُفترض، أنها، فى كل يوم تهدد عودة شروق الشمس، وبالتالى استمرار الحياة فوق الأرض.

وخلاف ذلك، فإن هذه الحيوانات المكلفة بمهمة رمزية ثقيلة الوطء، كانت تتدخل يوميًا فى حياة المصريين وأوجه نشاطهم. ومن هذا المنطلق، تعد دراستها لازمة للغاية ولا تنفصل أبدًا عن تلك المتعلقة بالبشر. ومن قبل، لاحظ "هيرودوت"، أن المصريين قد اعتادوا على العيش مع الحيوانات. ولكن، البشر الآخرين، يُمضون حياتهم، منفصلين عنها(٣).

وربما قد نتساءل بخصوص التكافل والاتحاد القوى الفعلين ما بين الإنسان والحيوان. وأكيد، لا يجب أبدًا تجاهل الضرورات العملية التى دفعت المصريين إلى الاهتمام بالحيوانات المكوِّنة لبيئتهم. وهكذا، فإنهم، طوال أزمنة مديدة، بما فيها الفترة التاريخية، كانوا مضطرين للصيد لكى يحموا أنفسهم ضد الحيوانات الخطرة المُغيرة. وأيضًا، لكى يضمنوا، إلى حد ما قوتهم ومعاشهم. ولكنهم، فى الحين ذاته، منذ وقت مبكر، قد تفهموا المزايا التى يمكن أن يحققها لهم استئناس بعض الحيوانات. وهكذا، فإنهم حتى أواخر الدولة القديمة، قد حاولوا استئناس أنواع، نعتبرها نحن فى وقتنا الحالى: "مفترسة وكاسرة"، تمامًا؛ مثل: الضباع، والظباء، والكراكى.

وهناك قطعًا المزايا العملية: فلا شك أن الاستعانة بالحيوانات لأغراض غذائية، قد اعتُبر من الأولويات؛ ولكنها، منذ وقت مبكر، كانت بمثابة مساعدة لازمة فيما يختص بأعمال الحقول، واستغلال المناجم والمحاجر، ونقل المواد واللوازم، والحبوب والغلال.

ولكن، بالإضافة لما تقدمه الحيوانات من منافع عملية، يتراءى أن المصريين قد استحسنوا وقدروا صفاتها كمرافق ومُصاحب. ونحن لا نخص بعبارة "حيوانات المرافقة" الكلاب والقطط فقط؛ بل وأيضًا القردة أو الغزلان. ويكفى أن نفكر فى تلك الإيعازات الودود التى يوجهها رعاة البقر لبقراتهم، من خلال النقوش الغائرة التى ترجع إلى الدولة القديمة.

قطعًا، إننا لا نزمع إضفاء سمة المثالية على علاقة؛ لا نملك سوى انعكاسها الطفيف، من خلال أعداد ضخمة من الصور والأشكال. كما أن المصريين لم يمتنعوا أبدًا عن قتل والتهام الحيوانات، بما فيها التى كانت تعيش معهم؛ وقريبة تمامًا منهم. بل، لقد ذبحوا منها كميات هائلة من أجل تقديمها للآلهة فى هيئة مومياوات .. وقد يبدو ذلك متناقضًا إلى حد ما !

ولكن، يبدو واضحًا أنهم لم يعتبروها أبدًا كمخلوقات "متدنية"، وكائنات، يتحتم أن تكون تابعة للإنسان. ومن الواضح أنهم لم يتسموا مطلقًا، بما كان يرتكز عليه، فى المجتمعات المسيحية السلوك تجاه الحيوانات. بمعنى: التعارض الجذرى بين الإنسان الذى خُلق فى صورة الإله، وبين الحيوان، المخلوق الناقص، الدنس؛ الذى تُنكر عليه أية مساهمة فى "الإدراك". بل، لقد أُعزيت إليه مسئولية إجرامية: حيث عبرت عنها القضايا التى أُقحمت بها بعض الحيوانات، بجميع أنحاء أوربا، فى الفترة الواقعة ما بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر[٤].

على ما يبدو إذًا، أن التلاقى ما بين البشر والحيوانات، فى مصر، يقتضى التفكر والتمعن فى الذاتية والأدوار، لكل من هؤلاء وأولئك. ولا شك أن هذا التأمل لم يُوضح أبدًا فى النصوص النظرية[٥]، لكن، تُرجم من خلال التصرفات والممارسات: التى لا تزال تثير العديد من التساؤلات.

تتابع العصور فى مصر القديمة

عصر ما قبل الأسرات

- ~ ٣٠٠٠ ق.م.: توحيد مصر؛ حورس نعرمر.

العصر الثينى (~٢٩٥٠ – ~٢٦٣٥ ق.م)

- (~ ٢٩٥٠ – ~ ٢٧٨٠) الأسرة الأولى (حورس عحا، وجت، ودن).
- (~ ٢٧٨٠ – ~ ٢٦٣٥) الأسرة الثانية (بر إيب سن، وخع سخموى).

الدولة القديمة (~٢٦٣٥ – ~ ٢١٤٠ ق.م)

- (~ ٢٦٣٥ – ~ ٢٥٦١) الأسرة الثالثة (جسر).
- (~ ٢٥٦٠ – ~ ٢٤٥٠) الأسرة الرابعة (سنفرو، وخوفو، وخفرع، ومنكاورع).
- (~ ٢٤٥٠ – ~ ٢٣٢١) الأسرة الخامسة (ساحو رع، ونفر إير كا رع، ونى أورسر رع، وأوناس).
- (~ ٢٣٢١ – ~ ٢١٤٠) الأسرة السادسة (تيتى، وبيبى الأول، وبيبى الثانى).

عصر الانتقال الأول (~ ٢١٤٠ – ~ ٢٠٢٢ ق.م)

- انهيار فى السلطة السياسية، وتقسيم وتفتيت مصر.
- الأسرات من السابعة إلى العاشرة، مقرها فى منف، وهرقليوبوليس.

الدولة الوسطى (~ ٢٠٢٢٢ – ~ ١٦٥٠ ق.م)

- ~ ٢٠٢٢ : إعادة توحيد مصر بقيادة منتوحتب الثانى، وقيام الأسرة الحادية عشرة.
- (~ ١٩٩١ – ~ ١٧٨٤) الأسرة الثانية عشرة، أمنمحات (من الأول إلى الرابع)، وسنوسرت (من الأول إلى الثالث).
- (~ ١٧٨٤ – ~ ١٦٥٠) الأسرة الثالثة عشرة، عدد من الملوك باسم سوبك حتب. والأسرة الرابعة عشرة.

عصر الانتقال الثانى (~ ١٦٥٠ – ~ ١٥٣٩ ق.م)

- من الأسرة الخامسة عشرة إلى السابعة عشرة.
- احتلال الهكسوس لمصر.

الدولة الحديثة (~ ١٥٣٩ – ~ ١٠٦٩ ق.م)

- (~ ١٥٣٩ – ~ ١٢٩٣) الأسرة الثامنة عشرة. تحرير مصر على يد أحمس الأول: عدد من الملوك باسم أمنحتب (من الأول إلى الثالث)، والتحامسة (من الأول إلى الرابع)، وحتشبسوت، وأخناتون، وتوت عنخ آمون، وحورمحب.
- (~ ١٢٩٣ – ~ ١١٩٠) الأسرة التاسعة عشرة (سيتى الأول، ورمسيس الثانى، ومرنبتاح).
- (~ ١١٩٠ – ~ ١٠٦٩) الأسرة العشرون (رمسيس الثالث، من رمسيس الرابع إلى الحادى عشر).

كبار الكهنة: حريحور يتولى السلطة على طيبة.

عصر الانتقال الثالث (~ ١٠٦٩ – ~ ٦٥٦ ق.م)

- تسلسل أحداث غير منتظم: عدة أسرات تحكم فى وقت واحد.
- (~ ١٠٦٩ – ~ ٩٤٥) الأسرة الحادية والعشرون فى تانيس (سمندس، وبسوسنس، وسيا آمون).
- (~ ٩٤٥ – ~ ٦٦٠) الأسرة الليبية (مجموعة من الملوك باسم شيشانق، وأوسركون).
- (~ ٧٨٧ – ~ ٧٢٠) الأسرة الثالثة والعشرون (أوسركون الثالث، وتاكيلوت الثالث).
- (~ ٧٢٠ – ~ ٧٥١) الأسرة الرابعة والعشرون (تف ناخت، وبوخوريس فى سايس).
- (~ ٧١٥ – ~ ٦٥٦) الأسرة الخامسة والعشرون الإثيوبية (شباكا، وطهارقا، وتانوت آمون).

العصر المتأخر (~ ٦٥٦ – ~ ٣٣٢ ق.م)

- (~ ٧٠٠ – ~ ٥٢٥) الأسرة السادسة والعشرون الصاوية: ملوك باسم بسمتيك (من الأول إلى الثالث)، ونكاو، وأبرييس، وأمازيس).
- (~ ٥٢٥ – ~ ٤٠٤) الغزو الفارسى الأول: الأسرة السابعة والعشرون.
- (~ ٤٠٤ – ~ ٣٤٣) الأسرة الثامنة والعشرون إلى الأسرة الثلاثين. نختانبو الأول والثانى.
- (~ ٤٣١ – ~ ٣٣٢) الغزو الفارسى الثانى.
- (~ ٣٣٢ – ~ ٣٣١) الإسكندر الأكبر فى مصر.
- (~ ٣٢٣ – ~ ٣٠٥) القائد بطلميوس بن لاجوس حاكم مصر.

العصر البطلمى (~ ٣٠٥ –~ ٣٠ ق.م)

– ~ ٣٠٥ : بطلميوس يحصل على لقب ملك.

– (~ ٢٨٤ – ~ ٢٤٦) حكم بطلميوس الثانى.

– (~ ٢٤٦ – ~ ٢٢١) حكم بطلميوس الثالث.

– (~ ٢٢١ – ~ ٢٠٤) حكم بطلميوس الرابع.

– (~ ٢٠٤ – ~ ١٨٠) حكم بطلميوس الخامس.

– (~ ١٨٠ – ~ ٥١) نزاعات أسرية، واضطرابات فى توريث الحكم.

– (~ ٥١ – ~ ٣٠) حكم كليوباترا السابعة.

العصر الرومانى (~ ٣٠ ق.م. – ٣٩٥ ميلادية)

– ~٣٠ : مصر تصبح إقليمًا رومانيًا.

– ٦٩: الفيالق العسكرية فى مصر تقوم بتنصيب فسباسيان إمبراطوراً.

– (١١٥ – ١١٧) مكائد اليهود أيام الإمبراطور تراجان.

– ١٣٠: رحلة هدريان إلى مصر.

– (١٧٢ – ١٧٣) ثورة الرعاة، وهى ثورة عنيفة قام بها المصريون تحت زعامة أحد الكهنة ويدعى إيذيدور.

– (١٩٩ – ٢٠٠) رحلة سبتيميوس سيفيروس إلى مصر.

– ٢١٥: رحلة كاراكالا إلى مصر.

– (٣٠٣ – ٣٠٤) حكم ديوكليتين.

– (٣٩١ – ٣٩٢) مراسيم تيودوس.

– ٣٩٥: تقسيم الإمبراطورية بين كل من هونوريوس وأكاديوس.

– أصبحت مصر منذ ذلك الوقت جزءًا من إمبراطورية الشرق حتى الفتح العربى.

وصف اللوحات



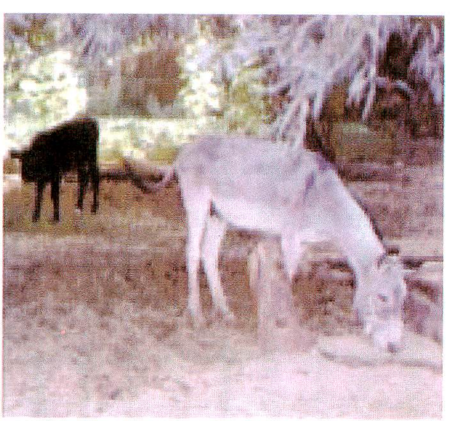
١- منظر لصياد تتبعه كلابه مرسوم على قطعة من الطين المحروق - عصر ما قبل الأسرات - أسوان - معبد النوبة.



٢- مشط تعلوه زخرفة تمثل زرافة مع ابنها الصغير - منحوت من العاج - عصر ما قبل الأسرات - أسوان - متحف النوبة.



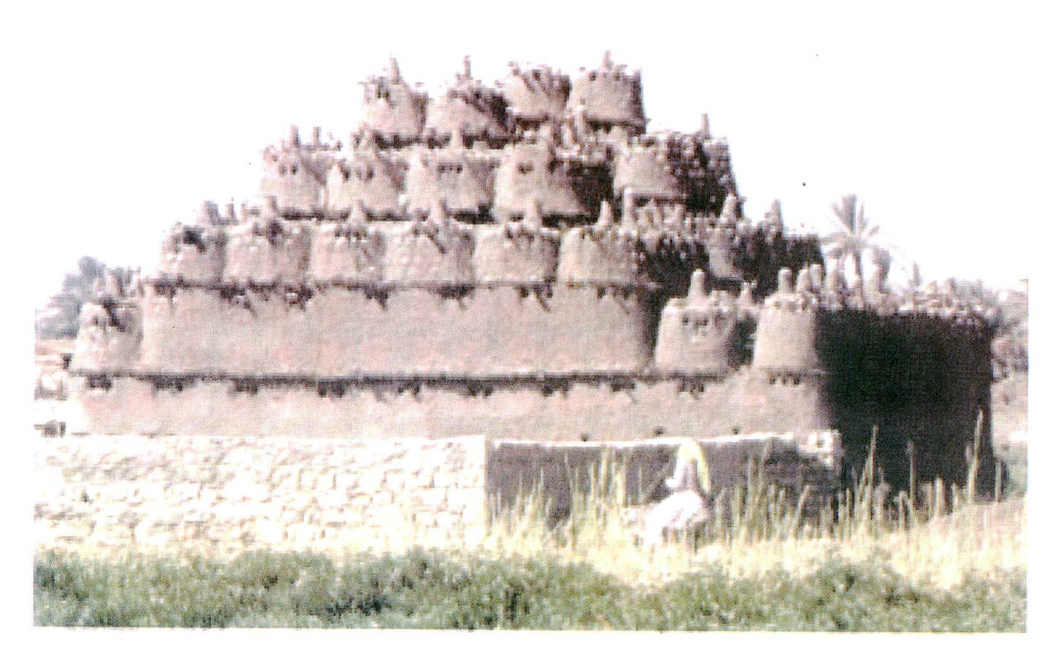
٣- منظر داخل قناة محفورة فى باطن الأرض - أم الدباديب بالواحات الخارجة.



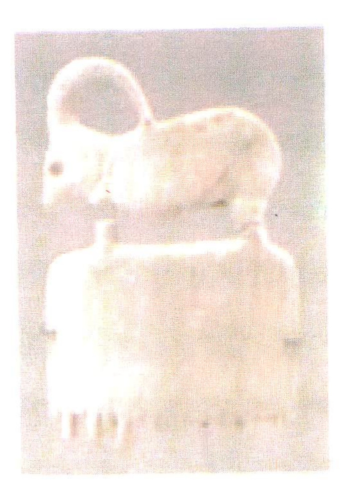
٤- حمار فى مرعى - الواحات الخارجة.



٥- إحصاء قطيع من المواشى - نماذج منحوتة من الخشب الملون - مـقـبـرة مكت رع - الدير البـحـرى - حـوالى الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة - حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة.



٦- أبراج حمام حديثة - صورة أخذت فى مدينة الفيوم عام ١٩٨٧



٧- مشط محلى من أعلى بشكل يمثل وعلاً - من العاج - عصر ما قبل الأسرات - متحف اللوفر.



٨- منظر صيد يطارد فيه كلب غزالاً بينما يطبق آخر فمه على عنق غزال آخر - قرص من حجر الدهن مرصع بأحجار ملونة - مقبرة حماكا - سقارة - الأسرة الأولى - المتحف المصرى بالقاهرة.



٩- قرد البابون يعتلى رأسه قرص الشمس فوق هلال القمر - من الحجر الرملى - أسوان - متحف النوبة.



١٠- قطعة لعب عبارة عن أسد من العاج - عصر ما قبل الأسرات أو الأسرة الأولى - متحف اللوفر.

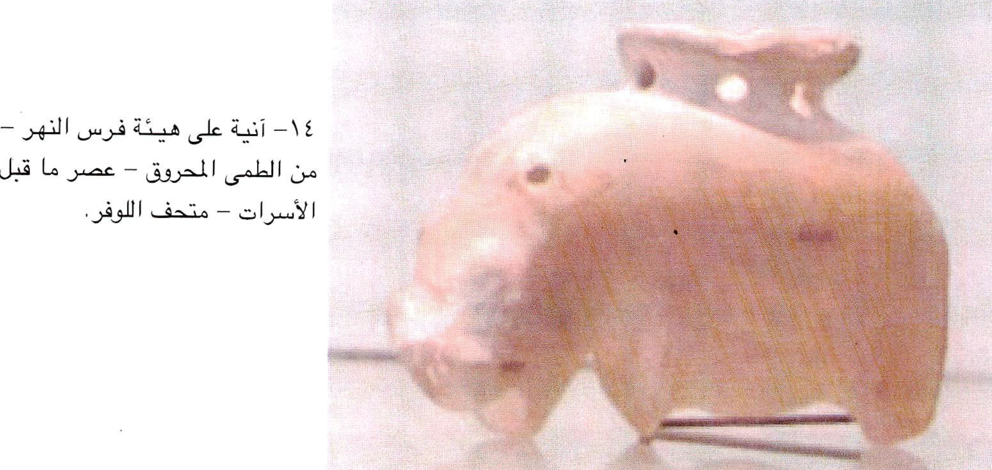


١١- رأس أسد تمثل جزءًا من أثاث جنازى - منحوتة من الخشب المذهب - ذى عينين مرصعتين - الدولة الحديثة - متحف اللوفر.

١٢- بطة برية تطير فى الأحراش - بلاطة من الخزف - عصر العمارنة - متحف اللوفر.



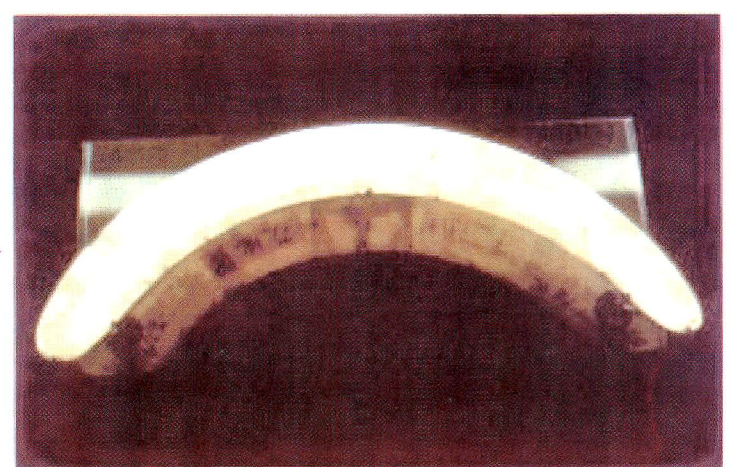
١٣- فـرس النهـر - من الخـزف المزجج - دراع أبو النجا - الدولة الوسطى - متـحف اللوفر.



١٤- آنية على هيئة فرس النهر - من الطمى المحروق - عصر ما قبل الأسرات - متحف اللوفر.



١٥- أنثى فـرس النهـر فى حـــالة وضع فى حين نرى تمساحًا يترقب المولود الجديد - مصطبة إدوت - سقارة - الأسرة السادسة.

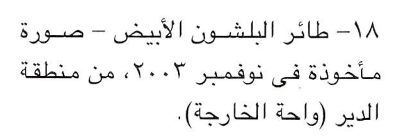


١٦- عصا سحرية بأشكال لحيوانات حقيقية وخيالية منحوتة من عاج فرس النهر - الدولة الوسطى - متحف اللوفر.



١٧ - ضفدعتان من الخزف المزجج - العصر المتأخر - متحف اللوفر.

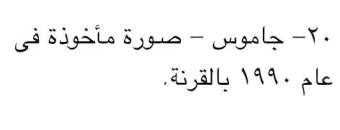




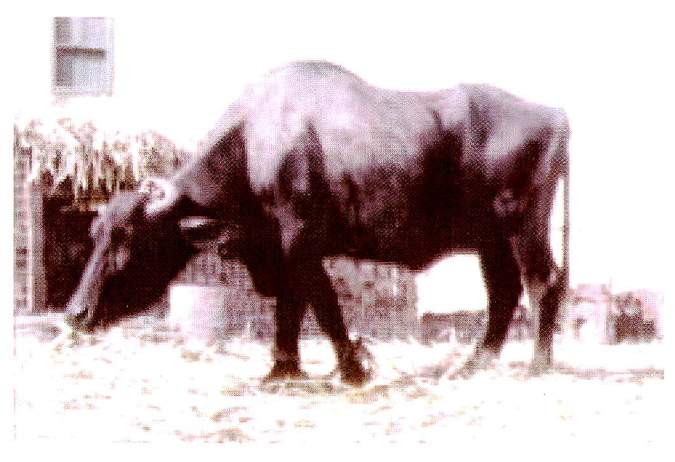
١٨- طائر البلشون الأبيض - صورة مأخوذة فى نوفمبر ٢٠٠٣، من منطقة الدير (واحة الخارجة).

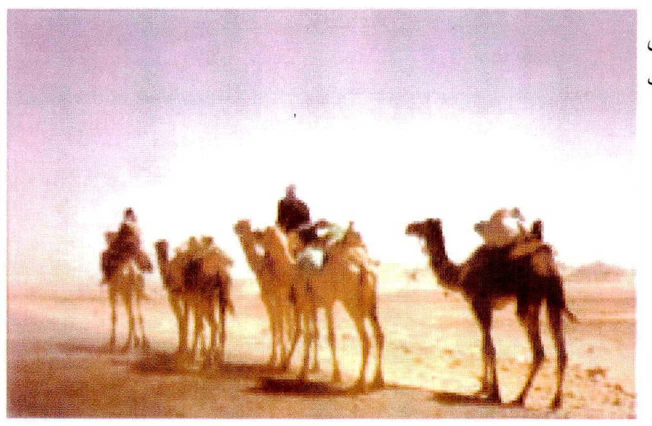


١٩- طائرا لقلق - قرص من حجر الدهن - مقبرة حماكا - سقارة - الأسرة الأولى - حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة.

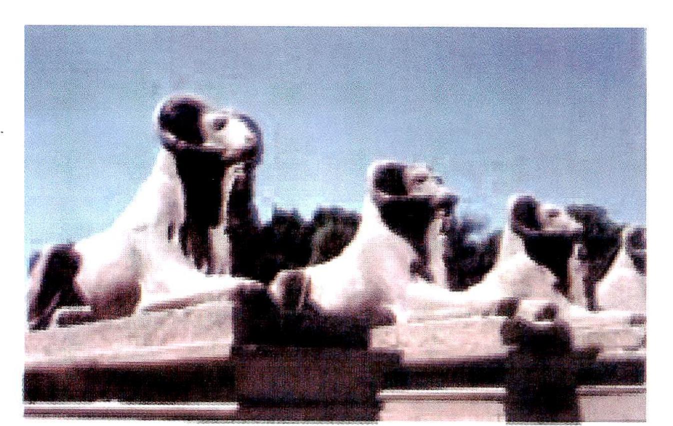


٢٠- جاموس - صورة مأخوذة فى عام ١٩٩٠ بالقرنة.

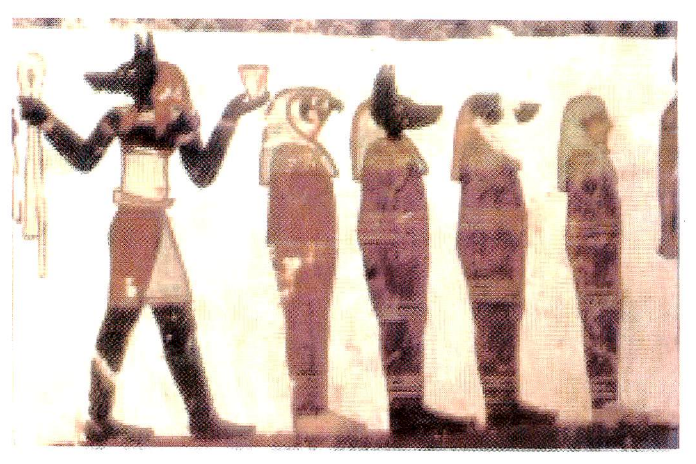




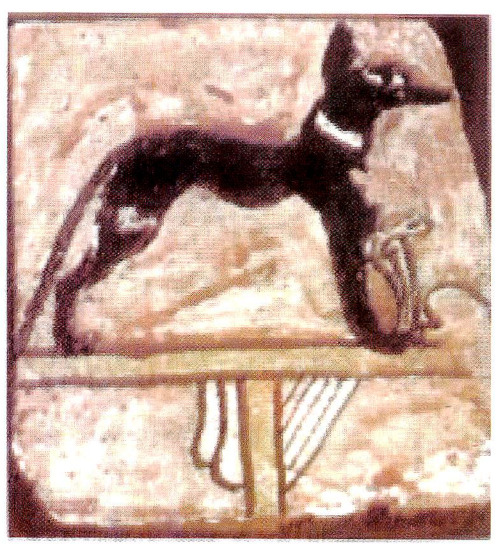
٢١- قافلة جمال - صورة مأخوذة فى عام ٢٠٠٣، فى الصحراء بين الواحات البحرية والواحات الداخلة.



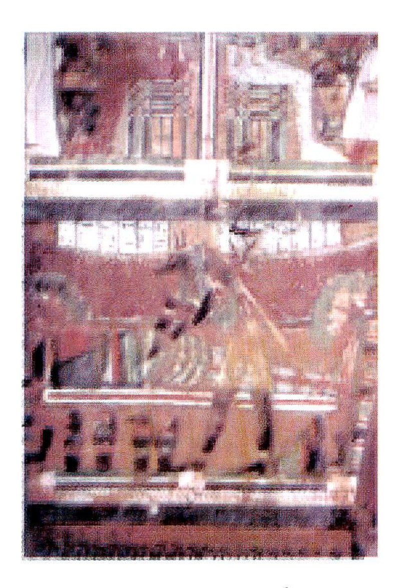
٢٢- صف من طريق الكباش - معبد آمون بالكرنك - الأسرة التاسعة عشرة.



٢٣- أولاد حـــورس الأربعـــة وخلفهم نرى الإله أنوبيس - رسم على حــائط من الجص الملون - مـقـبـرة بيـتـوزيريس بالمزوّقـة (الواحات الداخلة)، القرن الثانى الميلادى.



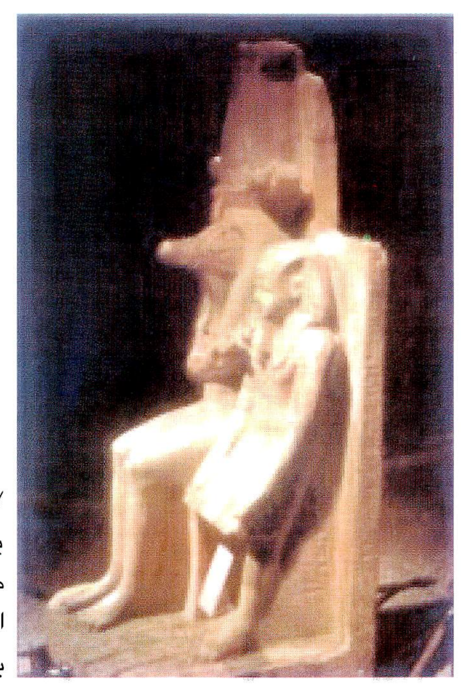
٢٤- الإله أوبواووت فـوق شـارة. لوحـة من الخشب المغطى بالجص الملون، وهى عبارة عن عنصـر لأثاث جنائزى، جـبـانة الدير (الواحـات الخـارجـة)، مـقـبـرة رقم ن٧ من أواخر العصر البطلمى.



٢٥- الإله أنوبيس ينحنى على مومياء مسجاة على سرير جنازى، تحته نجد أوانى كانوبية. رسم على تابوت لأحد الكهنة. من الخشب المغطى بالجص الملون. يرجع تاريخه إلى الفترة ما بين الألف الثانية والأولى قبل الميلاد.



٢٦- الإلهة سخمت برأس لبؤة - من الخشب المذهب - الأسرة الثامنة عشرة - المتحف المصرى بالقاهرة.



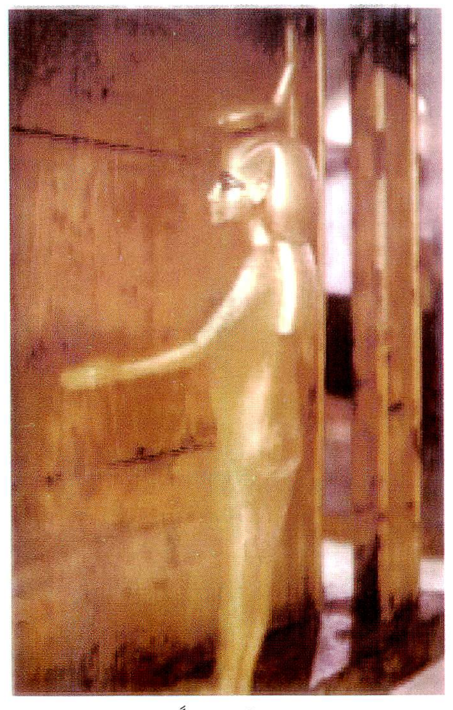
٢٧- الإله سوبك برأس تمساح يحمى الملك أمنحتب الثالث. منحوت من المرمر المصرى - من الأسرة الثامنة عشرة - حاليًا بمتحف الأقصر.



٢٨- رأس للإلهة تاورت على هيئة فرس النهر تكوِّن جزءًا من سرير جنائزى. من الخشب المذهب - من مقبرة توت عنخ آمون بوادى الملوك بطيبة - الأسرة الثامنة عشرة - حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة.



٢٩- سيدة فى وضع تعبدى أمام الإلهة "مرسجر" على هيئة الكوبرا، ويتبعها ثمانية عشر ثعبانًا صغيرا - لوحة من الحجر الجيرى الملون - متحف اللوفر.



٣٠- الإلهة سرقت على رأسها غالبًا حشرة العقرب تحت مظلة تحمى ناووسًا يحتوى على الأوانى الكانوبية الخاصة بالملك توت عنخ آمون - وادى الملوك بطيبة - الأسرة الثامنة عشرة - حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة.



٣١- قرود متعبدة للشمس تحيط بإحدى المسلات - حاليًا بمتحف النوبة بأسوان.



٣٢- العجل أبيس مرسوم على لافتة تفسير الأحلام فى سيرابيوم منف - لوحة من الحجر الملون - سقارة - السيرابيوم - حوالى عام ٢٠٠ قبل الميلاد - حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة.



٣٣- رجل فى وضع تعبدى أمام العجل أبيس - لوحة من الحجر الجيرى الملون - سقارة - السيرابيوم - العصر المتأخر - متحف اللوفر.



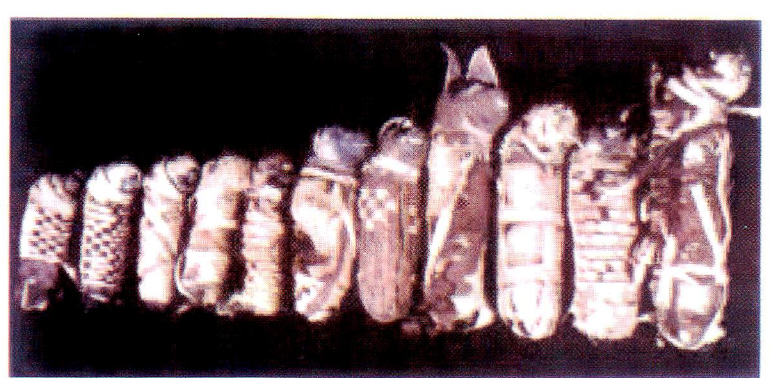
٣٤- الملك بطلميوس الخامس يقوم بتقديم رمز الحقول إلى الثور بوخيس - لوحة من الحجر الجيرى الملون والمذهب - من أرمنت عام ١٨١ قبل الميلاد - حالياً بالمتحف المصرى بالقاهرة.



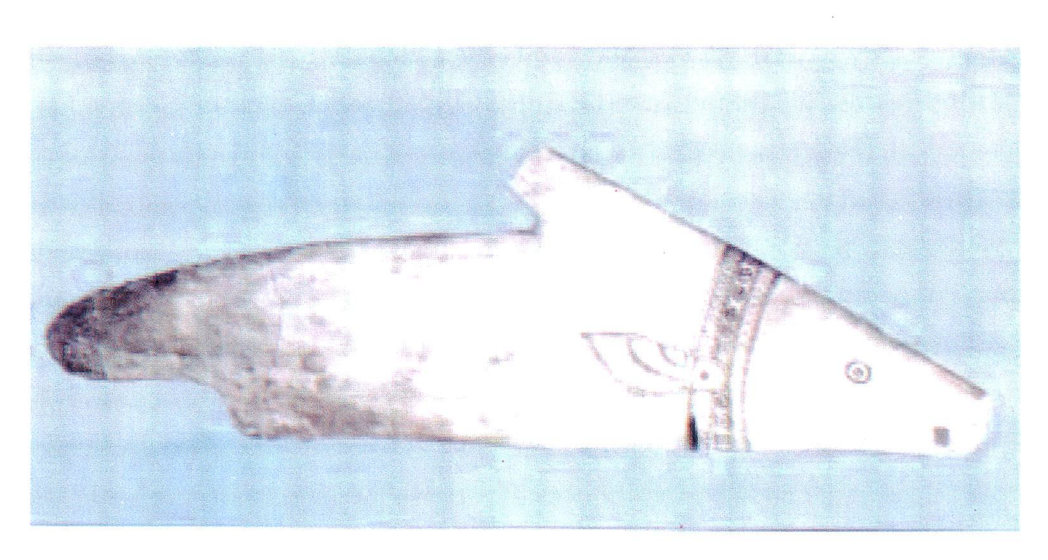
٣٥- مومياء لكبش بقناع وواق للصدر - من الكتان المقوى والملون والمذهب - من إلفتين - العصر المتأخر ... متحف اللوفر.



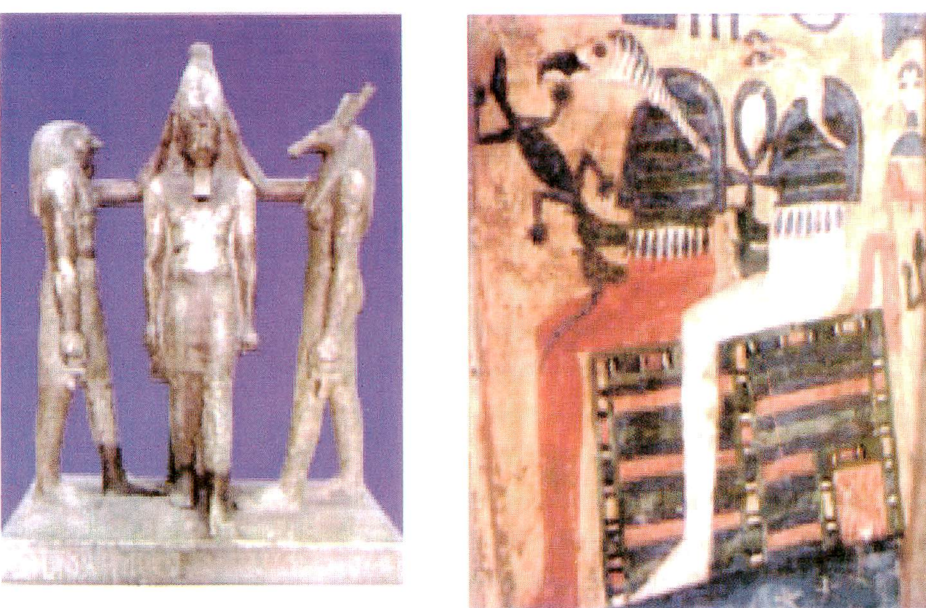
٣٦- مومياوات كباش بأقنعة من الكتان المقواة والملونة والمذهبة (الواحات الداخلة) - العصر الرومانى.



٣٧- عدد من المومياوات الخاصة بكلبيات (فصيلة الكلاب من اللواحم تشمل الكلب وابن آوى والثعلب والذئب) - جبانة الدير (الواحات الخارجة) مقبرة رقم ٩ - العصر الرومانى.



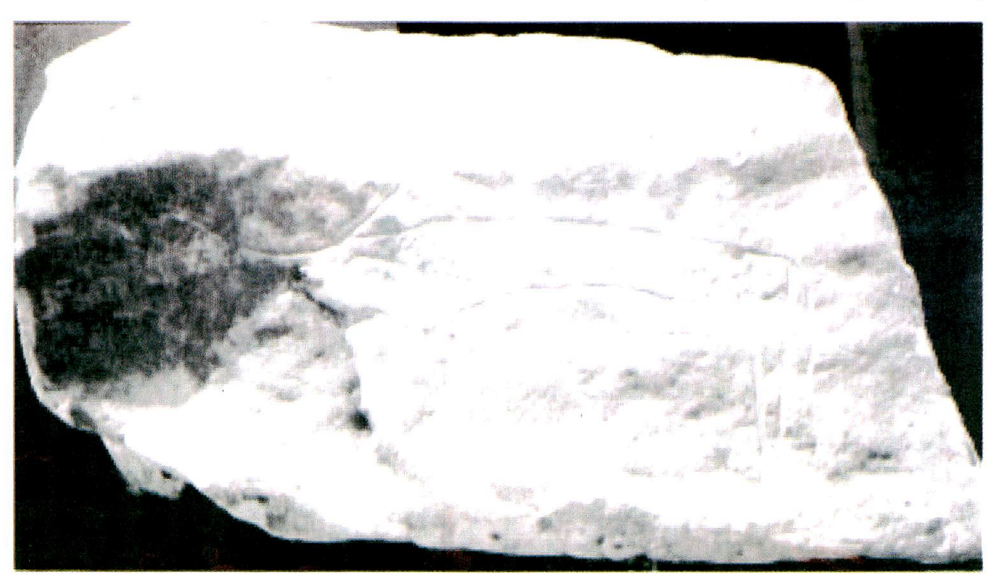
٣٨- تابوت لسمكة بداخله مومياؤها - من الخشب الملون - العصر المتأخر - متحف اللوفر.



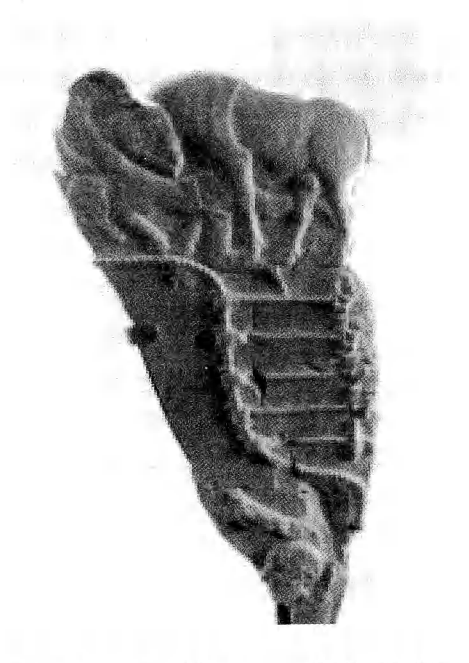
٣٩- آلهة جنائزية، إحداها برأس أنثى النسر وتمسك بيدها سحلية، والأخرى لها رأس ثعبانين وتمسك علامة الحياة (عنخ) - تابوت من الخشب المغطى بالجص الملون - يرجع تاريخه إلى الفترة ما بين الألف الثانية والأولى قبل الميلاد - الأقصر - متحف التحنيط.



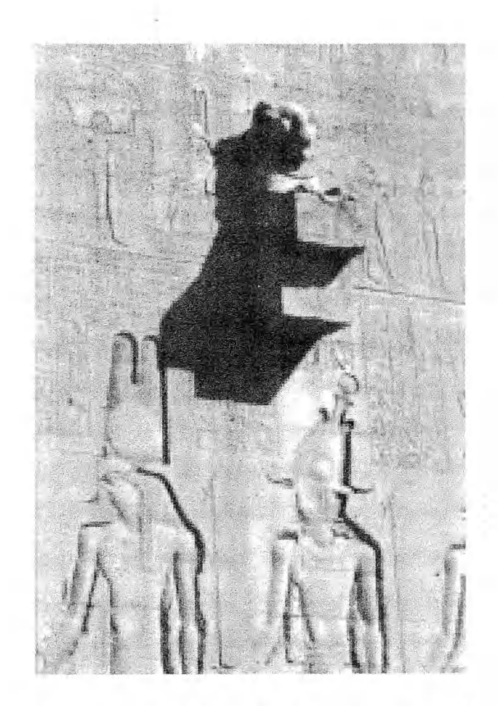
٤٠- الملك رمسيس الثالث فى حماية الإله حورس والإله ست - من الجرانيت - مدينة هابو - الأسرة العشرون - حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة.



٤١- شكل تجريدى لبقرة - منحوت على صخرة - من عصر ما قبل الأسرات - أسوان - متحف النوبة.



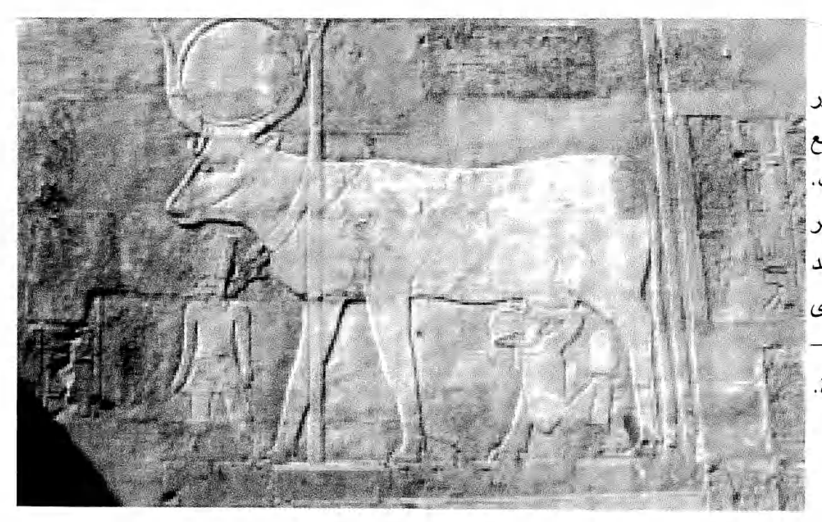
٤٢- لوحة الثور - حجر الشست - من عصر ما قبل الأسرات - حالياً بمتحف اللوفر.



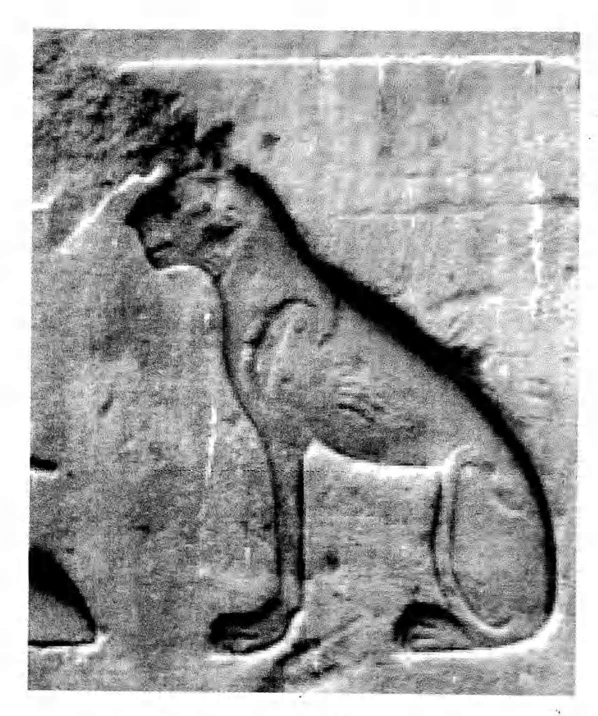
٤٣- مزراب على هيئة مقدمة أسد - معبد حتحور بدندرة - العصر البطلمى الرومانى.



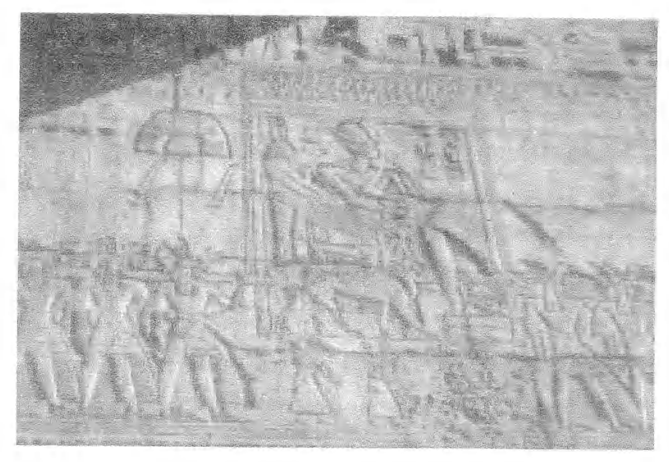
٤٤- منظر جزارة - ذبح أحد العجول - نقش على حجر جيرى ملون - مصطبة "إدوت" بسقارة - الأسرة السادسة.



٤٥- الإلهة حتحور على هيئة بقرة ترضع الملكة حتشبسوت. نقش بارز من الحجر الجيرى الملون - معبد حتشبسوت الجنازى - الدير البحرى - الأسرة الثامنة عشرة.



٤٦- قط جالس - علامة هيروغليفية - نقش غائر - من معبد حورس بإدفو - العصر البطلمى.



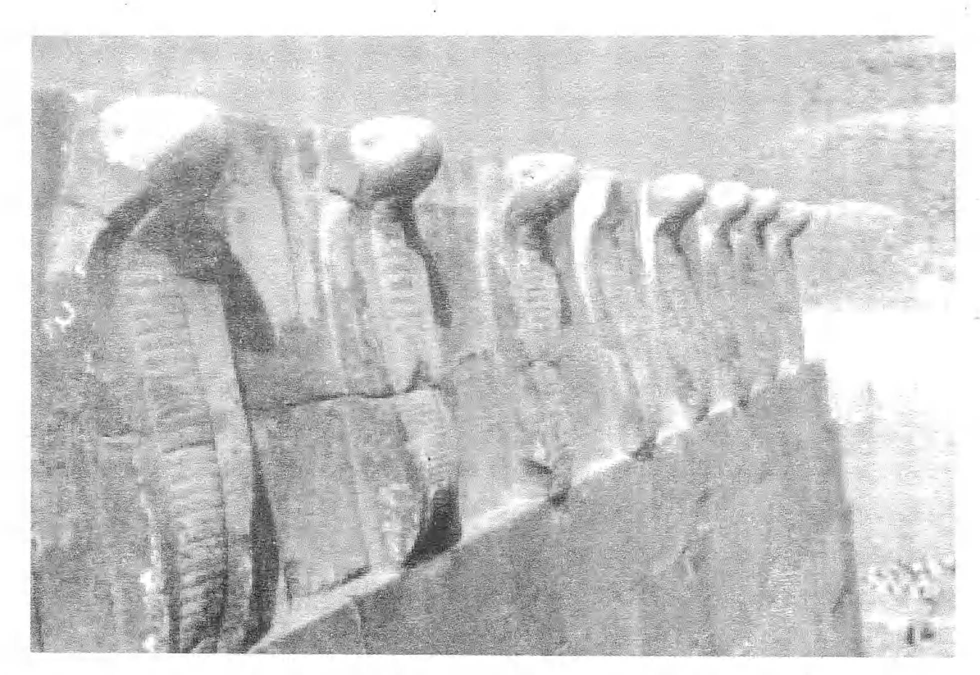
٤٧- موكب الملك رمسيس الثالث وهو متوج تحت مظلة مصحوبًا بأسده المستأنس - نقش غائر على حجر رملى - المعبد الجنازى لرمسيس الثالث - مدينة هابو - الأسرة العشرون.



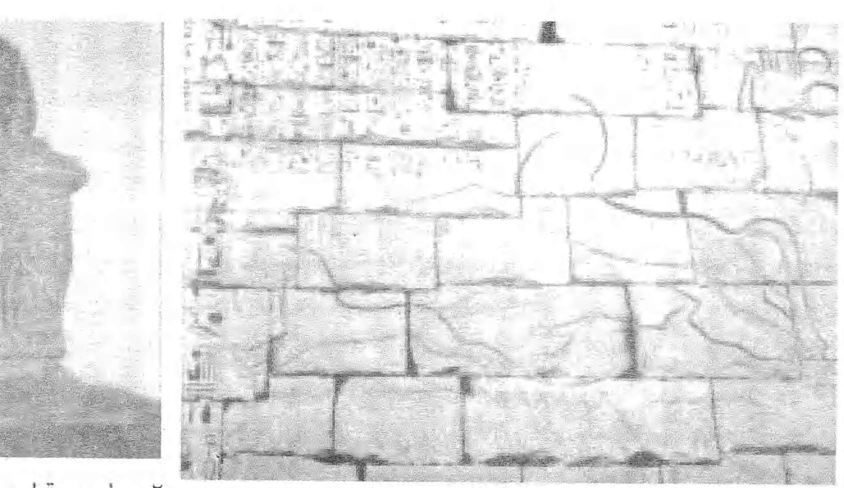
٤٨- صيادون لحيوانات برية منها أرنب برى - تفصيل من لوحة الصيادين منحوتة من الشست - من أواخر عصر ما قبل الأسرات، أو من الأسرة الأولى - وهذه القطعة محفوظة فى متحف اللوفر (وباقى الأجزاء فى المتحف البريطانى).



٤٩- منظر صيد فرس النهر - نقش على حجر جيرى ملون - مصطبة "إدوت" - سقارة - الأسرة السادسة.



٥٠- نحت يمثل عدداً من حيات الكوبرا الحامية فى أحد ممرات مجموعة الملك زوسر بسقارة - من الأسرة الثالثة.

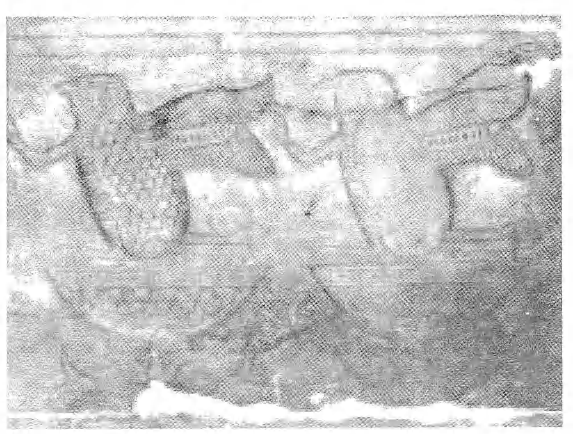


٥١- الملك رمسيس الثالث يقوم بصيد الأسود - نقش غائر، بمدينة هابو - المعبد الجنازى لرمسيس الثالث - الأسرة العشرون.



٥٢- لوحة لحورس يقف على تمساحين - "تمثال للشفاء" للكاهن جد حر - تل أتريب - من القرن الرابع قبل الميلاد - حالياً بالمتحف المصرى بالقاهرة.

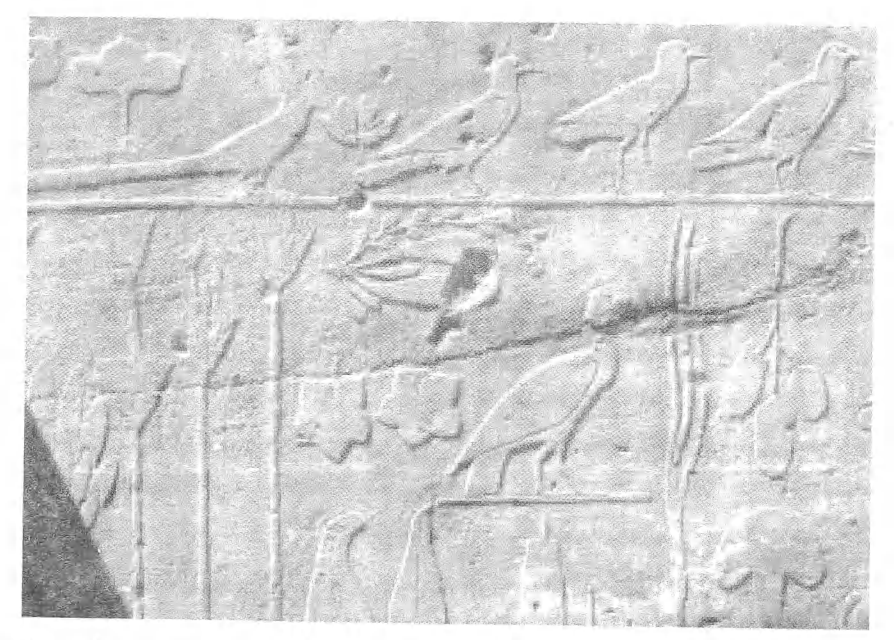
٥٣- الملك يرشق سهمه فى السلحفاة التى تجسد القوى الشريرة، فى حضور الإله خنوم، رسم غائر فى الحجر الرملى - معبد خنوم بإسنا - العصر البطلمى.



٥٤- الطيور "رخيت" تجسيد للشعب المصرى - معبد أمون بدير الحجر (الواحات الداخلة) - القرنان الأول والثانى بعد الميلاد.



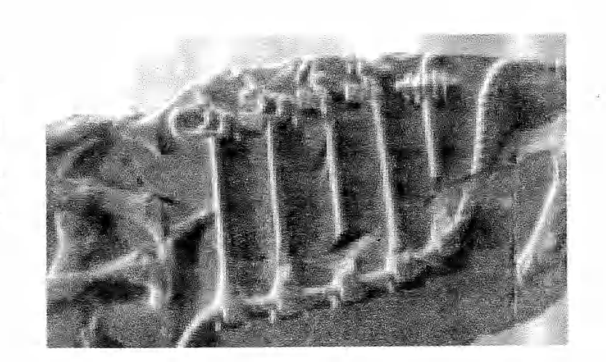
٥٥- الملك رمسيس الثانى كطفل يحميه الإله حورون على هيئة الصقر - من الجرانيت والحجر الجيرى - تانيس - الأسرة التاسعة عشرة - المتحف المصرى بالقاهرة.



٥٦- عرض لطيور أجنبية جلبت إلى مصر غالبًا - نقش بارز على الحجر الرملى - معبد آمون بالكرنك - حديقة النباتات الخاصة بالملك تحتمس الثالث من الأسرة الثامنة عشرة.



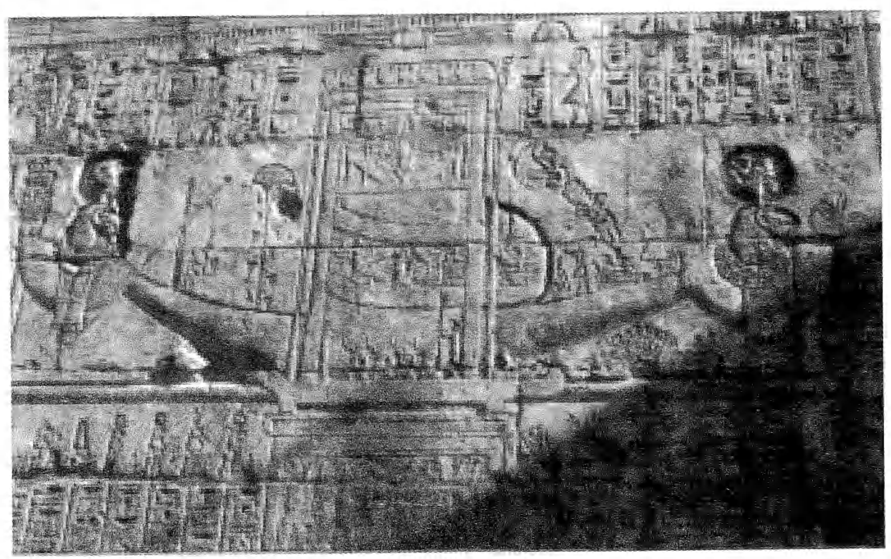
٥٧- "بقر دربانى" يقوده رجال فى موكب أحد الأعياد - معبد آمون بالأقصر.



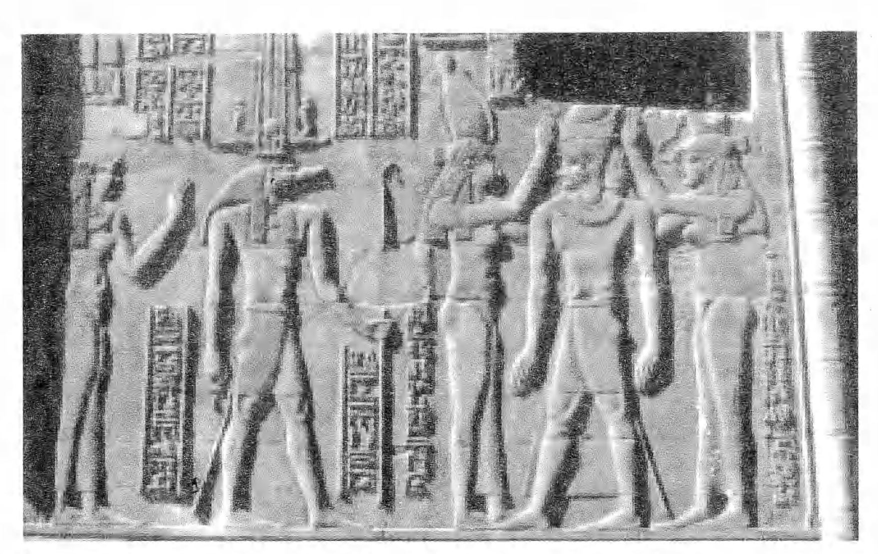
٥٨- شارات العشائر، عبارة عن: اثنين من الكلبيات، والطائر أبيس، وصقر - تفصيل من لوحة الثور - من حجر الشست - أبيدوس - عصر ما قبل الأسرات - متحف اللوفر.



٥٩- الإله خنوم على هيئة كبش له قرنان حلزونيان، واثنان آخران ملتويان - نقش غائر على حجر جيرى - العصر المتأخر - المتحف المصرى بالقاهرة.



٦٠- القارب المقدس الخاص بمواكب الإله آمون فوق قاعدته - المقدمة والمؤخرة للقارب مشكلة على هيئة رأس الكبش - مدينة هابو - المعبد الجنازى للملك رمسيس الثالث - الأسرة العشرون.



٦١- الإله سوبك على هيئة رجل برأس تمساح يشهد تتويج الملك بإلهتى مصر العليا والسفلى - نقش بارز على الحجر الرملى - كوم أمبو - معبد سوبك وحرور - العصر البطلمى



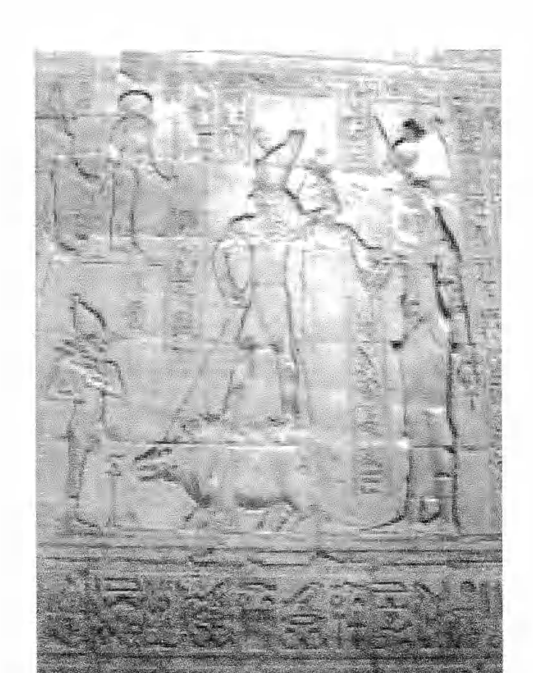
٦٢- الإلهة سخمت على هيئة سيدة برأس لبؤة - من حجر الجرانيت الأسود - الكرنك - معبد بتاح - الأسرة الثامنة عشرة.



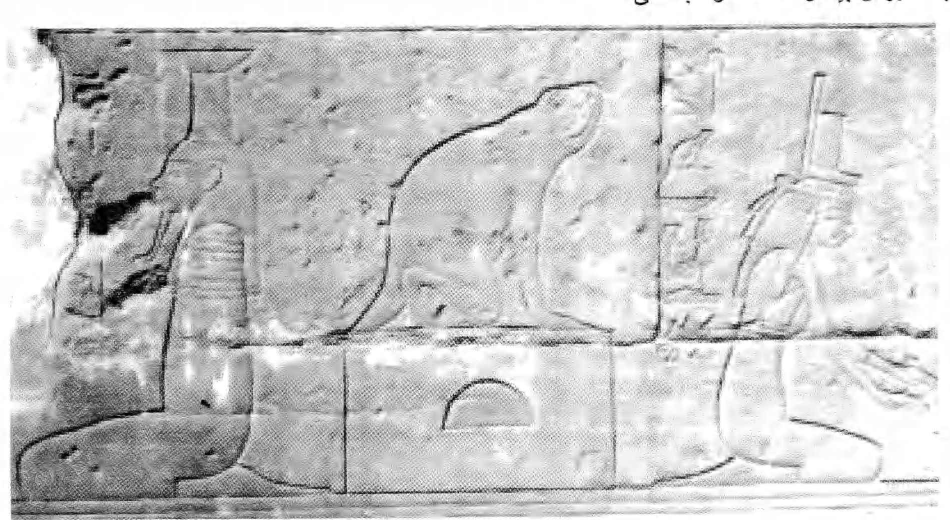
٦٣- الإلهة تاورت على هيئة أنثى فرس النهر، ويستند مخلباها الأماميان على "سا" علامة الحماية - التمثال منحوت من حجر الشست - من معبد آمون بالكرنك- الأسرة السادسة عشرة - المتحف المصرى بالقاهرة.



٦٥- الإلهـة سـرقت على هيـئـة عـقـربة برأس وذراعى امـرأة، تحـمل تاجـا يتكون من قـرص الشـمس وقـرنى الإلهـة حـتحـور - مـصنوع من البرونز - العصر المتأخر - متحف اللوفر.



٦٤- الإله حـورس على هيـئـة رجل برأس صـقـر يعتلى فرس النهر الذى يجسد الإله ست يسدد إليه ضربة بحربته - نقش غائر على الحـجر الرملى - معبد حورس بإدفو - العصر البطلمى.



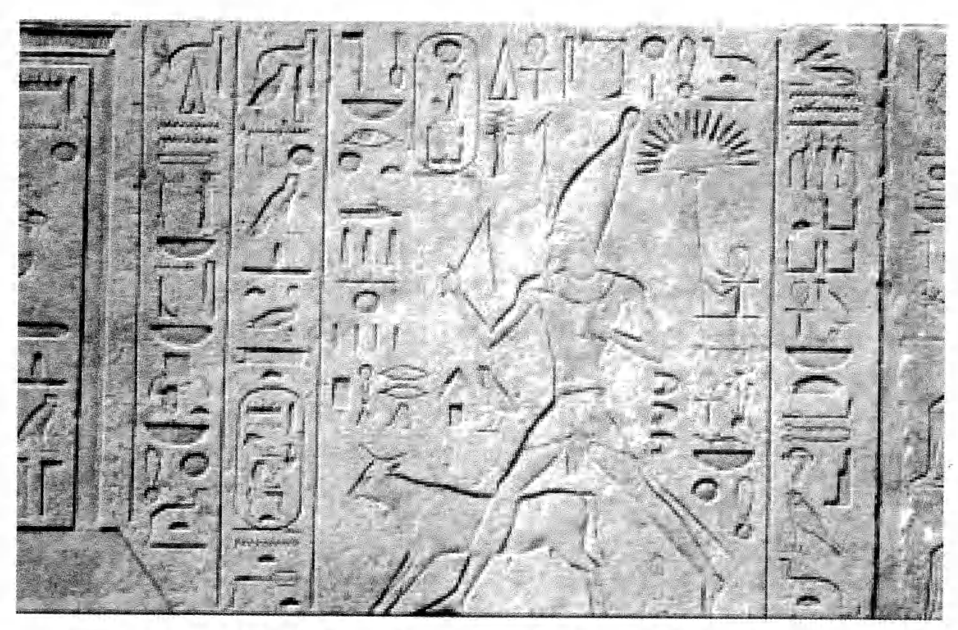
٦٦- ضفدع رمز تجدد الولادة والنهضة - نقش غائر على الحجر الرملى - معبد آمون فى هيبس (الواحات الخارجة) - مقصورة على سقف المعبد - العصر الفارسى.



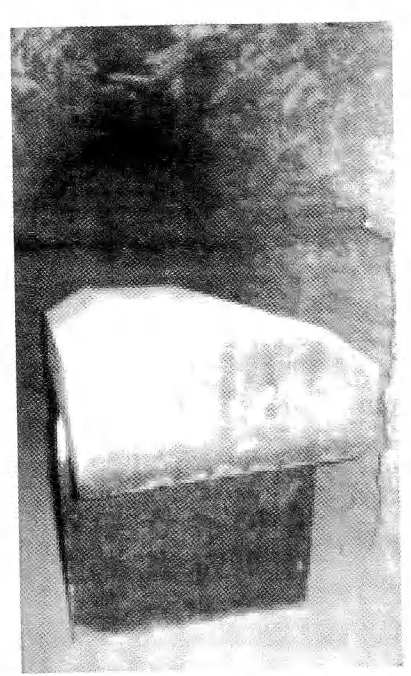
٦٧- مومياء لضفدع على هيئة مومياء آدمية - جبانة دوش (الواحات الخارجة) المقبرة رقم ٥٤ - العصر اليونانى الرومانى.



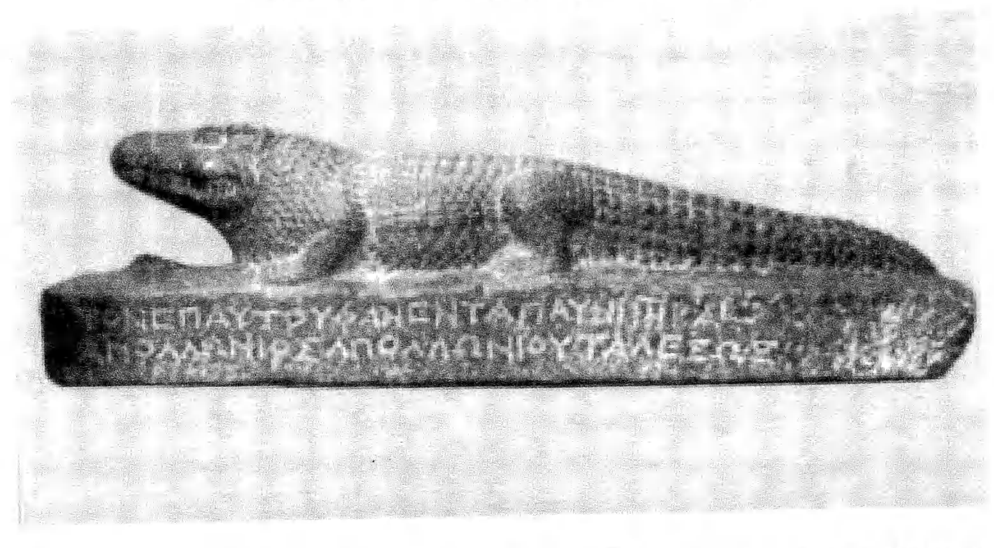
٦٨- تصوير بالأشعة لضفدع من جبانة دوش.



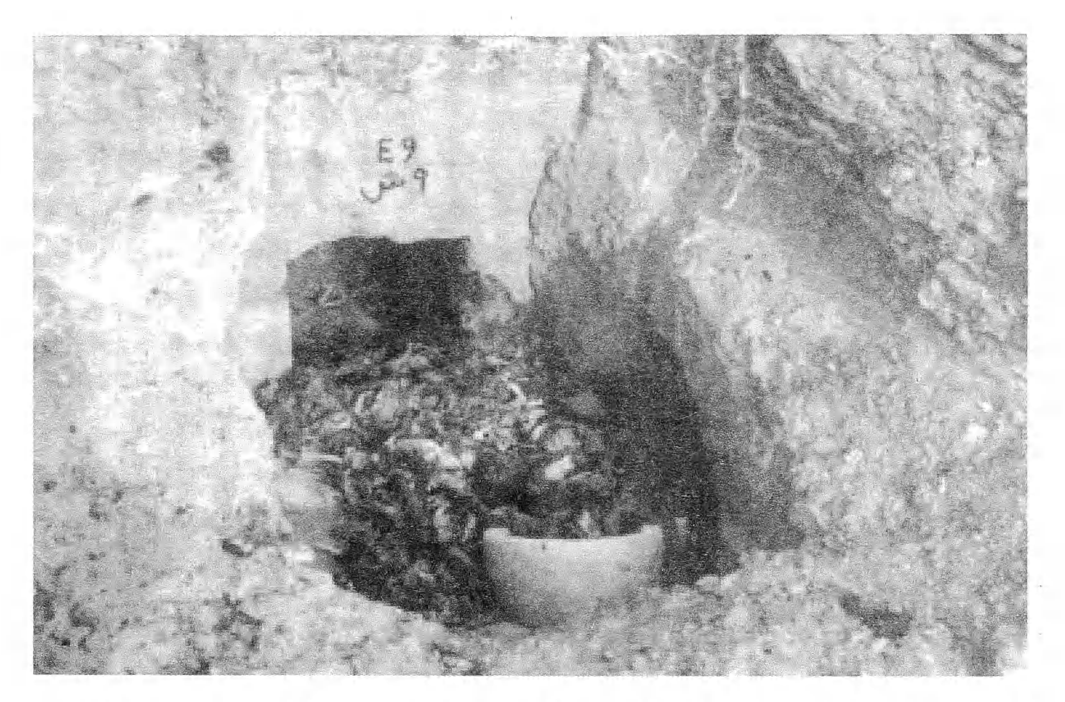
٦٩- الملكة حتشبسوت تقوم بالجرى الشعائرى لعيد "حب سد" يصحبها أحد الثيران -نقش غائر على حجر الجرانيت - من المقصورة الحمراء بالكرنك (المتحف المفتوح) - الأسرة الثامنة عشرة.



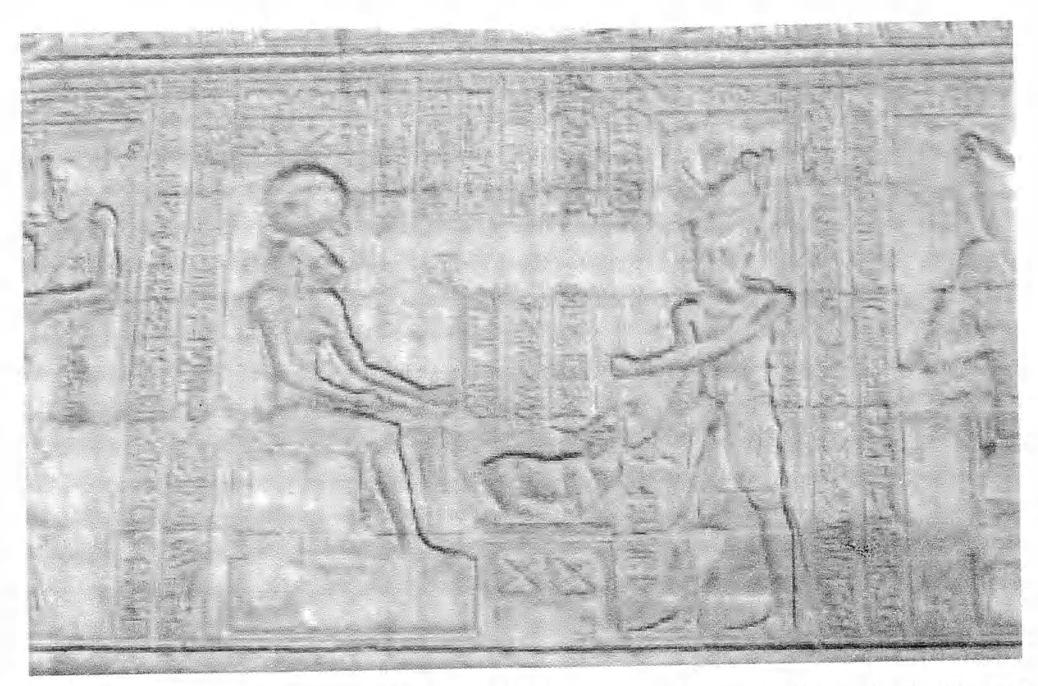
٧٠- تابوت للعجل أبيس فى مقصورته - منحوت من الجرانيت الأسود - جبانة العجول أبيس بسقارة - العصر المتأخر.



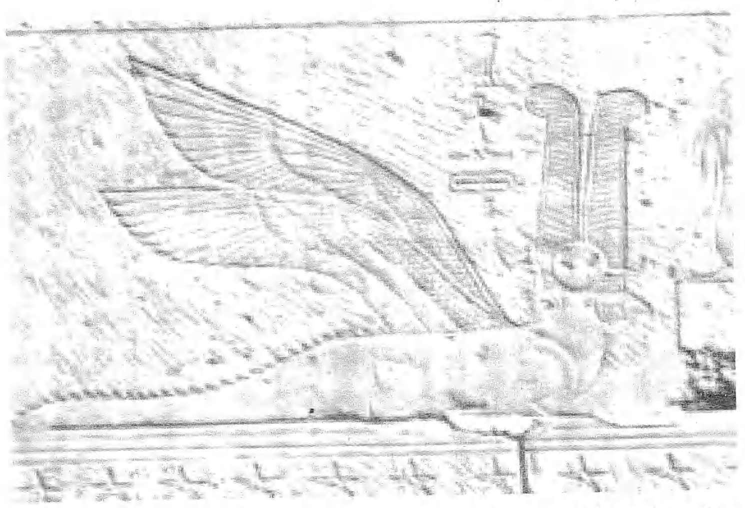
٧١- الإله التمساح بتسوخوس - التمثال يخلد ظهور الإله فى هيئته الحيوانية - منحوت من الجرانيت الرمادى - عثر عليه فى مدينة كروكوديلوبوليس - أرسنوى (الفيوم) - يرجع تاريخه إلى ١٧ أبريل عام ٥٨ قبل الميلاد - حالياً بمتحف اللوفر بباريس.



٧٢- مومياوات لعدة كلاب مكدسة فى تابوت مشكل على هيئة رجل - جبانة الدير (الواحات الخارجة) - مقبرة رقم E9 العصر الرومانى.



٧٣- الملك يقدم أضحية عبارة عن وعل فى حضور الإلهة "منحيت" برأس لبؤة - نقش غائر على الحجر الرملى - معبد الإله خنوم بإسنا - العصر البطلمى.



٧٤- تشكيل مكون من الإله حورس بجسم تمساح له جناحان، ورأسًا صقر يضع عليهما تاجًا مكونًا من قرص الشمس وريشتى نعامة - نقش غائر على حجر رملى - معبد آمون فى هيبس (الواحات الخارجة) - مقصورة على سقف المعبد - العصر الفارسى.

الهوامش

المقدمة

١- في عصرنا الحالي، أصبحت الأنشطة الإنسانية عاملاً فعالاً أدى إلى تغير البيئة.

٢- عن الرؤية المصرية للعالم، انظر:

S. Sauneron et J. Yoyotte, "La naissance du monde selon l'Égypte ancienne", dans La Naissance du monde, "Sources orientales ", I, Paris, Le Seuil, 1959, p. 17-91.

٣- لم نعثر على أية دلائل لوجود القندس في مصر منذ حملة نابليون بونابرت على الأقل.

الفصل الأول: اللقاء مع الإنسان

١- توجد حفريات بحرية عديدة في أنحاء الصحراء الغربية شاهدة على وجود هذا البحر القديم.

٢- يجب علينا أن نتذكر جيداً أنه منذ تشييد السد العالي في أسوان الذى تم الانتهاء منه ١٩٧٢، لم تعد هناك فيضانات في مصر.

٣- انظر:

D. J. Osborne et J. Osbornova, *The Mammals of Ancient Egypt*, Warminster, Aris & Phillips, 1998, p.125-130 et p. 148-151.

4- J. L. Heim, "Le peuplement ancien de l'Égypte dans son cadre naturel et culturel ", dans F. Dunand et R. Lichtenberg, Momies d'Égypte et d'ailleurs,

Monaco, Le Rocher, 2002, p. 138-140. Sur le peuplement et les cultures de l'Égypte préhistorique, *cf.* B. Midant-Reynes, *Préhistoire de l'Égypte, des premiers hommes aux premiers pharaons, Paris,* Armand Colin, 1992.

5- B. Midant-Reynes, *Préhistoire de l'Égypte,* p. 57-65.

6- D. J. Brewer, D. B. et S. Redford, *Domestic Plants and Animals.* The Egyptian Origins, Warminster, s.d., p. 79 *sq.*

7- J. Boessneck, *Die Tierwelt des alten Agypten: Untersucht anhand kulturgeschistlicher und zoologischer* Quellen, Munich, 1988, p. 15-20.

8- J. Boessneck, Tierwelt, p. 20 sq.

٩- انظر:

P. F. Houlihan, *The Animal World of the Pharaohs,* The American University in Cairo Press, 1995, p. 12.

10- A. J. Spencer, *Early Egypt, The Rise of Civilisation in the Nile Valley,* British Museum Press, 1993, p. 36-38.

١١- انظر:

B. Midant-Reynes, *Préhistoire de l'Égypte, p. 104-105; D. J. Osborne et J. Osbornova, The Mammals of Ancient Egypt,* p. 187 et 193.

١٢- الاسم اليونانى لمدينة أسيوط "ليكوبوليس" قد يشير إلى وجود ذئاب، ولكن قد يكون هذا التباساً خاطئاً حيث كان إله المدينة هو "أوبواووت" الذى كان يتخذ هيئة ابن آوى.

١٣- انظر: J. Boessneck, Tierwelt, p. 23 et fig. 3.

الفصل الثانى: مساكنة مع الإنسان .. علاقات مستقرة

1- J. L. de Cénival, *Architecture universelle, Égypte,* Fribourg, Office du livre, 1964, p. 139.

٢- ألم يقل هيرودوت (فى كتابه التاريخ: الجزء الثانى - ٥): "مصر هبة نهر النيل.."؟

٣- انظر النقوش المحفورة على لوحات صغيرة من العاج، والمرتبطة بأحداث مختلفة أثناء حكم الملوك الأوائل فى الأسرة الأولى، A. J. Spencer, Early Egypt, p. 63-67.

٤- فى الأصل كانت البحيرة ممتدة جداً: وكانت تسمى خلال الدولة الحديثة "بايوم Pa Yom" (البحر). وحتى العصر الحجرى الحديث، كانت بحيرة ذات مياه مالحة، ولكن تدريجياً، تحولت حصة مياه بحر يوسف إلى بحيرة من المياه العذبة. وتعد عملية انخفاض مستوى سطح البحيرة متوازية حالياً مع الاختفاء التدريجى لبحر الأورال.

٥- لقد أشار عالم المصريات أحمد فخرى من قبل إلى نظام "القناة - qanat"، بالرغم من عدم استخدامه لهذا المصطلح.

(The Oases of Egypt, II, Bahriyah and Farafra Oases, The American University in Cairo Press, 1974, p. 34),

ولقد قام "ب. بوسكى" بإلقاء الضوء عليه وكذلك دراسته فى بلدة دوش (جنوب واحات الخارجة)، انظر:

B. Bousquet, Tell-Douch et sa région,DFIFAO 31, Le Caire, IFAO, 1996.

ومنذ عام ٢٠٠١ قامت بعثة أثرية برئاسة س. إكرام، وس. روش باكتشاف شبكة متشعبة من القنوات شمال واحات الخارجة.

٦- كانت الإقطاعيات فى الأصل لا يجوز التصرف فيها ولا يتم نقل ملكيتها، وكان الملك يستطيع استرجاعها عند موت الإقطاعى. وتدريجياً أصبحت ملكية خاصة يتم نقلها حتى للبنات.

٧- إدخال مجموعة جديدة متنوعة من الحبوب، وأشجار الفواكه والكروم .. إلخ. انظر:

Orrieux, *Zénon de Caunos, parépidémos, et le destin grec,* Paris, Les Belles Lettres, 1985.

٨- وفى العصور المتأخرة، نجد بعض الأمثلة من التحورات فى أشكال القرون فى الصور والرسوم. ويبدو أن الأمر يتعلق بممارسة رمزية أكثر من كونها واقعًا.

٩- ويعرف النطرون، على وجه الخصوص، باستخدامه فى عملية التحنيط. وما زال يستخدم حاليًا فى دبغ الجلود.

١٠- ومن النادر أن تصل إلينا القرون والقطع الفنية المنحوتة منها فى حالة جيدة، إلا ما كان منها محفوظًا فى مناخ صحراوى، لأنها من المواد القابلة للتحلل، انظر:

L. Chaix et P. Méniel, *Archéozoologie,les animaux et l'archéologie;* Paris, Errance, 2001, p. 185.

١١- نص من المعبد الجنائزى الخاص بساحو رع فى أبو صير، ولقد قام هوليهان بنقل هذا النص *The Animal World...*, p. 13. ، والأرقام الموجودة مبالغ فيها ويجب أن تؤخذ بحذر.

12- M. A. Bonhême et A. Forgeau, *Pharaon, les secrets du pouvoir,* Paris, Armand Colin, 1988, p. 204-205.

١٣- انظر: P. F. Houlihan, *The Animal World,* p.15.

١٤- انظر: *infra*, chap. 5.

١٥- حسب ما ذكره "برور" فإن هذا الشريط الموجود على الأكتاف كان من المحتمل أنه اختفى فى الدولة الوسطى، ولم يعد يظهر بعد ذلك D. J. Osborne, *The Mammals of Ancient Egypt,* p.I34, ويحدد "أسبورن" أنه يوجد أيضًا مثيل لذلك فى أحد الرسوم الملونة بمقبرة البرشة (الأسرة الثانية عشرة). وفى الواقع، يوجد مثل آخر على أوستراكا (شقفة) من عصر الرعامسة، (انظر: W. H. Peck, *Dessins égyptiens,* Paris, Hermann, 1980, p. 178, no 113).

ومن ناحية أخرى، فإن الحمير فى مصر حاليًا، وكذلك فى أوربا تحمل غالبًا نفس العلامة بالتحديد ... ولقد قمنا "بحصر" ذلك على أرض الواقع (خلال شهرى

سبتمبر وأكتوبر عام ٢٠٠٣) ولاحظنا أن ثلاثة عشر حمارًا يحملون شكل الصليب مما يمثل ٢٧٪ من الحالات.

16- A. Roccati, La Littérature historique sous l'Ancien Empire égyptien, Paris, Le Cerf,1982, p.205.

١٧- انظر:

A. Bülow-Jacobsen,"Traffic on the Roads between Coptos and the Red Sea", dans *Life on the Fringe,* p. 63-74; id., "The Traffic along the Road", dans *La Route de Myos Hormos,* éd. par H. Cuvigny, II, Le Caire, IFAO, 2003, p. 400 *sq.*

18- B. Midant-Reynes, *Aux origines de l'Égypte, du Néolithique à l'émergence de l'État,* Paris, 2003, p. 51.

١٩- المصطبة فى سقارة، أما مقصورة القرابين فقد نقلت إلى متحف اللوفر.

٢٠- ما عدا فى العصر البطلمى حيث توجد قرابين من لحم الخنزير فى المعابد الشرقية للملكة أرسنوى الثانية. انظر ..

C. Thiers, *Égypte, Afrique et Orient,* 32, p. 25 et n. 12.

21- Hérodote, *Histoires,* II, 14.

٢٢- وتوجد أنواع أخرى متنوعة من الإوز ممثلة فى النقوش والرسوم الملونة، ولكن تحديد أنواعها غير متيسر دائمًا. انظر ..

P. F. Houlihan, *The Birds of Ancient Egypt,* The American University in Cairo Press, 1986, p. 54-65.

23- P. F. Houlihan, *The Birds...,* p. 82-83.

24- Ibid., p. 79, fig. 111. لقد عثر "هوارد كارتر" على هذه الأوستراكا فى وادى الملوك

٢٥- محفوظة حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة، انظر:

The Illustrated Guide to the Egyptian Museum in Cairo, The American University in Cairo Press, 2001, p. 170.

هذا النمط من التصوير الواقعى جدًا هو شديد الندرة.

26- P. F. Hou1ihan, The Birds..., p. 12-13, fig. 14.

٢٧- انظر:

H. Chouliara-Raïos, *L'Abeille et le Miel en Égypte d'après les papyrus grecs,* Université de Jannina, 1989, p. 26-27.

٢٨- جاء فى كتاب "شوليارا - رايوس" من صفحة ١٠١ إلى صفحة ١٠٤ نص من بردية قسمت إلى جزئين: الجزء الأول فى المتحف المصرى بالقاهرة (بردية القاهرة زينون ٥٦٥٢٠) يقول: حيث إن هناك رجلاً مسجونًا يطلب حريته حتى يستطيع أن ينقل فى الوقت المناسب (ثم يبدأ الجزء الثانى من نص البردية المحفوظة فى متحف ميتشجان زينون ٢٩) أرملة كان قد استولى على حمارتها، والتى يرجو إرجاعها حتى يستطيع نقل الخلية الشمعية الخاصة بها، لأن النحل لا يستطيع الانتظار.

29- F. Dunand, J.-L. Heim, N. Henein, R. Lichtenberg, *La Nécropole de Douch,* DFIFAO 26, Le Caire, IFAO, 1992, p. 196.

٣٠- انظر: *SPP XXII, 56,* Socnopéonèse, II^{e} siècle ap. J.-C.

31- Cité par A. P. Leca, Les Momies, Paris, Hachette, 1967, p. 69.

٣٢- صناعة اللبن المركز المسكَّر يرتكز على هذه القاعدة.

33- G. Posener, Dictionnaire de la civilisation égyptienne, Paris, Hazan, 1959, art. "(Miel"(S. Sauneron), p. 172-173.

34- P. F. Houlihan, *The Birds...,* p. 83-88, fig. 120 et 122.

35- B. Midant-Reynes, *Préhistoire de l'Égypte,* p. 111, 145, 154.

٣٦- انظر:

P. R. s. Moorey, Ancien! Egypt, Ashmolean Museum, Oxford, 1988, fig. 8, p. 14.

٣٧- انظر: Guide to the Egyptian Museum, p. 26.

38- P. F. Houlihan, *The Animal World...*, p. 79, fig. 56.

39- R. et J. Janssen, *Egyptian Household Animals,* Shire Egyptology, 1989, p. 11-12.

ومما يؤكد الوجود البوليسى فى هذه المنطقة وفى كل العصور، أن الواحات فى الصحراء الغربية كانت منطقة نفى وإبعاد.

40- P. F. Houlihan, *The Animal World...*, p. 78.

٤١- يعود هذا الاستخدام إلى الدولة القديمة، كما نرى فى زخارف مصطبة (خنتى كا" (من الأسرة السادسة) فى بلاط (بالواحات الداخلة): حيث نرى حاكم الواحات وزوجته يجلسان وجهًا لوجه، ويملك كلاهما كلبًا يجلس تحت كرسيه.

٤٢- ولقد نوقش مؤخرًا هذا الافتراض أيضًا.

٤٣- انظر:

J. Malek, *The Cat in Ancient Egypt,* British Museum Press, 1993, p. 46-47.

44- J. Malek, *op. cit.,* p. 49.

45- R. et J. Janssen, *op. cit.,* p. 18, fig. 11.

46- J. Malek, *op. cit.,* p. 56-72, fig. 32 à 40 et fig. 44.

47- R. et J. Janssen, *op. cit.,* p. 17.

٤٨- انظر:

Nofret die Schöne, Die Frau im Alten Agypten, catalogue de l'exposition de Hildesheim, 1985, n° 131, p. 74-75 (musée de Berlin).

٤٩- انظر: Hérodote, *Histoires,* II, 66. هذا التفصيل يبدو غريبًا بعض الشيء لأنه من المعروف أنها دلالة على الحزن، فالمصريون على عكس ذلك، أقلعوا عن حلاقة الذقن.

50- P. F. Houlihan, *The Animal World...,* p. 54, pl. VI.

٥١- انظر:

L'Art égyptien au temps des pyramides, Paris, RMN, 1999, p. 18-19, fig. 22.

٥٢- فى الحقيقة، قام أحد الأشخاص ويدعى عبد الرسول من أسرة بالقرنة باكتشاف الخبيئة منذ عشرات السنين.

53- A. J. Spencer, *Early Egypt,* p. 95, fig. 73.

انظر كذلك القطع المحفوظة بمتحف اللوفر.

54- P. R. S. Moorey, *Ancient Egypt,* couverture.

55- J. Boessneck, *Tierwelt,* p. 32.

تبدو هذه الأسود فى حالة سيئة، دون شك بسبب سوء الغذاء، كما أنّ أحوال حبسهم غير متوافقة مع مقتضيات الحياة.

56- Ch. Desroches-Noblecourt, *Vie et Mort d'un pharaon, Toutankhamon,* Paris, Hachette, 1963, p. 41, pl. IX b.

57- *Ramsès le Grand,* catalogue de l'exposition du Grand Palais, Paris, 1976, p. XXVII, p. 230-231.

58- J. Boessneck, *Tierwelt,* p. 57 sq.

59- Ch. Desroches-Noblecourt, *op. cit.,* p. 42, pl. X.

الفصل الثالث: الحيوانات الكاسرة

١- هذا ما قام ديودور الصقلى بتأكيده فى القرن الأول قبل الميلاد:

Bibliothèque historique, I, 35, Paris, Les Belles Lettres, 1991, p. 46-47.

٢- هذه الطريقة لاستخدام صمود الحيوان يمكن مقارنتها بوضع عصبة على العين خلال عدْو الثيران.

٣- نحن، بالأحرى، نميل إلى الاعتقاد، فى الافتراض الأول: حيث إن أفراس النهر فى أحد النقوش الغائرة بمقبرة مرروكا بسقارة قد صورت بالكاد أكبر حجمًا من سمكة. وفى نفس النقش الغائر نجد جرادتين فى مقاس فخذ إنسان ... وبالرغم من أن المصريين بارعون فى نقش ورسم الحيوانات، فإن الدقة الطبيعية تكون أحيانًا خاضعة لأغراض ومآرب أخرى رمزية على وجه الخصوص.

4- Diodore de Sicile, Bibliothèque historique, I, 35, p. 46.

٥- انظر: Ammien Marcellin, XXII, 15, 19.

6- Hérodote, *Histoires*, II, 68:

يقول هيرودوت: "لا يمتلك التمساح لسان فليس له سوى فك سفلى متحرك [...] ففمه من الداخل ملىء بالعلقات". وفى الواقع فإن له لسانًا صغيرًا جدًا، وفكه جميل ومتحرك بسهولة، ويبدو أنه لا توجد علقات فى النيل ...

7- *Ibid.*, II, 69.

8- Diodore de Sicile, *Bibliothèque historique, I,* 35, p. 46.

٩- انظر:

S. Schott, *Les Chants d'amour de l'Égypte ancienne* (trad. P. Krieger), Paris, Maisonneuve, 1956, p. 104-106.

١٠- انظر:

Amenophis III, le pharaon soleil, catalogue de l'exposition de Paris, RMN, 1993, p. 53 et p. 181-182. التمثالان محفوظان حاليًا فى المتحف البريطانى.

11- *Ibid.* p. 55-56.

١٢- انظر:

L'Empire des Conquérants, Paris, Gallimard, "L'Univers des formes", 1979, p. 124-125, fig. 113 et 114.

13- Stèle publiée par R. Mond et O. Myers, The *Temples ofArmant. A Preliminary Survey,* Londres, 1940, citée par Pritchard, *Ancient Near Eastern Texts Relating to Old Testament,* p. 243-244.

١٤- لقد تم حصر كامل للأسماك بالاهتداء بالبقايا الأثرية. انظر كتاب بويسنك ..

J. Boessneck, *Tierwelt*, p. 120, 124-133. Trois espèces dominent dans les inventaires: le bagrus, le synodontis et le lates.

15- Diodore de Sicile, *Bibliothèque historique*, I, 36, p. 47.

١٦- عن الحرشفيات انظر:

D. J. Bruwer, R. F. Friedman, *Fish and Fishing in Ancient Egypt*, The American University in Cairo Press, 2003, p. 18.

١٧- انظر: P. F. Houlihan, *The Animal World...*, p. 199, et fig. 134-135.

١٨- انظر: B. Midant-Reynes, *Préhistoire de l'Égypte*, p. 107-122.

١٩- هذا النص الذى يرجع إلى نهاية الدولة القديمة (حوالى عام ٢١٠٠ قبل الميلاد) عرفناه من نسخه المكتوبة على عدة برديات وشقفات (أوستراكا) خلال الدولة الحديثة. انظر:

C. Lalouette, *Textes sacrés et textes profanes de l'ancienne Égypte*, I, Paris, Gallimard, 1984, p. 195.

20- E. Strouhal, *Life in Ancient Egypt*, Cambridge University Press, 1992, p. 37 fig. 39.

٢١- انظر: P. F. Houlihan, *The Animal World...*, p. 126, fig. 88.

٢٢- انظر:

L. Manniche, *Sacred Luxuries, Fragrance, Aromatherapy and Cosmetics in Ancient Egypt, Londres*, 1999, p. 72-73, 133, 143.

آنية عطور على هيئة سمكة، محفوظة حاليًا فى متحف برلين. وهى ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات.

23- D. J. Osborne et J. Osbornova, *The Mammals of Ancient Egypt,* p. 86-88 et 92-96.

٢٤- انظر: P. F. Houlihan, *The Animal World...,* p. 171-173 et fig. 31 p. 41.

٢٥- انظر: A. J. Spencer, *Early Egypt,* p. 87, fig. 67.

٢٦- إنه من الضرورى أيضًا تحديد أن الأبواب الثلاثة عشر الأولى التى تصف الثعابين قد فقدت .. انظر:

S. Sauneron, *Un traité égyptien d'ophiologie. Papyrus du Brooklyn Museum n[os]* 47.218.48 et 85, Le Caire, IFAO, 1989.

٢٧- هناك نصوص مؤكدة تتناول علم الحيات تحتوى على صيغة التجسيد إلى إيزيس وتحوت وحورس.

28- J. F. Borghouts, *Ancient Egyptian Magical Texts,* Leiden, Brill, 1978, n[os] 137, 139, 142.

29- *Ibid.*, n[os] 90-94.

٣٠- انظر:

Ancient Christian Magic. Coptic Texts of Ritual Power, ed. by M. Meyer and R. Smith, San Francisco, 1994, no 55, p. 101-102.

31- P. Brit. Mus. 10321, 1. E. S. Edwards, *Oracular Amuletic Decrees of the late New Kingdom,* Londres, 1960.

٣٢- إن تفسير هذه القطع صار محل جدل: فبدلاً من كون الحيوانات المؤذية أعداء، فإن الممثل منها على لوحات حورس يمكن اعتبارها أعوانًا للإله أى "أسلحة إلهية". انظر:

J. Quaegebeur, *La Magia in Egitto,* Milan, 1987, p. 187, cité par Y. Koenig, *Magie et Magiciens dans l'Égypte Ancienne,* Paris, Pygmalion, 1994, p. 126.

٣٣- عن هذه الآثار انظر:

L. Kàkosy, "La magia nel Antico Egitto ", dans *La, Magia in Egitto ai tempi dei Faraoni,* Modena, 1991, p. 59-68.

٣٤- إن تتابع الملوك السابقين للأسرة الأولى ما زال محل مناقشة. ويمكن اعتبار الملك العقرب كسابق للملك نعرمر، ومن المحتمل أنه موحد مصر. انظر:

A. J. Spencer, *Early Egypt,* p. 56-57.

٣٥- انظر: J. F. Borghouts, *Magical Texts,* n^os 84 à 121.

٣٦- انظر:

C. Spieser,"Serket, protectrice des enfants à naître et des défunts à renaître", Revue *d'égyptologie,* 52,2001, p. 251-264.

٣٧- انظر: J. Boessneck, *Tierwelt,* p. 116-117.

٣٨- لقد تم العثور على قوائم متعددة لبقايا هياكل طيور في مواقع مصرية عديدة: إلفنتين (الدولة القديمة)، وتل الضبعة (بين عام ١٨٠٠ و ١٥٠٠ قبل الميلاد)، وفي تل المسخوطة (من القرن السادس والقرن الثاني قبل الميلاد): ويمكن حصر ٩٤ نوعاً في هذين الموقعين الأخيرين السائد منها البط والإوز. انظر:

J. Boessneck, *Tierwelt,* p. 94-97.

٣٩- انظر: P. F. Houlihan, *The Birds...,* p. 45-46, fig.60: يتعلق الأمر هنا بإيزيس على هيئة طائر.

٤٠- انظر: P. F. Houlihan, *The Birds...,* p. 36-38, fig. 51-54.

٤١- كلمة الأم (موت) باللغة المصرية القديمة تكتب بعلامات هيروغليفية على هيئة أنثى النسر، لأسباب غامضة حسب ما جاء في كتاب جاردنر.

A. Gardiner, *Egyptian Grammar,* Oxford, 3e éd., 1988, p. 469.

٤٢- انظر:

P. F. Houlihan, *The Birds...,* p. 108-111 et *The Animal World...,* p. 145, pl. XX.

٤٣- انظر: P. F. Houlihan, The Animal World..., p. 136, fig. 95.

٤٤- طائر اللقلاق هو النوع الأكثر تصويراً بين باقى الطيور المنقوشة فى إلفنتين (انظر الهامش رقم ٣٨).

٤٥- انظر:

R. O. Faulkner, *The Ancient Egyptian Book of the Dead,* British Museum Publication, 1985.

فى الفصل رقم ٨٣ (يتحول المتوفى إلى طائر الفينكس - العنقاء)، وفى الفصل رقم ٨٤ (يتحول المتوفى إلى بلشون - مالك الحزين)، وفى الفصل رقم ٨٦ (يتحول المتوفى إلى طائر السنونو - الخطاف).

٤٦- انظر: P. F. Houlihan, *The Birds...,* p. 129-131, fig. 183.

٤٧- انظر: A. J. Spencer, *Early Egypt,* p. 54, fig. 34.

٤٨- انظر: P. F. Houlihan, *The Birdsì,* p. 3 et fig. 2.

٤٩- انظر:

E. E. Rice, *The Grand Procession of Ptolemy Philadelphus,* Oxford University Press, 1983, p. 18-19.

٥٠- هنا هو التطابق الذى اقترحه "هوليهان" P. F. Houlihan, *The Birds...,* p. 107-108
ولكن "بو" طابق هذا الطائر بنوع آخر من طائر الوقواق: N. Beaux, dans Le-Cab *inet de curiosités de Thoutmosis III* (Louvain, 1990, pl. XXXIII)
وحسب ما قاله كل من: Selon L. Lortet et C. Gaillard (La *Faune momifiée de l'ancienne Égypte,* 1re série, Lyon, 1903, p. 178) – فإن المومياوتين الخاصتين بطائر الوقواق وجدت بين مومياوات الكواسر فى كوم أمبو.

٥١- انظر:

S. Schott, *Les Chants d'amour de l'Égypte ancienne,* p. 71 et la traduction de P. Vernus, *Chants d'amour de l'Égypte antique,* Paris, Imprimerie nationale, 1992.

٥٢- انظر: Exode, X, 12-15.

53- Hérodote, *Histoires,* II, 95.

٥٤- انظر:

L'Art égyptien au temps des pyramides, Catalogue de l'exposition de Paris 1999, p. 20-21 n^{os} 28 et 29.

هذه الأساور كانت جزءًا من مجموعة تتكون من عشرين أسورة اكتشفت فى صندوق كان جزءًا من بقايا الأثاث الجنازى للملكة (الأسورتان المعروضتان فى المعرض محفوظتان فى متحف بوسطن، والباقى محفوظ فى متحف القاهرة).

٥٥- انظر: J. Boessneck, *Tierwelt,* p. 150.

الفصل الرابع: الحيوانات القادمة حديثًا والحيوانات المندثرة

١- رسم محفوظ فى المتحف البريطانى، انظر:

M. Stead, *Egyptian Life,* Londres, British Museum Publications, Londres, 1986, fig. 42, p. 32.

٢- انظر: P. F. Houlihan, *The Animal World...,* p. 33.

3- Reproduit dans P. F. Houlihan, *The Animal World...,* fig. 28 p. 37.

٤- انظر:

S. Hassan, *ASAE,* 37,1937, p. 129 *sq.* S. Schott, *Chants d'amour,* p. 106-107.

٥- انظر:

M. Lichtheim, *Ancient Egyptian Literature,* Univ. of California Press, 1980, III, p. 73.

٦- انظر "نص معركة قادش" فى كتاب:

C. Laloutte, Textes sacrés et textes profanes de *l'Ancienne Égypte,* I, paris, Gallimard, 1984, p. 117.

٧- انظر:

I. Rois, X, 28-29, trad, et comm. E. Dhorme, Paris, Gallimard, Pléiade, 1957, p. 1077.

٨- انظر:

W. Clarysse, "Ptolémées et temples", dans Le *Décret de Memphis,* éd. Par D. Valbelle et J. Leclant, Paris, De Boccard, 1999, p. 45-47 et fig. 1.

٩- انظر:

PSI., 1031 et 39, cités par C. Boutantin, *Les Figurines zoomorphes en terre cuite de l'Egypte tardive,* thèse de doctorat, à paraître à l'IFAO, Le Caire.

١٠- انظر: P. *Par.* 18 (Thmouis) et *P. Michigan* VII 482 (Karanis).

١١- انظر: C. Boutantin, Les Figurines zoomorphes.

١٢- انظر:

M. H. Rutschowscaya, *Catalogue des bois de l'Égypte copte,* Paris, RMN, 11986, n^{os} 290-299. .

١٣- انظر: B. Midant-Reynes, *Préhistoire de l'Egypte,* p. 44.

١٤- انظر:

B. Midant-Reynes et F. Braunstein-Silvestre,"Le chameau en Égypte", *Orientalia,* 46, 1977, p. 337-355.

١٥- انظر: P. *Lond.* 304, 31 janvier 144 après J.-C.

١٦- انظر:

G. Nachtergael, "Le chameau, l'âne et le mulet en Égypte gréco-romaine", *CdE,* LXIV, n^{os} 127-128, 1989, p. 287-336.

١٧- لقد تم العثور على نماذج متعددة فى مقابر جبانة دوش. انظر:

La Nécropole de Douch, pl. 85 et p. 238-239.

١٨- نهر تركيا (يسمى حاليًا مندرس) يجرى من الشرق إلى الغرب ليصب فى البحر الإيجى. مدينة "ميلى" كانت تقع تقريبًا على مقربة من مصبه.

١٩- يشير اصطلاح "دورى" إلى أملاك الدولة، مساحتها كبيرة على وجه العموم. وكان ملك مصر يمنحها إلى عدد كبير من كبار رجال الدولة والعاملين كمكافأة على أعمالهم. مثل الوزير أبوللونيوس الذى كان يمتلك إقطاعية تقع على الحدود الشمالية الشرقية للفيوم حيث أنشأ قرية للمهاجرين تحمل اسم "فيلادلفى" (نسبة إلى اللقب الرسمى للملك بطلميوس الثانى).

٢٠- انظر الفصل الثانى.

٢١- يجب أن نأخذ فى الحسبان أن اليونان، بسبب ظروفها الجغرافية الخاصة، أقل ملاءمة لتربية الأبقار أكثر من الماشية الصغيرة، والخراف، والماعز والخنازير.

٢٢- من المعروف أن الوزير أبوللونيوس، قد جلب الخنازير من صقلية لأجل إقطاعيته "فيلادلفى".

٢٣- انظر:

F. Dunand, *Terres cuites gréco-romaines d'Égypte,* n^{os} 882, 883. Osborne *(The Mammals of Ancient Egypt,* p. 143).

يجب أن نتذكر أن الذيل الملتوى هو بوجه عام من الخواص الأساسية للخنزير المستأنس. وبنفس الطريقة، فإن هيئة الجمجمة ذات مقياس مختلف بين الشكل البرى والشكل المستأنس، وجمجمة الخنزير المستأنس أقصر بشكل واضح عن تلك الخاصة بالخنزير البرى. انظر:

L. Chaix et P. Méniel, *Archéozoologie,* p. 176.

٢٤- انظر:

F. Dunand, *Terres cuites gréco-romaines d'Égypte,* n^{os} 860-880; L. Török, *Hellenistic and Roman Terracottas from Egypt,* L'Erma di Breitschneider,

Rome, 1995, n^os 279-282; M. Fjeldhagen, *Graeco-Roman Terracottas from Egypt*, Ny Carlsberg G1yptotek, 1995, n^os 183-185.

٢٥- انظر:

G. Leyenaar-Plaisier, *Les Terres cuites grecques et romaines du musée national des Antiquités de Leyde*, Leyde, 1979, cité par C. Boutantin, *Les Figurines zoomorphes.*

٢٦- انظر: P. Col. Zen. 93, 8; P. Cairo Zen. 59262,2. كان "زينون" مدير أعمال الوزير "أبوللونيوس".

٢٧- انظر:

L. Keimer, "Agriculture in Ancient Egypt", *AJSL*, 42, 1926, p. 283-288; P. F. Houhhan, *The Birds...*, p.80.

28- D. Meeks,"Les couveuses artificielles en Égypte", in *Techniques et Economie antiques et médiévales: le temps de l'innovation* (colloque d'Aix-en-Provence), 1996, Paris, 1997, p. 132-134.

٢٩- انظر: Diodore, *Bibliothèque historique*, I, 74:

"فبدلاً من أن تقوم الطيور باحتضان البيض، كانوا يقومون هم أنفسهم بعمل ذلك بوسيلة غير تقليدية".

٣٠- انظر:

C. S. Churcher, "Zoological Study of the Ivory Knife Handle from Abu Zaidan", dans W. Needler, *Predynastic and Archaic Egypt in the Brooklyn Museum*, Brooklyn, The Brooklyn Museum, 1984, p. 152-168.

٣١- انظر:

R. Friedman, "Hierakonpolis 2003: exhumer un éléphant", *BSFE*, n° 157, juin 2003, p. 8-22.

٣٢- انظر:

N. de G. Davies, *Paintings from the Tomb of Rekh-mi-rê*, New York, The Metropolitan Museum of Art, 1935, pl. XII.

٣٣- انظر:

Élien, *La Personnalité des animaux*, XI, 25, Paris, Les Belles Lettres, 2002.

حسب ما ذكره "إلين"، فإنه من المعتقد أن الأفيال لا تفهم سوى لغة الهنود.

٣٤- من المعروف جيداً أن أحد هؤلاء الصيادين: والذى يرجع أصله إلى "رجا" فى "بامفيلى" (تركيا)، هو اليونانى "أرتيموروس" ابن "أبوللونيوس" بعد أن قام بخدمة بطلميوس الثانى كصائد للأفيال، استقر بعد التقاعد فى جزيرة "ثيرا" (سانتورين)، حيث قام بتشييد مجموعة من المقاصير والمذابح كرست للآلهة المصرية. انظر:

F. Dunand, *Le Culte d'Isis dans le bassin oriental de la Méditerranée*, Leyde, Brill, 1973, II, p. 124-125.

٣٥ - انظر:

H. Raios Chouliara, "La chasse et les animaux sauvages d'après les papyrus grecs", Annagenesis, 1, 1980, p. 76-78.

من بعض المخاطر التى كان الصيادون يتعرضون لها، كانت هناك مخاطر مرتبطة بالرحلات البحرية والبرية المتجهة إلى المناطق والبقاع المجهولة: حيث إن فريقاً ظلت إقامته ممتدة لأن الفريق البديل قد غرق كل أفراده وكل ما معه من مواد فى البحر الأحمر.

٣٦- انظر "يوليب" الجزء الخامس ٧٩، ٨٢، , ٨٤ فلقد ظل الانتصار مع ذلك فى جانب بطلميوس الرابع.

٣٧- انظر:

P. Goukowsky, "Le roi Poros, son éléphant et quelques autres ", BCH, 96, 1972, p. 492 sq., cité par C. Boutantin, Les Figurines zoomorphes.

٣٨- انظر:

P. Perdrizet, *Les Terres cuites grecques d'Égypte de la collection Fouquet,* Nancy, 1921, pl. XCV, n[os] 384-388.

وبخصوص زجاجة على هيئة فيل، انظر:

M. Fjeldhagen, Graeco-roman terracotas from Egypt, Ny Carlsberg Glyptotek, 1995, n° 194.

٣٩- انظر:

F. Dunand, *Terres cuites gréco-romaines d'Égypte,* Paris, RMN, 1990, n° 185.

٤٠- انظر:

G. Alleaume, "L'évolution du paysage à l'époque arabe", dans Égyptes, histoires & cultures, no 4, 1994, "Aspects du paysage égyptien à travers les âges", p. 34-41.

٤١- لقد أشار كل الزائرين لمصر إلى وجوده. انظر على سبيل المثال:

Ainsi, A. B. Clot-Bey, Aperçu général sur l'?gypte, Bruxelles, 1840, I, p. 175.

٤٢- انظر: D. J. Osborne et J. Osbornova, The Mammals of Ancient Egypt, p. 142.

٤٣- انظر: P. F. Houlihan, The Birdsì, p. 28-30.

الفصل الخامس: عن الآلهة وحيوانات

١- يجب التفكير فى حالة إيزيس الفريدة بالطبع، فقد كانت فى الأصل إلهة محلية بالدلتا، ولكن عبادتها انتشرت ليس فقط فى كل مصر، ولكن فى جميع أنحاء الامبراطورية الرومانية.

٢- إن استخدام كلمة "عشيرة" لا يعادل ربما المعنى القديم الدقيق لانتماء عرقى خاص بأمة أو عنصر. فنحن نستخدمه بمعنى مجموعة بشرية لها سكنى وهيئة لها خواصها.

٣- انظر: P. R. S. Moorey, Ancient Egypt, p. 13, fig. 7 et p. 15, fig. 9.

٤- انظر: A. J. Spencer, Early Egypt, p. 53 fig. 33.

٥- هذه القائمة غير محددة.

٦- انظر: R. Friedman,"Hierakonpolis 2003: exhumer un éléphant ", p. 21-22.

٧- انظر:

Le Temps des pyramides, Paris, Gallimard, "L'Univers des formes", 1978, fig. 176.

٨- انظر:

L'Art égyptien au temps des pyramides, Paris, RMN, 1999, no 108, p. 46-47.

9- Ibid., no 9, p. 10-11.

١٠- انظر: Le Temps des pyramides, fig. 202.

١١- هذه القطعة الجميلة اكتشفها "كوبيل" فى هيراكونبوليس (ثنى) عام ١٨٩٨، وهى محفوظة حاليًا فى المتحف المصرى بالقاهرة. وهى تعود إلى الأسرة السادسة.

١٢- يمكن أن يمثل أيضًا على هيئة قطعة رمزية، العمود "جد" معبود (تيمة) أبيدوس... وفى عصر متأخر جدًا، كان عبارة عن آنية تحتوى على مياه النيل (أوزيريس كانوب).

١٣- انظر:

E. Dondelinger, *Der Jenseitsweg der Nofretari*, Graz, 1977, fig. 3, p. 66-67.

١٤- انظر أيضًا شكل إيزيس بالمتحف المصرى بالقاهرة على هيئة طائر جاثم على جثمان أوزيريس المسجى على سرير جنازى.

١٥- انظر:

E. Bresciani, "La Iside di Medinet Madi", dans *Iside, il mito, il mistero, la magia*, Milan, 1997, p. 37-41.

١٦- يمكن أن نتعرف في هذه الأشكال على وجود "بات" إلهة الإقليم السابع في مصر العليا التي أخذت مكانتها كلية الإلهة حتحور.

١٧- تمثل التيجان الحتحورية بالدير البحري، وكذلك في المعابد البطلمية والرومانية فيما بعد، وجه أنثوي مصحوب بأذني بقرة (لكن دون قرون).

١٨- انظر على سبيل المثال الصلاصل البرونزية الخاصة بـ"حنوت تاوى" المحفوظة في متحف اللوفر.

L'Égypte du Crépuscule, Paris, Gallimard, "L'Univers des formes", 1980, p.207, fig. 199.

١٩- انظر: إناء للشرب من الخزف يرجع إلى الأسرة الثامنة عشرة محفوظ حاليًا في متحف تورينو.

L'Empire des Conquérants, Paris, Gallimard, "L'Univers des formes", 1979, p. 241, fig. 244.

20- Fouille de la MAFB dirigée par A. Zivie.

٢١- انظر:

The Illustrated Guide to the Egyptian Museum in Cairo, The American University in Cairo Press, 2001, p. 536 et .

٢٢- انظر: التمثال الصغير المصنوع من الأبنوس المجلوب من مدينة غراب وهو محفوظ حاليًا في متحف هيلد سهايم Pelizaeus Museum, Hildesheim, die Agyptische Sammlung, 1993, fig. 51 p. 59، وانظر أيضًا رأس الملكة "تي" المحفوظ حاليًا في متحف برلين. وفي نفس المتحف يوجد تمثال للملكة ربما يرجع إلى عصر الرعامسة يحمل نفس التاج Das Agyptische Museum Berlin, Mainz, Von Zabern, 1991, no 88 p. 146-147.

٢٣ – انظر: كتاب بقرة السماء حيث نجد نصوصًا منه في العديد من مقابر وادي الملوك.

C. Lalouette, *textes sacrés et textes profanes de l'ancienne Égypte,* II, Paris, Gallimard, 1987, p,49-50.

٢٤- انظر: كتاب الموتى الخاص بـ"آنى" (الأسرة التاسعة عشرة)، الفصل ١٨٦

R. O. Faulkner, *The Ancient Egyptian Book of the Dead.* British Museum Publication, 1985, p. 185-187.

٢٥- المقبرة فى حالة سيئة جداً، وهى توجد فى موقع قرية "حلوة" بالقرب من قرية القصر بالواحات البحرية. انظر:

A. Fakhry, *The Oases of Egypt,* II, Bahriyah and Farafra Oases, The American University in Cairo Press, 1974, p. 87.

٢٦- انظر: Vandier dans la Revue du Louvre, n° 19, 1969, p. 49-54, fig. 14.

٢٧- انظر: P. Zen. Pestman 50 (9 janvier ~ 257).

٢٨- انظر: نقش غائر فى بيت الولادة الخاص بالملك نختانبو بدندرة.

L'Égypte du Crépuscule, p. 88, fig. 69.

29- F. Daumas, Les Mammisis des temples égyptiens, Paris, Les Belles Lettres, 193-8, p. 403-404.

30- S. Sauneron, Les Fêtes religieuses d'Esna, Le Caire, IFAO, 1962, p. 71-242.

٣١- بالرغم من أن هذا النص منظور إليه كأنه سرد لواقعة لحدث يرجع إلى الدولة القديمة وهو نص يرجع إلى العصر البطلمى. انظر:

P. Barguet, La stèle de la Famine à Séhel, IFAO, Bibliothèque d'étude, XXIV, 1953.

32-A. Fakhry, The Oasis of Egypt, II, Bahariyah and farafra Oases, p. 148.

٣٣- الشك هنا محتمل لوجود أنواع من التيوس ذات القرون الأفقية الشائعة فى مصر. ويحدد هيرودوت فى كتابه عن التواريخ الجزء الثانى، ٤٦ أن "أهل مندس

قدسوا كل الحيوانات من فصيلة الماعز" وبوجه خاص الذكور بينها: "لأنه بمجرد موتها يحدث صراع كبير بين كل إقليم مندس" انظر: *infra chap.* 8.

٣٤- يجب أن نتذكر أن كل أتباع آمون يحملون هذا الاسم بسبب تشابههم مع قرون كبش آمون.

٣٥- هذا التمثال المجلوب من دير المدينة محفوظ حالياً بمتحف تورينو.

Civilisation des *Égyptiens, les croyances religieuses,* sous la direction de A. M. Donadoni Roveri, Milan, Electa, 1988, p. 168, fig. 230.

36- P. Vernus, *Dieux de l'Égypte,* Paris, Imprimerie nationale, 1996, p. 162.

37- E. Hornung, *Les Dieux de l'Égypte, Le un et le multiple,* Monaco, Le Rocher, 1986, p. 79-81.

38- S. Sauneron et J. Yoyotte, "La naissance du monde selon l'Égypte ancienne", dans *La Naissance du monde,* Paris, Le Seuil, 1959, p. 59-62.

٣٩- انظر: حكاية "صراع حورس وست".

G. Lefebvre, *Romans et contes égyptiens, de l'époque pharaonique,* Paris, Maisonneuve, 1949, p.178-203.

40- *The Illustrated Guide to the Egyptian Museum in* Cairo, p. 414-415.

41- D. J. Osborn et J. Osbornova, *The Mammals of Ancient Egypt,* p. 55-80.

42- W. B. Emery, *Archaic Egypt,* Harmondsworth, Penguin Books, 1984, p. 127.

٤٣- وهي موجودة بكثرة فى زخارف مقبرة "باننتيو" بالواحات البحرية (الأسرة السادسة والعشرون) حيث نرى أنوبيس ممثلاً على هيئة رجل برأس كلب بيضاء اللون. وفى القرن الثانى الميلادى نرى كذلك فى مقبرة بيتوزيريس فى المزوقة (الواحات الداخلة) ثلاثة أشكال من هذا المنظر، انظر:

J. Osing, *Denkmäler des Oase Dachla aus dem Nachlass von Ahmed Fakhry,* Mayence, 1982.

٤٤- انظر:

La mort n'est pas une fin. Pratiques funéraires en Égypte d'Alexandre à Cléopâtre (sous la dir. d'A. Charron), musée de l'Arles antique, 2002, fig. 70 p. 95 et fig. 73 p. 97.

٤٥- انظر:

J. C. Goyon, *Rituels funéraires de l'ancienne Égypte, Le rituel de l'embaumement,* Paris, Le Cerf, 1972, p. 78 et fig. p. 79.

46- Hérodote, *Histoires*, II, 66:

47- Hérodote, *ibid.*, 60.

يذكر هيرودوت فى كتابه الجزء الثانى، ص ٦٠، أن النساء كانت تعتلى مركبًا تسير فى النيل متجهة إلى بوباستيس (تل بسطة)، وعند مرورهن بالمدن والقرى كن يقفن ويرفعن أرديتهن.

٤٨- انظر على وجه الخصوص:

V. Rondot, *Tebtynis II, Le temple de Soknebtynis et son dromos,* Le Caire, IFAO, 2004.

49- *Guide du musée d'Art égyptien ancien de Louqsor,* Le Caire, 1978, n° 107.

50- "Fouilles de la mission italienne à Narmouthis", *Dossiers d'archéologie,* n° 265, juillet-août 2001, p. 140.

٥١- هذا النص يرجع إلى أواخر الدولة القديمة، وهو معروف بكثرة نسخه التى تعود إلى عصر الرعامسة. انظر ترجمة "لالويت":

C. Lalouette, *Textes sacrés et textes profanes de l'Ancienne Égypte,* I, p. 195-196.

٥٢- انظر:

A. Gutbub, *Textes fondamentaux de la théologie de Kom Ombo,* Le Caire, IFAO, 1973, Hymne 58, col. 34-39, Hymne universaliste, col. 18.

٥٣- انظر:

F. Dunand, "La figure animale des dieux en Égypte hellénistique et romaine", dans *Les Grandes Figures religieuses* (colloque de Besançon, 1984), Paris, 1986, p. 59-84.

٥٤- انظر: نص من معبد كوم أمبو قام بترجمته "ديرشان": "صورة التمساح المقدس" في ...

Religions méditerranéennes et orientales de l'Antiquité (éd. par F. Labrique), Le Caire, IFAO, 2002, p. 79-99.

55- F. Dunand, *Isis, Mère des dieux,* Paris, Errance, 2000, p. 60-61.

٥٦- نقش غائر من الحجر الرملي محفوظ حاليًا بمتحف اللوفر (القرن الخامس الميلادى). انظر: *Louvre, Les Antiquités égyptiennes,* II, Paris, RMN, 1997, p. 73.

٥٧- انظر: Hérodote, Histoires, II, 69.

٥٨- انظر: G. Pinch, *Magic in Ancient Egypt,* British Museum Press, 1994, p. 127 fig. 67.

59- *P. Oxy.* IX, 1188.

60- *PSI Congr.* XVII, 14 (Oxyrhynchos? ~ II^{e} - ~ 1er siècle).

٦١- انظر:

A. Barucq-F. Daumas, Hymnes et prières de l'Égypte ancienne, Paris, Le Cerf, 1980, nos 142 et 143, p. 467-469.

٦٢- انظر:

J. Quaegebeur, Le Dieu égyptien Shaï dans la religion et l'onomastique, Louvain, 1975, p. 160-166.

٦٣- انظر:

F. Dunand, "Les représentations de l'Agathodémon", BIFAO, LXVII, 1969, p. 9-48.

٦٤- انظر:

D. Valbelle et J. F. Gout, Les Artistes de la Vallée des Rois, Paris, Hazan, 2002, p. 52-53.

٦٥- انظر:

S. Sauneron et J. Yoyotte, "La naissance du monde selon l'Égypte ancienne", op. cit., p. 52-54.

٦٦- هذه العادة ذات صلة بأحد موضوعات تقطيع أوزيريس، حيث إن عضوه الذكرى الذى ألقى فى النيل ابتلعته سمكة. مع أنه بشكل استثنائى نجده فى بعض الأحيان كما هى الحال فى مومياء الملك رمسيس الثانى.

٦٧- انظر:

F. Dunand et alii, *La Nécropole de Douch* I, p. 120 et pl. XXVII, 4-5; F. Dunand et R. Lichtenberg, *Les Momies et la Mort,* p. 144.

٦٨- عن رمزية الضفدع، انظر:

J. Leclant, "La grenouille d'éternité des pays du Nil au monde méditerranéen", in Hommage à M. J. Vermaseren, II, Leyde, Brill, 1978, p. 561-572.

٦٩- انظر: *infra* chap. 7.

٧٠- انظر:

P. Boylan, *Thoth the Hermes of Egypt,* Londres, 1922, et surtout G. Fowden, *Hermès l'Égyptien,* Paris, Les Belles Lettres, 2000.

٧١- عن التماثيل بحيوان ست، انظر كذلك الفصل الثامن.

٧٢- ما زال التماثل بالحيوان محل مناقشة: ولكن من المؤكد أن الأمر يتعلق بالنمس.

٧٣- انظر:

A. Fakhry, *The Egyptian Deserts. Baharia Oasis,* I, Le Caire, 1942, p. 78-79, fig. 35 et 41, pl. XXIX B et XXX B.

إن شكل "أباست" على أحد جدران المقبرة مهشم تماماً.

الفصل السادس: الحيوان صورة حية للإله

1- Hérodote, Histoires, III, 28,

التفاصيل فى الجناح يمكن أن تكون تفسيراً خاطئًا لأنثى النسر أو لجعران مجنح مرسوم على ظهر الحيوان وفوق العديد من التماثيل الصغيرة للإله أبيس منذ العصر الصاوى، وأيضًا أبعد من ذلك.

٢- انظر: Élien, *La Personnalité des animaux,* XI, 10.

٣- انظر قطع البلاط المصنوعة من العجائن الزجاجية والتى تعود إلى الفترة التى تمتد من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادى.

E. Winter, *Der Apiskult im Alten Agypten,* Mainz, 1978, fig. 1 et 11.

وانظر أيضًا الإله أبيس الممثل فوق لوحة ملونة عثر عليها فى سقارة (وتعود إلى عام ٢٠٠ قبل الميلاد)، *ibid.* fig. 10.

4- Strabon, XVII, 31. *Cf. Le Voyage en Égypte,* Paris, Nil, 1997, p. 135.

٥- انظر الهامش رقم ٣ .

6- Diodore, *Bibliothèque historique,* I, 85, 3.

7- Hérodote, *Histoires,* III, 28.

وصدى هذا الاعتقاد نجده عند "إلين" الجزء الحادى عشر، ١٠ .

٨- بعض هذه الأوانى ذات الأحجام الكبيرة محفوظة فى متحف اللوفر وفى متحف آثار البحر المتوسط بمدينة مارسيليا.

9- R. L. Vos, *The Apis Embalming Ritual, P. Vindob.* 3873, Louvain, Peeters, 1993.

10- *Ibid.,* p. 94-96.

١١- والملف الخاص بسيرابيوم منف قام بنشره "ولكن":

U. Wilcken, *Urkunden der Ptolemäer Zeit,* Berlin-Leipzig, 1927

١٢- انظر:

Suétone, Vies des Empereurs, Auguste, 93, 2. Reproduction de la stèle dans H. Willems et W. Clarysse, *Les Empereurs du Nil,* Louvain, Peeters, 2000, p. 147-149, n° 5.

١٣- انظر:

W. J. Murnane et C. Cc Van Siclen, *The Boundary Stelae of Akhenaten,* Londres, 1993, p. 41 et 169.

14- PSI, 4, 328.

١٥- هذا التمثال المحفوظ فى متحف اللوفر، كان قد أعيد إلى معرض القصر الصغير بباريس.

١٦- عن لوحة مندس، انظر: **H. De Meu1enaere, Mendès II, 1976, p. 176-177.**

١٧- هذا الافتراض ذكره كل من "لوريه وجيار".

La *Faune momifiée de l'ancienne Égypte,* 3e série, Lyon, 1907-1909, p. 89 sq.,

حيث إنهما قد أشارا إلى وجود آفات مفصلية على مستوى الأعضاء والفقرات. ولكن من المحتمل أن الحياة فى الحبس أعطتهم طول العمر بشكل أكبر مما أدى إلى ظهور أمراض خطيرة.

١٨- كثير من المومياوات محفوظة حاليًا بمتحف التحنيط بالأقصر، وبعضها الآخر فى اللوفر.

١٩- انظر:

M. Alliot, *Le Culte d'Horus à Edfou au temps des Ptolémées,* Le Caire, IFAO, 1954, p. 566 sq.

٢٠- إذا كان الإله نظريًا قد اختار وحدد الطير، فإنه يجب الافتراض أن هذا الاختيار تم بوساطة كهنة إدفو تبعًا لمعايير غير معلومة لنا.

22- Strabon, XVII, 49.

٢١- انظر:

H. Junker, Der grosse Pylon des Tempels der Isis in Phil?, Vienne, 1958, p. 73-75 et 78, pl. 38 et 40.

23- Diodore, Bibliothèque historique, I, 84.

٢٤- لوحة من الحجر الجيرى عثر عليها بلا شك فى ليونتوبوليس (تل المقدام) محفوظة حاليًا فى أمستردام بمتحف "ألارد بيرسون" (من فترة القرن الثانى إلى الأول قبل الميلاد). انظر:

Kleopatra, Agypten um die Zeitenwende, Ph. Von Zabern, Mainz, 1989, no 102. p. 258-259.

الفصل السابع: حيوانات أضفيت عليها صفة التقديس

1- Strabon, *Géographie,* XVII, 1, 22, traduction P. Charvet, *in* J. Yoyotte, P. Charvet, S. Gompertz, *Strabon, le voyage en Égypte,* Paris, 1997.

2- B. Bruyère, *Mert Seger à Deir el Medineh, MIFAO* 58, Le Caire, 1930; J. Yoyotte,"À propos de quelques idées reçues: Méresger, la Butte et les cobras", dans le colloque *Deir el-Médineh et la Vallée des Rois,* Paris, 2003, p. 294-298.

3- W. Spiege1berg, *Neue Urkunden zum ilgyptischen Tierkultus,* Munich, 1928, p. 14-17, pl. 2.

4- J. Yoyotte, "Des lions et des chats, contribution à la prosopographie de l'époque libyenne", *RdE* 39,1988, p. 160-169.

5- Hérodote, *Histoires,* II, 67, traduction Ph. E. Legrand, Paris, Les Belles-Lettres, 1982.

6- É. Naville, *Bubastis* 1887-1889, *Memoir of the EEF*, 1891, p. 52-55.

7- E. Jelînkova-Reymond, *Les Inscriptions de la statue guérisseuse de Djed-Her-leSauveur, BdE* 23, Le Caire, 1956, p. 110.

8- C. Callou, A. Samzun, A. Zivie, "A Lion Found in the Egyptian Tomb of Maïa", *Nature* 427,15 janvier 2004, p. 211-212.

9- A. Charron, *La mort n'est pas unefin*, p. 212, no 97.

10- Hérodote, II, 69.

11- L. Lortet, C. Gaillard, "La faune momifiée de l'ancienne Égypte V", *Archives du Muséum d'histoire naturelle de Lyon* 10, 1909, p. 295-299.

12- S. Gabra, "Fouilles de l'université "Fouad-el-Awa1" à Touna el Gebe1 (Hermopolis-Ouest)", *ASAE* 39, 1939, p. 488.

13- Élien, *De la nature des animaux*, XII, 7, trad. A. F. Scholfield, Cambridge, 1958-1959.

14- D. Kessler, *Die heiligen Tiere und der König, I, Ägypten und Altes Testament 16*, Wiesbaden, 1989, p. 209 et 262.

15- J. D. Ray, *The Archive of Hor*, Londres, 1976, p. 137-150.

16- D. Meeks, "Les couveuses artificielles en Égypte", p. 132-134.

17- E. Bresciani, A. Giammarusti, "Le temple double de Sobek sur la colline de Medinet Madi", *Dossiers d'archéologie* 265, juillet-août 2001, p. 139-140.

18- Élien, XII, 29.

19- *Ibid.*, X, 31

20- E. Breccia, "Teadelfia e il tempio di Pneferôs", *Monuments de l'Égypte gréco-romaine* I, Bergame, 1926, p. 105, pl. 64/3.

21- E. Bresciani, A. Giammarusti, p. 132-140.

22- Clément d'Alexandrie, *Paedagogus*, III, II, 4, trad. C. Mondésert et C. Matray, Paris, Cerf, 1970.

23- J. Goudsmit, D. Brandon-Jones, Mummies of Olive Baboons and Barbary Macaques in the Baboon Catacomb of the Sacred Animal Necropolis at North Saqqara", *JEA* 85, 1999, p. 45-53; J. Goudsmit, D. Brandon-Jones, "Evidence from the Baboon Catacomb in North Saqqara for a West Mediterranean Monkey Trade Route to Ptolemaic Alexandria«, *JEA* 86, 2000, p. 111-119.

24- H. S. Smith, »La mère d'Apis: fouilles récentes de l'Egypte Exploration Society à Saqqara-Nord«, *BSFE70-71,* 1974, p. 11-22.

25- Strabon, *Géographie,* XVII, 1,40.

26- Diodore de Sicile, *Bibliothèque historique,* I, 84, trad. M. Casevitz, Paris, 1991.

27-Élien, VII, 9.

28- E. Bresciani, *Kom Madi 1977 e 1978. Le pitture murali dei cenotafio di Alessandro Magno,* Pise, 1980, p. 34, pl. XVII-XIX.

29- J. D. Ray, p. 139.

30- Diodore de Sicile, I, 83.

31- D. Meeks, *Le Grand Texte des donations au temple d'Edfou, BdE 59,* Le Caire, 1972, p. 67-68.

32- A. Calderini, "IBIΩN, nei nomi di luogo dell'Egito greco-romano", *Mélanges Maspero II, Orient grec, romain et byzantin, MIFAO* 67, Le Caire, 1934-1937, p. 346.

33- A. P. Zivie, *Hermopolis et le nome de l'ibis, BdE* 66/1, Le Caire, 1975, p. 87-96.

34- A. Charron, "Massacres d'animaux à la Basse Époque", *RdE* 41, 1990, p. 209-213; "La morte degli animali", in *Aegyptica Animalia, il bestiario dei Nilo,* catalogue, Turin, 2000-2001, p. 37-54.

35- Hérodote, II, 65.

36- Diodore de Sicile, I, 83.

37- *Ibid.*, 84.

38- W. Spiegelberg, »Demotische Miszellen, Der Grabstein einer Falkenmumie«, *ZÄS* 53, 1917, p. 118-120.

39- D. Kessler, J. Boessneck, A. Van den Driesch, *Tuna el-Gebel, die Tiergalerien, HÄB* 24, 1987, p. 151.

40- L. Lortet, C. Gaillard, "La faune momifiée de l'ancienne Égypte I, II et III, IV, V", *Archives du muséum d'Histoire naturelle de Lyon* 8, 9 et 10, 1903, 1907 et 1909.

41- *Ibid.*, V, 1909, p. 295-299.

42- *Ibid.*, I, 1903, p. 116.

43- *Ibid.*, V, 1909, p. 259-260, 283-286 et 294.

44- F. Sergent, *Momies bovines de l'Égypte ancienne*, mémoire de l'École pratique des hautes études V^{e} section, manuscrit, Paris, 1986, p. 6.

45- A. Charron, L. Ginsburg, "Les momies de chats", in *Les Chats de pharaon 4000 ans de divinité féline*, catalogue, Bruxelles, 1989-1990, Louvain, 1989, p. 20-24.

46- L. Ginsburg, "Les chats momifiés du Bubasteion de Saqqarah", manuscrit de la communication au V^{e} congrès du Caire, 1988.

47- A. Zivie, R. Lichtenberg, "Les chats du Bubasteion de Saqqâra, état de la question et perspectives", in *Egyptology at the Dawn of the Twenty-First Century, Proceedings of the Eights International Congress of Egyptologists*, Le Caire 2000, Le Caire-New York, 2003, p. 609.

48- P. L. Armitage, J. Clutton-Brock, “A Radiological and Historical Investigation into the Mummification of Cats from Ancient Egypt”, *Journal of Archaeological Science,* 8, 1981, p. 185-196.

49- L. Ginsburg, *“Felis libyca balatensis:* les chats du mastaba II de Balat”, *BIFAO* 95, 1995, p. 259-260.

٥٠- كانت الجبانات عديدة، ويقع أهمها فى كوم أمبو، وإسنا، والعبابدة، وتبتينيس، واللاهون، وهوارة.

٥١- المواقع الأساسية فى أبيدوس وتونا الجبل.

٥٢- انظر الهامش رقم (٣٤).

53- Hérodote, II, 41.

54- *Ibid.,* 66.

55- Diodore de Sicile, I, 83.

56- Plutarque, *Isis et Osiris,* 73, trad. C. Froidefond, Paris, 1988.

57- L. Lortet, C. Gaillard,"La faune momifiée de l'ancienne Égypte III", *Archives du muséum d'Histoire naturelle de Lyon* 10, 1909, p. 86-88.

58- F. Cailliaud, *Voyage à Meroë et au fleuve Blanc,* Paris, 1826, p. 13; L. Lortet, C. Gaillard, ibid. I, 1903, p. 43-63.

59- J. D. Ray, p. 143.

لا يجب تشبيه هذا الخداع بتجهيز المومياوات المزيفة للحيوانات. فالمومياوات المفرغة من كل الأعضاء، كان من المؤكد استخدامها فى حفظ المنتج المستخدم لحظة علاج الأعضاء.

A. Charron, “Le pseudomummie animali”, in *Aegyptica Animalia, il bestiario dei Nilo,* p. 55-61.

البوباستيون تركوا لنا كثيراً من المومياوات المزيفة تمثل ٣١٪ من المواد.

A. Zivie, R. Lichtenberg, "Les chats du Bubasteion de Saqqâra, état de la question et perspectives ", p. 608. .

60- L. Lortet, M. Hugounenq, "Recherches sur les momies d'animaux de l'ancienne Égypte I, sur les poissons momifiés", *ASAE* 3, 1902, p. 15-18.

61- L. Lortet, C. Gaillard, op. cit. V, 1909, p. 305.

62- T. Whittemore, "The Ibis Cemetery at Abydos", *JEA* 1, 1914, p. 248-249; W. Léonard, S. Loat, "The Ibis Cemetery at Abydos", *JEA* 1, 1914, p. 40; T. E. Peet, "The Year's Work at Abydos", *JEA* I, 1914, p. 39.

63- S. W., "L'origine du chat domestique", *CdE* 8, 1933, p. 191-192.

64- L. Lortet, C. Gaillard, op. cit. I, 1903, p. 181-183.

65- T. E. Peet, S. Loat, *The Cemeteries of Abydos* III 1912-1913, *Memoir of the EEF,* 1913, p. 40-47

66- L. Lortet, C. Gaillard, *op. cit.* I, 1903, p. 38-40.

67- *Ibid.,* p. 33 et 36.

68- *Ibid.,* p. 107-110, fig. 157.

69- *Ibid.,* p. 114, 124, 152, 156 et 162.

70- C. Gaillard, "Les animaux consacrés à la divinité de l'ancienne Lycopolis", *ASAE* 27, 1927,p. 33-42.

71- L. Lortet, C. Gaillard, *op. cit.* II, 1907, p. 69-80.

72- Ibid., p. 33-35.

73- A. Charron, "Taxonomie des espèces animales dans l'Égypte gréco-romaine", *BSFE* 156, 2003, p. 7-19.

٧٤- من أجل تطور الوسائل المستخدمة فى تحنيط المومياوات الحيوانية والمراجع التى تتحدث عنها، انظر:

A. Charron, "Cosmétiques et onguents utilisés dans la momification animale", in *L'Égypte, parfum d'histoire,* Grasse, 2003, p. 162-171.

75- J. Connan, "Le bitume des momies égyptiennes, un passeport pour l'éternité", *La Recherche* 238, décembre 1991, p. 1503-1504.

76- L. Keimer, "Interprétation de quelques passages d'Horapollon", *ASAE 5,* 1947, p. 33-35; Élien, X, 29.

77- F. Dunand, R. Lichtenberg, "À Kharga, découverte d'une nécropole d'animaux", *Le Monde de la Bible* 145, p. 51-53.

78- G. Belzoni, *Voyages en Égypte et en Nubie,* Paris, rééd. 1979, p. 147-148.

79- L. Lortet, C. Gaillard, "La faune momifiée de l'ancienne Égypte I", *Archives du muséum d'Histoire naturelle de Lyon* 8, 1903, p. 78-79 et 81-82.

80- *Ibid.,* V, 1909, p.259-260, 283-286 et 294.

81- E. Jelinkova-Reymond, Les *Inscriptions de la statue guérisseuse de Djed-Her-le-Sauveur,* p. 110.

82- L. Lortet, C. Gaillard, *op. cit.* I, 1903, p. 33-36 et 58.

83- L. Lortet, M. Hugounenq, "Recherches sur les momies d'animaux de l'ancienne Égypte I, sur les poissons momifiés", p. 15-16.

84- L. Lortet, C. Gaillard, *op. cit.* I, 1903, p. 107-110, fig. 57.

85- L. Ginsburg, "Les chats momifiés de Saqqarah", in *Le Chat, compte-rendu de la journée d'étude organisée par la société d'ethnozootechnie,* Maison-Alfort, 1987, p.9.

86- W. Léonard, S. Loat, "The Ibis Cemetery at Abydos", p. 40.

87- P. Dils, "Stuco Heads of Crocodiles, a New Aspect of Crocodile Mummification", *Aegyptus* 1-2, 70^{e} année, 1990, p. 73-85.

88- L. Lortet, C. Gaillard, »La faune momifiée de l'ancienne Égypte V", *Archives du Muséum d'histoire naturelle de Lyon* 10, 1909, p. 297, fig. 212.

89- *Ibid.* I, 1903, p. 1-2, fig. 2.

90- *Ibid.* III, 1909, p. 86-88

91- T. Whittemore, "The Ibis Cemetery at Abydos", *JEA* 1, 1914, p. 248-249.

92- G. Brunton, *Qau and Badari* III, BSAE 50, 1930, p. 25.

93- E. Messiha, M. A. Elhitta, *Mallawi Antiquities Museum. A Brief Description,* Le Caire, 1979, p. 9, pl. V.

94- R. Lichtenberg, A. Zivie, "Les momies d'animaux", in *Dossiers d'archéologie* 252, avril 2000, p. 53.

95- C. Gaillard, G. Daressy, *La Faune momifiée de l'antique Égypte, CGC,* Le Caire, 1905, p. 154-155, pl. 66.

96- S. Gabra, "Fouilles de l'université "Fouad-el-Awal"... ", p. 493.

97- S. Gabra, *Chez les derniers adorateurs du Trismégiste, la nécropole d'Hermopolis - Touna el Gebel,* Le Caire, 1971, p. 156-196.

98- H. S. Smith, *A Visit to Ancient Egypt,* Warminster, 1974, p. 41-43.

99- H. Messiha, M. A. Elhitta, p. 15, pl. XVI; C. Gaillard, G. Daressy, p. 124-125, pl. 51.

100- L. Lortet, C. Gaillard, *op. cit.* IV et V, 1909, p. 128-129 et p. 305, fig. 219.

101- H. S. K. Bakry, "Ancient Egyptian Objects from Barmasha, Minya Governorate", *ASAE* 61, 1973, p. 7-9, pl. 6-7.

102- C. Gaillard, G. Daressy, p. 134, pl. LVII.

103- A. Mariette, *Abydos, description des fouilles* II, Paris 1880, p. 48.

104- Cité dans L. Lortet, C. Gaillard, *op. cit.* I, 1903, p. 118-119.

105- H. S. Smith, "La mère d'Apis, fouilles récentes de l'Egypt Exploration Society à Saqqara-Nord", *BSFE* 70-71, 1974, p. 16.

106- Hérodote, II, 67; R. Engelbach, "Seizure of Bronzes from Bouto", ASAE 24, 1924, p. 169-177.

107- É. Naville, *Bubastis* 1887-1889, p. 52-55.

108- A. Charron, *La mort n'est pas une fin,* p. 184-188.

109- S. Gabra, "Fouilles de l'université "Fouad-el-Awal"... ", p. 491.

110- V. Berteaux, "Le cimetière aux millions d'animaux de Touna el-Gebel", *Archéologia* 399, avril 2003, p. 14-26.

111- M. of Northampton, W. Spiegelberg, P. E. Newberry, *Report on some Excavations in the Theban Necropolis during the Winter of* 1898-99, Londres, 1908, p. 1923.

112- A. Zivie, "La nécropole des chats de Saqqarah en Égypte, recherché récentes", in *Le Chat, compte-rendu de la journée d'étude organisée par la société d'ethnozootechnie,* Maisons-Alfort, 1987, p. 5-8.

113- A. Zivie, R. Lichtenberg, "Les chats du Bubasteion de Saqqâra, état de la question et perspectives«, p. 606; R. Lichtenberg, A. Zivie, "Les momies d'animaux", p. 52.

114- F. Dunand, R. Lichtenberg, "À Kharga, découverte d'une nécropole d'animaux", p. 51-53.

115- M. el-Saghir, D. Valbelle, "Per-Merou (Kommir) et le district de la gazelle dans le III^{e} nome de Haute Egypte", *BSFE* 91, 1981, p. 24-25.

116- A. Mariette, *Karnak, étude topographique et archéologique,* Leipzig, 1875, p.34.

117- L. Lortet, C. Gaillard, *op. cit.,* I,1903, p. 124-162 et 176-177.

118- S. Sauneron, *Quatre campagnes à Esna, Esna* I, Le Caire, 1959, p. 25-28.

119- W. Leonard, S. Loat, p. 40, pl. IV.

120- É. Naville, p. 52-55.

121- P. Derchain, *Zwei Kapellen des Ptolem?us I Soter in Hildesheim, Zeitschrift des Museums zu Hildesheim* 13, 1961.

122- H. S. Smith, p. 12-14 et 22.

123- S. Morenz, "Ein neues Dokument der Tierbestattung", *ZÄS* 88, 1963, p. 42-47.

124- F. Preisigke, W. Spiegelberg, *Die Prinz-Joachim-Ostraka, griechische und demotische Beisetzungsurkunden fiir Ibis und Falkenmumien aus Ombos,* Schriften der Wissenschaftlichen Gesellschaft in Strassburg 19, 1914.

125- J. Quaegebeur, "La désignation "porteur(s) des dieux" et le culte des dieux-crocodiles dans les textes des époques tardives", *in Mélanges Adolphe Gutbub,* Montpellier, 1984, p. 161-176.

126- F. de Cenival, "Deux papyrus inédits de Lille avec une révision du P. dém. Lille 31", *Enchoria* 7, 1977, p. 30.

127- D. Meeks, "Notion de "dieu" et structure du panthéon dans l'Égypte ancienne", *RHR* 205/4, 1988, p. 425-446.

128- E. Hornung, *Les Dieux de l'Égypte, le Un et le* Multiple, Monaco, 1987, p. 122.

129- E. Bresciani, A. Giammarusti, "Le temple double de Sobek sur la colline de Medinet Madi", p. 132-140.

130- S. Gabra, *Chez les derniers adorateurs du Trismégiste,* p. 159.

الفصل الثامن: حيوانات مصنفة وغير مصنفة

1- A. Charron, "Taxonomie des espèces animales dans l'Égypte gréco-romaine", *BSFE* 156, mars 2003, p. 7-19.

2- D. Kessler, J. Boessneck, A. von den Driesch, *Tuna el-Gebel I, Die Tiergalerien,* p. 102-104.

3- L. Lortet, C. Gaillard, "La faune momifiée de l'ancienne Égypte I", *Archives du muséum d'Histoire naturelle de Lyon* 8,1903, p. 124-166.

4- S. Sauneron, *Un traité égyptien d'ophiologie,* p. 3-6, 138-146, 166-167 et 172-173.

5- L. Lortet, C. Gaillard, *op. cit.,* I, p. 72-78.

6- L. Lortet, C. Gaillard, "La faune momifiée de l'ancienne Égypte II", *Archives du muséum d'Histoire naturelle de Lyon* 9, 1907, p. 47-48; R. Perizonius, M. Attia, H. Smith, J. Goudsmit, "Monkey Mummies and North Saqqara", *Egyptian Archaeology* 3, 1993, p. 31-33. Cf. A. Charron, art. cit., où il faut rétablir que le singe vert est un cercopithèque.

7- L. Lortet, G. Gaillard, *op. cit.,* I, p. 22.

8- C. Gaillard, "Les animaux consacrés à la divinité de l'ancienne Lycopolis", *art.cit.,* p. 33-42.

9- L. Lortet, C. Gaillard, I, *op. cit.,* p. 114 et 124-166.

10- A. C. Mace, "The Egyptian Expedition", *Bulletin of the MMA,* III, 10, 1908, p. 185, fig. 5.

11- Hérodote, II, 46; J. Osing, *Hieratische Papyri aus Tebtynis,* The Carlsberg Papyri, Copenhague, 1998, p. 246.

12- Hérodote, II, 65.

13- J. Vandier, *Manuel d'archéologie égyptienne,* V, *Bas-reliefs et peintures, scènes de la vie quotidienne,* 1969, p. 83-86.

14- D. J. Osborn, J. Osbornova, *op. cit.,* p. 121-123.

15- E. Castel, "Panthers, Leopards and Cheetahs. Notes on Identification", *Trabajos de Egiptologia I,* 2002, p. 17-28.

١٦- نقش محفوظ فى متحف اللوفر، ربما يعود إلى القرن الخامس الميلادى، انظر:
Louvre, Les antiquités égyptiennes, II, Paris, RMN, 1997, p. 72-73.

17- C. Gaillard, *Recherches sur les poissons représentés dans quelques tombeaux égyptiens de l'Ancien Empire, MIFAO* 51, 1923; D. J. Brewer, R. F. Friedman, *Fish and Fishing in Ancient Egypt,* Le Caire, 1990.

18- A. Batrawi, "Anatomical Reports 1948", *ASAE* 48, 1948, p. 585-598.

19- T. Hopfner, *Der Tierkult der alten Ägypter nach den griechisch-römischen Berichten und den Wichtigeren Denkäiilern,* Vienne, 1913, p. 102-104; E. Brunner-Traut, "Esel", *LdÄ* II, Wiesbaden, 1977, col. 27-30.

20- T. Hopfner. *Tierkult,* p. 60-63; W. Helck, "Schwein", *LdÄ* V, Wiesbaden, 1984, col. 62-764; J. Yoyotte, in G. Posener, S. Sauneron, J. Yoyotte, *Dictionnaire de la civilisation égyptienne,* Paris, 1970, p. 228-229.

21- Hérodote, II, 47.

22- P. Germond, "L'oryx, un mal-aimé du bestiaire égyptien", *BSEG* 13, 1989, p. 51-55.

23- P. Derchain, *Rites égyptiens I, Le sacrifice de l'oryx,* Bruxelles, 1962, liste des divinités p. 22.

24- W. M. F. Petrie, *Antaeopolis, The Tombs of Qau, BSAE* 2, Londres, 1903, p. 10-11.

25- L. Störk, *LÄ* IV, Wiesbaden, 1982, col. 501-506.

26- A. Behrmann, *Das Nilpferd in der Vorstellungswelt der alten Ägypter I, Katalog, Europäische Hochschulschriften* 38, Archäologie 22,1989, doc. 176 a, b et c.

27- G. Brunton, *Qau and Badari III, BSAE* 50, 1930, p. 18-20, pl. 32; W. M. F. Petrie, *Antaeopolis, the Tombs of Qau, BSAE* 2, 1903, p. 10-11.

28- G. Brunton, op. cit.; A. Behrmann, doc. 177a.

29- A. Behrmann, doc 177 b, c et d et 178.

٣٠- انظر على سبيل المثال، نموذج رائع اكتشف في مقبرة "عبر إل".

A. Zivie, *Découverte à Saqqarah, le vizir oublié,* Paris, 1990, p. 65.

31- J. Boessneck, W. Brunsch, A. von den Driesch *et alii., Die Münchner Ochsen-mumie, HÄB* 25, 1987, p. 25-27.

32- Hérodote, II, 41.

33- Élien, X, 23.

34- L. Lortet, C. Gaillard, "La faune momifiée de l'ancienne Égypte I", *Archives du muséum d'Histoire naturelle de Lyon* 8, 1903, p. 82 et 85.

35- D. Kessler, J. Boessneck, A. Van den Driesch, *Tuna el-Gebel, Die Tiergalerien*, p. 165.

36- L. Ginsburg, "Les chats momifiés de Saqqarah", p. 11.

37- L. Ginsburg, "*Felis libyca balatensis:* les chats du mastaba II de Balat", *BIFAO* 95, 1995, p. 259-260.

38- E. Hornung, *Les Dieux de l'Égypte, le Un et le Multiple*, p. 97-112 et 237; F. Dunand, C. Zivie-Coche, *Dieux et hommes en Égypte*, Paris, 1991, p. 29-30.

39- P. Germond, *Bestiaire égyptien*, Paris, 2001, p. 191-209.

40- C. Zivie-Coche, *Sphinx! Le Père la terreur, histoire d'une statue*, Paris, 1997.

41- O. E. Kaper, *The Egyptian God Tutu, A Study of the Sphinx-God and Master of Demons with a Corpus of Monuments, OLA* 119, Louvain, 2003.

42- P. Perdrizet, "La tunique liturgique historiée de Saqqarah", *Monuments Piot*, XXXIV, 1934, p. 97-128.

٤٣- يتعلق الأمر هنا بحجر أطلق عليه فترة طويلة "الشست الأخضر".

44- E. Bernand, "Dédicace à Thoueris", *ZPE* 81, 1990, p. 200-202, pl. 3; J. Quaegebeur, W. Clarysse, B. Van Maele, "Athena, Neith and Thoeris in Greek Documents", *ZPE* 60, 1985, p. 224-230.

45- J. Yoyotte, "Religion de l'Égypte ancienne", *Annuaire EPHE* 97 1988-1989, 1989, p. 153-154.

46- G. Daressy, "Notes et remarques", *RT* 26, 1904, p. 138-139.

47- C. Ziegler, "Une découverte inédite de Mariette, les bronzes du Sérapéum", *BSFE* 90, 1981, p. 38.

48. K. Myśliwiec, "Aal oder Schlange? Atum oder Meresger?", *MDAIK* 37, 1981, p. 377-382.

49. K. Myśliwiec, *Studien zum Gott Atum* I, *Die heiligen Tiere des Atum, HÄB 5,* 1978, p. 190-193, n^{os} 35, 37 et 39.

50. H. Te Velde, *Seth, God of Confusion,* Leyde, 1977, p. 13-16.

51. E. Hornung, *Les Dieux de l'Égypte, le Un et le Multiple,* p. 237.

الخاتمة

1- M. Pastoureau, *Une histoire symbolique du Moyen Âge occidental,* Paris, Le Seuil, 2004, p. 29-30.

مؤلف رائد فى هذا المجال، حيث إن الدراسات المستجدة أصبحت غزيرة منها على سبيل المثال كتاب "ديلور":

R. Delort, *Les animaux ont une histoire,* Paris, Le Seuil, 1984.

٢- انظر: الدراسة المعاد نشرها حديثًا بواسطة كل من "ريشارد، وفابر":

F. Fabre, *La Bête du Gévaudan,* De Borée, Romagnat, 2004.

والمزودة بمراجع عديدة جدًا.

3- Hérodote, II, 36.

4-M. Pastoureau, op. cit., p. 32-48.

يرى "باسترو" أن الحيوانات فى العصر الحديث تبدو أكثر ابتعادًا عن الإنسان بصورة لم تكن هكذا فى العصر الوسيط. انظر:

E. de Fontenay, *Le Silence des bêtes. La philosophie à l'épreuve de l'animalité,* Paris, Fayard, 1998.

ولكن هذا الكتاب الذى يحلل بدقة تامة وبصورة مثيرة الأفكار القديمة عن الحيوان والحياة الحيوانية لم يأخذ فى الحسبان التقاليد المصرية.

٥- استثناء من النصوص الدينية التى من الممكن أن تسمح بإعطائنا أفكاراً مفيدة جداً عن الحيوانات من خلال تأملها فى هيئات إلهية.

المؤلفان فى سطور

فرنسواز ديناند

تقوم حالياً بالتدريس فى الجامعات الفرنسية بعد أن حصلت على درجة الدكتوراه فى الآداب. وهى عضو سابق فى المعهد الفرنسى للآثار الشرقية. وهى أيضاً أستاذ متفرغ فى تاريخ الديانات بجامعة مارك بلوش فى ستراسبورج، حيث إنها متخصصة فى الديانات والحضارة المصرية القديمة فى العصر المتأخر. وهى تقوم منذ عام ١٩٨١، بدراسة الجبانات المصرية القديمة خلال العصر اليونانى - الرومانى بواحات الخارجة: فى دوش، وعين اللباخا، والدير.

روجيه لشتنبرج

حاصل على درجة الدكتوراه فى الطب البشرى وممارسة الأشعة. وهو رئيس سابق لمعهد أرثر فيرن بباريس. وكان أحد أعضاء الفريق المتعدد التخصصات الذى قام بفحص ومعالجة مومياء الملك رمسيس الثانى (فى باريس عام ١٩٧٦). ومنذ عام ١٩٨٢، وهو يشترك مع فرنسواز ديناند فى القيام بأبحاث علمية على المومياوات التى اكتشفت فى جبانات واحة الخارجة. وهو يقوم كذلك منذ عام ١٩٩٢، بالتعاون مع آلان زيفى فى دراسة بقايا المومياوات البشرية والحيوانية التى عثر عليها فى جبانات منطقة سقارة.

المترجمة فى سطور

فاطمة عبد الله محمود

- حاصلة على ليسانس الآداب، لغة فرنسية بدرجة جيد جدا - جامعة القاهرة؛ وتعمل مترجمة أولى برئاسة الجمهورية.

- لديها خبرة كبيرة فى ترجمة الكثير من الكتب، منها العديد من كتب الحضارة الفرعونية العريقة، مثل: "المرأة الفرعونية" لكريستيان ديروش نوبلكور، و"حتشبسوت الملكة الفرعون"، لسوزان راتيه، و"السحر والسحرة عند الفراعنة" لإيفان كوننج، و"الحياة اليومية للآلهة الفرعونية" لأندريه ميكس، و"غرام الفراعنة"، لفيولين فانويك، و"رمسيس الثالث .. قاهر شعوب البحر"، و"الإسكندرية ملكة الحضارات"، لمجموعة من كبار علماء المصريات الفرنسيين، و"موسوعة الرموز والأساطير الفرعونية"، لجاك تيبو، و"حب وبطولات فرعونية"، لفيولين فانويك، و"الفن والحياة فى مصر الفرعونية"، لكلير لالويت، و"حتشبسوت .. عظمة وسحر وغموض" لكريستيان ديروش نوبلكور، و"رمسيس الثانى، فرعون المعجزات" لكريستيان ديروش نوبلكور، و"الموسوعة الشاملة للحضارة المصرية"، لجى راشيه؛ و"أسرار معابد النوبة"، لكريستيان ديروش نوبلكور، و"ميراث مصر الأسطورى"، لكريستيان ديروش نوبلكور.

المراجــع فى سـطـور

د. محمود ماهر طه

- حاصــل عــلى درجـــة الدكتوراه من جامعة ليون بفرنسا فى الآثار المصرية عام ١٩٨٢ .

- تولى مناصب علميـة عـديدة فى المجلس الأعلى للآثار منذ عـام ١٩٦٣، منهـا رئيس مركز المعلومات ورئيس مركز تسجيل الآثار المصرية.

- قام بالتدريس بالجامعات المصرية خاصة جامعة حلوان بكلية السياحة والفنادق للتاريخ الفرعونى والديانة المصرية القديمة باللغتين الفرنسية والعربيـة، وكذلك بكلية الفنون الجميلة وجامعة الزقازيق (المعهد العالى لدراسات الشرق الأدنى القديم).

- قام بتأليف وترجمة ومراجعة أكثر من خمسين كتاباً عن الآثار المصرية بالعربية والفرنسية والإنجليزية، بالإضافة إلى العديد من المقالات.

التصـــحيح اللغـــوى : وجيه فاروق
الإشـــراف الفـــنى : حسن كامل